من قصص الثورة والتحرير

صانعو التاريخ الأمريكي



عبد الحميد جوده السحار

من قصص الثورة والتحرير

صانعو التاريخ الأمريكى

من قصص الثورة والتحرير

صانعو التاريخ الأمريكى

عبد الحميد جوده السحار

يطلب من :
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى " الفجالة "

دار مصر للطباعة
٣٧ (ب) شارع كامل صدقى " الفجالة "

مقدمة

هذا الكتاب

ترددت كثيرا قبل أن أمسك بالقلم لأخط هذه المقدمة ، فقد دفعت الى المطبعة بأصول أكثر من عشرين كتابا ، بين قصة طويلة ومجموعة أقاصيص ، وترجمة حياة شخصية تاريخية معروفة ، دون أن أكتب لكتاب منها مقدمة، لأنى أفضل أن يوضح الكتاب نفسه بنفسه وأن يشق طريقه ، دون أن أقدمه أو يقدمه غيرى ، ولكن هذا الكتاب يختلف عن كل الكتب التى سبق لى أن قدمتها الى قرائى .

عند ما فكرت فى الكتابة رسمت لنفسى طريقى ، أن أتخصص فى القصة ، وأن أكون على صلة دائمة باللغة التى أكتب بها ، فلا خير فى كاتب يقطع الأسباب بينه وبين منابع اللغة التى يعبر بها عن أفكاره وخلجات نفسه . لذلك قررت أن أطالع ، الى جوار مطالعاتى الحديثة ، بعض كتب التاريخ القديمة ، وأن أستفيد من مطالعتى وأكتب بعض التراجم فى أسلوب قصصى .

وصادفتنى فى مطالعاتى الحديثة بعض أسماء كانت بالنسبة الى مجرد « أشياء » بلا ظلال ولا أبعاد ، لا تدل على فكرة لأننى لم أكن أعرف عنها ولا عن كفاحها ، ولا عن الفكرة التى تمثلها شيئا . كنت أمر باسم « جيفرسون » و « جاكسون » و « ولسون » مر الكرام ، وكنت أقرأ « الولايات المتحدة » و « اعلان الاستقلال » و « شروط ولسون » و « الحريات الأربع » و « الأمم المتحدة » فتتكون فى ذهنى صورة باهتة المعالم عن حقيقة مدلول هذه الألفاظ . وخطرت لى فكرة : لماذا لا أقرأ تاريخ هذه الحقبة الهامة فى تاريخ الانسانية لأكون لنفسى صورة واضحة المعالم عن هذه « المصطلحات » التى تتردد كثيرا فى مطالعات كل مثقف ؟

وعكفت على كتب تاريخ هذه الحقبة أقرأها ، واذا بعوالم جديدة تتفتح أمامى ، واذا بقصة كفاح شريف يبذل لخير البشرية تسرد ، فخطرت لى فكرة أخرى : لماذا لا أقدم ثمرة هذه المطالعات الى القراء فى كتاب ، فى أسلوب قصصى شائق، فيستفيدوا بما استفدته دون أن يتجشموا ما تجشمته من جهد فى جمع تلك الحقائق الرائعة ؟

ورحت أختار الشخصيات التى تمثل سلسلة ذلك الكفاح المتصل المبارك ، منذ بدايته حتى اليوم ، فاخترت جورج وشنطن لأنه بفضل كفاحه تكونت الولايات المتحدة ، وتوماس جيفرسون لأنه كاتب وثيقة الاستقلال ، واندرو جاكسون صاحب « فيتو ميزفيل » ، وابراهام لنكولن محرر الرقيق ،

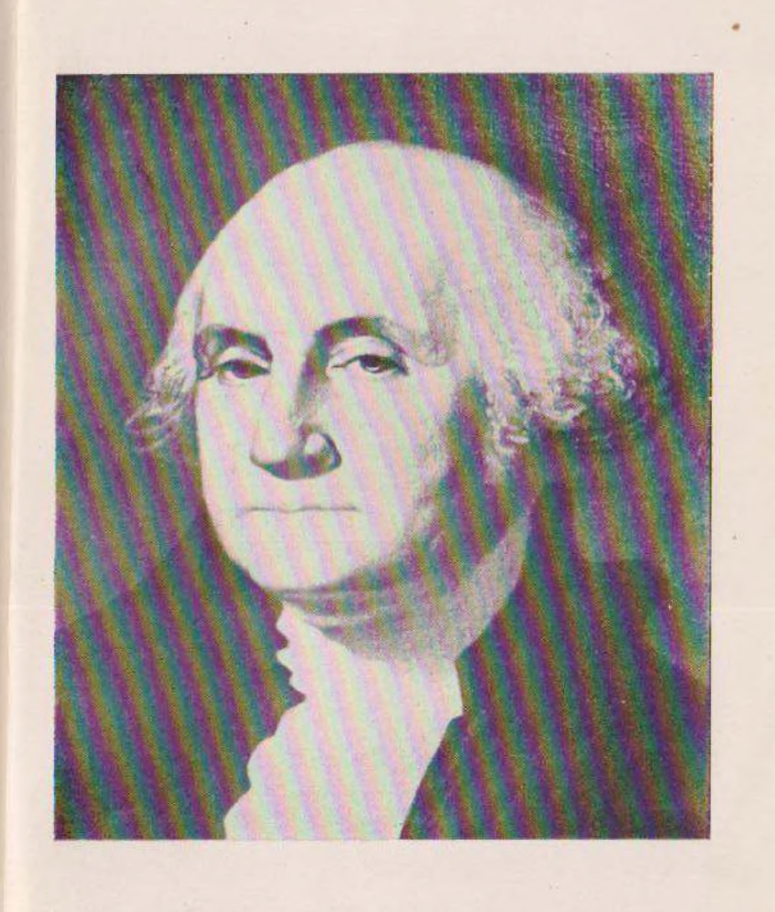
وودرو ولسون المتصوف الفيلسوف الذى كان يحلم بالسلام ، والذى وضع شروطه الأربعة عشر لخير البشرية ، وفرانكلين روزفلت الذى حقق حلم ولسون وكون « الأمم المتحدة » ، ونادى بالحريات الأربع ، ودوايت ايزنهاور الذى نادى بالسلام فى عصر الذرة .

واتنهيت من اختيارى ورحت أكتب متوخيا البساطة والتشويق والتركيز، فكان هذا الكتاب الذى تقرأه أنت الآن.

عبد الحميد جوده السحار

فهرس

جورج واشنطون



جورج واشنطون

١٧٣٢ — ١٧٩٩

— ١ —

فبراير عام ١٧٣٢ ، الوقت صباحا ، والمكان فرجينيا ، والجو بارد ، وأوجستين واشنطن يذرع غرفة منزله الريفى البسيط وهو يفرك يديه ، حتى اذا بلغ النافذة لمح حصان الطبيب قد شد الى عارضة عند مدخل المنزل أعدت لربط الجياد .

ورمى ببصره بعيدا فرأى غاباته ، ومزارعه الواسعة التى يملكها ، وعبيده الذين ينطلقون فى طرقاتها فى تراخ وكسل . انهم يشتغلون فى قطع الأشجار ، وزراعة التبغ ، ولكنهم ماكانوا يعملون أبدا فى همة ونشاط ، بل كانوا يبذلون أقل جهد .

وغادر النافذة ، وراح يغدو ويروح فى الغرفة فى ترقب وقلق ، وأطرق يفكر . انه يملك ست مزارع ، ولكن الحفر منتشرة فيها ، وطرقاتها متربة سرعان ما تتحول الى أوحال ،

انه فى حاجة الى أموال هائلة يصلح بها أرضه وينفق منها على عبيده .

ومس أذنه صوت صرير البـــاب الذى دخل منه الطبيب ، فالتفت ، فاذا بامرأة عجوز تخرج منه ، فراح يتفرس فى وجهها ليستشف منه أنباء زوجتـــه مارى التى كانت تضع وليدها الأول ، ولكن وجهها كان جامدا لا ينطق بشىء ، وسارت فى طريقها تحضر الماء الساخن ، دون أن تلتفت اليه .

كانت مارى بول زوجته الثانية ، قابلها فى انجلترا ، وكانت رائعة الحسن ، شقراء ، لها عينان زرقاوان آسرتان ، ما ان رآها حتى هام بها حبا ، وتزوجها ثم عادا معا الى فرجينيا ، ليعيشا فى هذا البيت الذى ورثه فيما ورث عن أبيه .

لم يكن الوليد المرتقب ابنه الأول ، فقد أنجب أربعة أبناء من زوجته الأولى جان بتلر ، كان أكبرهم لورنس ، فى الرابعة عشرة ، ولـــكن الطفـــل المنتظر كان أول أبنـــائه من مارى بول .

وارتفع صوت الوليد ، فأحس أوجستين رعدة خفيفة تمشى فى بدنه ، ونشوة تملأ فؤاده ، وتقدم صوب الباب المغلق نافد الصبر ، ولكن البـــاب ظل موصـــدا ، وهو واقف يدق كفه بقبضته .

وانفرج الباب عن المرأة العجوز ، فاذا بأساريرها منبسطة ، واذا بها تنطق لأول مرة :

ــ ولد .. مبارك .

وأغلقت الباب خلفها •

ومرت لحظات وأوجستين ثابت فى مكانه ، ثم انفرج الباب ثانية عن الطبيب ، فاذا بأوجستين يندفع الى حيث ترقد مارى ، ويقف ينظر اليها فى حب ، ويميل ويطبع على خدها قبلة ، ثم يرمى ببصره الى الوليد ، فتتحرك عواطف الأبوة فى قلبه ، فيهمس فى نشوة :

— هالو جورج •

وما دار فى خلده قط أن جورج هذا ، سيحمل اسم واشنطن الى أرجاء الأرض ، ويسجله فى سجل الخلود •

— ٢ —

ومرت سنة • ووضعت مارى ابنتها الثانية اليزابيث ، وانقضت سنة أخرى فوضعت الأم ابنها الثالث صمويل ، ثم وضعت جون وشارل ، أنجبت سنة ، فصار أوجستين واشنطن أبا لعشرة أبناء •

لم يكن أوجستين فى حاجة الى طعام لأسرته ، ولا الى عبيد ليخدموا زوجه وأولاده ، ولا الى خيول ليركبوها ، كان كل ذلك ميسورا ، ولكنه كان فى حاجة الى أموال ، يصلح بها مزارعه الواسعة •

وشب جورج فى بيت يغص بالأولاد ، عشرة اخوة وأمهم

وأبوهم وعبيدهم الذين يخدمونهم فى الدار ، فى منزل خشبى من أربع غرف ، انها طفولة مكتظة بالناس !

وبلغ جورج السادسة ، فأرسله أبوه الى مستر هوبى فى الكنيسة القريبة من الدار ليتعلم ، فصار يتردد على مستر هوبى ، يأخذ عن الرجل ما يستطيع الرجل أن يعطيه ، وسرعان ما جف نبع مستر هوبى ، فما كانت مهنته تعليم الناس ، بل كانت دفنهم بعد موتهم !

وعندما بلغ جورج العاشرة ، تزوج أخواه لورنس وأوستين وغادرا الدار ، فرأى أبوه أن يبعث به الى منزل أوستين فى وستمورلند ، التى تبعد عنهم ثلاثين ميلا ، ليتم تعليمه فى مدارسها .

وعاد جورج الى منزل أخيه بعد أن انتهى اليوم الدراسى ، وراح يقرأ فى كتاب «رفيق الشاب» وكانت موضوعات الكتاب « كيف تقيس الأرض » « كيف تكون كيسا » « كيف تكتب رسالة لصاحب سلطان » « كيف تحسب الفائدة » ، ولم يكن الكتاب يتحدث عن « لماذا نفعل كذا » أو « لماذا نحسب الفائدة» أو «لماذا نقيس الأرض» ، فطبع هذا الكتاب جورج بطابعه ، شب رجل أشياء ملموسة ، ولم يشب رجل تهاويم وأفكار وخيالات .

وأحب الحساب ، وأغرم بعد الأشياء ، فما من شىء وقع فى يده ، أو وقع عليه بصره الا عده .

وفى عام ١٧٣٤ ، عندما بلغ الثانية عشرة ، مات أبوه من

الافراط فى الأكل والشراب ، بعد أن أوصى بجل ماله ، على عادة الانجليز ، لابنه الأكبر لورنس ، وبالنزر اليسير لأبنائه الآخرين ، وكان نصيب جورج أفدنة من الأرض الواسعة المحتاجة الى أموال كثيرة لاصلاحها ، وعشرة عبيد .

كان جورج صغيرا لم يبلغ سن الرشد ، أراضيه فى حوزة أمه ، تعيش من ريعها ، ثم انتقل الى بيت أخيه الأكبر لورنس ، ليعيش معه فى «مونت فرنون» وليقابل هناك قدره ، الذى سيدفعه الى طريق مجده خطوات .

— ٣ —

كان لورنس المثل الأعلى لأخيه جورج ، كان يرمقه فى اكبار ، انه أرسل الى مدرسة ابلبى بانجلترا ، حيث تعلم اللغة الانجليزية الصحيحة ، وعاد الى « مونت فرنون » حيث عاش عيشة أرستقراطية ، يلتقى فى بيته علية القوم ، يمضون أوقاتهم فى الصيد أو لعب الورق ، أو يتحدثون حول الموائد أحاديث طلية شهية .

وفى ذات يوم ، بعد أن تناول الجميع الغداء ، خرجوا يمشون قليلا على حواف الحقول المترامية . وخطر لجورج أن يمسح هذه الأرض الواسعة الممتدة على مدى البصر ، فحمل آلة مسح الأرض ، ونادى بعض عبيد أخيه ليعاونوه . ثم راح

يتحرك فى خفة يمينا وشمالا ، وضيوف أخيه يرمقونه فى اعجاب .

وانهمك جورج فى عمله ، والرجال والنساء يتتبعون خطواته ، حتى اذا ما ابتعد عنهم ، عادوا الى الدار يلعبون الورق ، ويتجاذبون أطراف الأحاديث .

ومر الوقت ، وعاد جورج يحمل ورقة خطط عليها بمقياس الرسم مساحة الأراضى الشاسعة المترامية أمام « مونت فرنون » ، وراح يقدمها الى ضيوف أخيه ، فيتفرسون فيها مقدرين ، وينظرون اليه معجبين ، أو يربتون على كتفه مشجعين .

كان جورج واشنطن فى ذلك الوقت فى الثالثة عشرة . وكان يهوى مسح الأراضى ، وهذه الهواية ستصبح عما قريب حرفته ، التى ستتيح له فرص مقابلة أناس سيكون لهم أثر فى بناء مستقبله العظيم .

***

تعلم جورج الرماية ، وركوب الخيل ، حتى اذا بلغ السادسة عشرة كان فارسا لا يشق له غبار .

وقدم الى « مونت فرنون » لورد توماس فيرفاكس . انه ثرى عظيم ، يملك خمسة ملايين وأربعمائة ألف فدان فى شمال فرجينيا ، وزاد فى عظمته أنه قادم حديثا من انجلترا .

وقابل اللورد ذو الأنف المقوس ، والثراء العريض ، الشاب

جورج ، وتحدث معه ، وراقبه فى صيده ، فأعجب به ، ونشأت صداقة بين اللورد ابن الخمسين والفتى الذى لم يبلغ بعد سن الرشد .

وتقاطر الفلاحون من بنسلفانيا الى أراضى اللورد الشاسعة التى لا تحد ، فرأى لورد فيرفاكس أن يمسح أراضيه ، فعين لهذه المهمة قريبه وليم فيرفاكس ، على أن يعاونه جورج واشنطن .

وكانت خطوة .

وبدأ وليم فيرفاكس وجورج عملهما ، كانا يخرجان مع الشمس ، ويضربان فى الأرض ، حتى اذا ما خيم الظلام عادا الى منزل وليم ليأخذا نصيبهما من الراحة . وفى منزل وليم فيرفاكس قابل جورج أخت زوجة وليم . كانت شابة جميلة ، لفتت نظر جورج ، وأحس قلبه يخفق كلما دنا منها ، ولكن كان ينعقد لسانه ، فلم يكن يستطيع أن يبثها لواعج نفسه . كان فى حضرة النساء يصمت ولا ينبس بكلمة !

واستمر العمل وحمى وطيسه ، حتى ان جورج اضطر أن يبيت ثلاث ليال فى العراء ، على كومة من القش ، بالقرب من النار المندلعة ، لتدفىء الجو ، وتبعد وحشة الليل .

وانتهى العمل ، ومنح اللورد صديقه الشاب أجرا كبيرا ، فامتلأ جورج فرحا ، كان ذلك أول أجر يتناوله فى حياته .

ولم ينس لورد فيرفاكس صديقه جورج ، ولم يكتف

بما منحه ، بل سعى فى تعيينه مساحا رسميا لاقليم « كالبير » .

وعين جورج .

وكانت خطوة ثانية .

— ٤ —

كانت أمريكا الشمالية مجموعة مستعمرات خاضعة للتاج البريطانى ، أوللتاج الفرنسى ، أوللتاج الاسبانى . وكانت هذه المستعمرات متباينة فى اللغة وفى العقيدة وفى الآمال والأحلام ، فبينما جاء البريطانيون الأوائل الى الأرض الجديدة بزوجاتهم ليتناسلوا ويستقروا فى الأرض الطيبة ، اذ بالفرنسيين قد جاءوا ليقيموا بالقرب من كنيسة أو حصن ، وليتلقوا الأوامر من موظف رسمى أو قسيس ، وقد تزوجوا من الهنديات وعادوا الى حياة البداوة الأولى .

وفى منتصف القرن الثامن عشر ، أحس حكام بريطانيا ، أن أخصب الأراضى فى الدنيا الجديدة فى حوزة الفرنسيين ، وفطنوا الى أنهم لو سكتوا على ذلك لصارت فرنسا سيدة أمريكا ، لذلك راحوا يضعون العراقيل فى وجه فرنسا ، ويعملون على اجلائها عن أراضيها .

واثارة للمتاعب أسس دينويدى ، حاكم فرجينيا من قبل التاج البريطانى ، مؤسسة للأراضى سميت شركة أوهايو ، ثم منح هذه الشركة خمسمائة ألف فدان فى وادى أوهايو .

لم تكن الأرض أرضه ليمنحها شركته ، ولا كانت واقعة فى ولايته ، بل كانت فى الأراضى الفرنسية ، ولكنه كان يعتمد على القوات البريطانية ، وتأييد حكام انجلترا ، الذين وافقوا على مشروعه .

سمع الفرنسيون نبأ هذه الشركة ، وترامى اليهم أن مهاجرين من فرجينيا سيتدفقون على أراضيهم ففزعوا ، وبدأوا يحصنون حدودهم من بحيرة ايرى الى نهر أوهايو ، ثم من جنوب النهر الى نيو أورليانز الفرنسية .

كان لورنس واشنطن ، وأخوه أوستين ، من مؤسسى شركة أوهايو ، فكانا على صلة دائمة بالحاكم ، يناقشان الموضوع معه ، ويعرضان عليه ما يعن لهما من آراء . وحدث أن سقط لورنس فريسة لمرض عضال ، وأشير عليه أن يسافر الى منطقة حارة للاستشفاء ، فسافر الى جزيرة برباروس على بعد اثنين وعشرين ميلا من فرجينيا ، وصاحبه أخوه جورج ليمرضه . وكانت هذه هى رحلة جورج واشنطن الوحيدة ، خارج الولايات المتحدة .

وبلغا الجزيرة وقوبلا فيها بحفاوة . ولما كان لورنس ضابطا فى الحرس الوطنى ، فقد دعاه ميجر كلارك الى حفلة عشاء . كانت أسرة كلارك مصابة بالجدرى ، فانتقلت العدوى الى جورج ، وسقط فريسة المرض ، ولما برىء كان المرض قد ترك فى وجهه آثاره الدالة عليه .

ولم يستفد لورنس من جو الجزيرة الحار ، بل ازدادت حالته

سوءا ، وأشير عليه بالذهاب الى برمودا ففعل . بينا عاد جورج الى فرجينيا ليأتى بزوجة أخيه لتمكث معه .

تأهب جورج وزوجة أخيه للرحيل ، ولكن قبل أن يغادرا فرجينيا ، عاد لورنس ليجود بآخر أنفاسه .

وفى ٢٦ من يوليـو عام ١٧٥٢ مات لورنس فى « مونت فرنون » ، بعد أن أوصى بثروته لابنته الصغيرة ، وجعل جورج وصيا عليها . وذكر فى وصـيته أن ثروته تئول الى جورج فى حالة وفاة ابنته ، على أن يعطى أرملته جزءا من الدخل السنوى.

وحدث أن ماتت الابنة ، فورث جورج « مونت فرنون » بعد أن ورث مركز أخيـه فى الحرس الوطنى ، وصار ضابطا حربيـا .

وكانت خطوة ثالثة .

— ٥ —

استـمر الفرنسيـون فى تحصين الحدود ، ورأى الحاكم دينويدى أن ينذرهم بالكف عن تشـييد القلاع والحصون ، والا فانه سيضطر الى استخدام القوة لازالة تلك التحصينات ، وتمكين أصحاب الأراضى فى أوهايو من اسـتغلال أراضيهم ، ووقع اختياره على الضابط جورج واشنطون ليحمل انذاره .

تأهب ميجور جورج واشنطن للرحلة الطويلة الشاقة ، التى

ستنتهى بمقابلة جارسيا قائد الفرنسيين ، وتبليغه رسالة حاكم فرجينيا المؤيد من التـاج البريطانى ، فاستصحب معه كابتن جاكوب فان برام الضـابط الهولندى ، لاجادته الفرنسـية ، وكريستوفر جيت ليدله على الطريق .

انطلق الثـلاثة على ظهور جيادهم ، يطوون الأرض طيا ، يقطعون الفضاء الواسع ، كلما دب التعب الى جيادهم ، حطوا يلتقطون أنفاسهم ، ويريحون أجسامهم المكدودة .

وانسـابوا فى مناطق جرداء موحشة ، يسابقون الشتاء ، ويتلفتون حذرين خشـية أن يصيبهم سهم من سهام الهنود ، أو يهاجمهم دب أو ثعبـان من الثعـابين ذوات الأجراس ، فقد بلغوا منطقة لا يقطنها الا الهنود والدببة والثعابين .

وهجم عليهم الشتاء ببرده القارس ، فتكاثف الجليد وغطى الطرقات ، وصار عسيرا على الجياد متابعة السفر ، ولكن ذلك لم يفت فى عضد جورج ، بل راح يتقدم ليبلغ الفرنسيين رسالة حاكم فرجينيا ، وحملة أسهم شركة أوهايو للأراضى .

وقابل جورج وهو فى طريقه الى الفرنسيين زعيم الهنود ، وراح يحدثه حديثا وديا ، ويحرضه على الانضمام الى الانجليز اذا ما حاربوا الفرنسـيين . كان الانجليز والفرنسـيون فى عداواتهم للهنود سـواء ، كان هدف كل منهما أن ينتزع من أياديهم أراضيهم ، ومع ذلك قبـل زعيم الهنود ما عرضه عليه واشنطن ، وذهب معه الى الفرنسيين ليعلن لهم عداوة الهنود .

وقابل الفرنسيون جورج ورفيقيه مقابلة طيبة ، قدموا لهم طعاما جيدا وشرابا متنوعا ، ثم بدأت المحادثات .

قال الفرنسيون ان أرض أوهايو أرضهم ، فقد اكتشف النهر «لاسال» الفرنسى منذ ستين عاما ، وأنهم لن يتخلوا عنها.

وكتب قائدهم جارسيا رسالة الى الحاكم دينويدى يرفض فيها انذاره . وكلم زعيم الهنود الفرنسيين ففترت حماسة عداوته لهم . وقفلوا عائدين ، واذا بالهنود ينفضون من حول جورج واشنطن . وتعذر على الخيل أن تشق طريقها فى الثلوج المتراكمة ، فترك جورج ورفيقاه جواديهما لفان برام ليحضرهما عند ما تتحسن الأحوال الجوية ، وراحا يقطعان الطريق الى فرجينيا سيرا على الأقدام .

كان الموقف صعبا غاية الصعوبة ، خطرا غاية الخطورة ، ولكن جورج لم يحسب لذلك حسابا ، وانطلق تصاحبه شجاعته التى لم تفارقه قط طوال حياته .

واستمر فى سيره أياما وليالى ، انه يقاسى البرد والتعب ، والناس فى غفلة عنه يتأهبون لاستقبال عيد الميلاد . وكأنما لم تكن متاعبه كافية ، فقد سقط مرة هو ورفيقه جست فى نهر ، وكادا يتجمدان . وخرج هندى مرة أخرى من خلف شجرة وصوب اليهما سهمه الذى طاش . وأخيرا بلغا فرجينيا يجران سيقانهما ، يكادان يسقطان من الاعياء .

وقابل الحاكم دينويدى واشنطن بالترحاب ، وطلب منه أن يكتب تقريرا مفصلا عن الرحلة ، على أن يقدمه فى اليوم التالى.

وعكف واشنطن طوال الليل يكتب تقريره الذى سيثير حماسة حملة أسهم شركة أوهايو ضد الفرنسيين، الذين أبوا أن يسلموهم طائعين الأراضى التى باعها لهم دينويدى .

- ٦ -

واجتمع حملة الأسهم ، وثارت النفوس ، وألقيت الكلمات الحماسيه الملتهبة . وانتهز الحاكم دينويدى فرصة الثورة المتأججة فى الصدور ، وأعلن بين تهليل الاستحسان أنه قد عزم على ارسال قوة عسكرية لتأديب الفرنسيين ، واجلائهم عن أراضى أوهايو التى وضعوا أيديهم عليها عدوانا وغصبا .

وكتب الحاكم الى جيرانه حكام المستعمرات البريطانية ليهبوا معه لقتال الفرنسيين ، ولكن مجلس ولاية بنسلفانيا ومجلس ولاية نيويورك رفضا القتال لانتزاع وادى أوهايو من الفرنسيين ليمنحوه لقمة سائغة لشركة أوهايو .

ولم يفت ذلك فى عضد دينويدى بل راح يتأهب للقتال .

وكون الحاكم قوة من ثلاثمائة رجل ، وضع على رأسها الكولونيل فراى ، وأمره أن يذهب الى قلعة أوهايو ، ليعاون فى بنائها وتحصينها وحراستها ، وكان جورج واشنطن هو القائد الثانى .

وفى ابريل من عام ١٧٥٤ ، خرج جورج واشنطن على رأس

سرية مكونة من مائة وخمسين رجلا ، وبقى الكولونيل فراى فى فرجينيا .

وجاءت الأنباء بأن قوة من الفرنسيين تبلغ ألف مقاتل ، قد تقدمت بمدفعيتها صـــوب قلعة أوهايو التى لم يتم تحصينها ، واســـتولت عليها . وكانت مفاجأة لجورج واشـــنطن ، فجمع ضباطه وراحوا يتشاورون فى الأمر .

وقر رأى جورج على أن يمكثوا فى مكانهم ، وأن يرسل الى كولونيل فراى ليمده بجنود ، ولكن فراى كان فى فرجينيا يمد الطرق ، ويلقى بأوامره الصارمة ، وبينا كان يمارس شدته فى تنفيذ أوامره ، ســـقط عن جواده فدك عنقه ، وبذلك صـــار جورج واشنطن قائد الفرقة المقاتلة .

وكانت خطوة رابعة فى طريق مجده .

وقفل جورج بجنوده راجعـــا ، دون أن تكون فى ذهنـــه صورة واضحة عن خططه . ولكنه لم يفقد جأشه ، ولم تذهب نفسه شـــعاعا . فكر ودبر ، ورأى أن يستعين بالهنود فى قتال الفرنسيين الذين احتلوا حصن أوهايو الذى لم يتم تحصينه . فبعث الى زعيمهم وقال له : « ان الانجليز لا يبغون ضرركم أو ضرر حلفائكم . ان الفرنســـيين يمنونكم بمعسول الكلام ، ولكن كلامهم من شفاههم ، بينا قلوبهم تنضح بالسم الزعاف.

« كنتم فى رعايتهم وفعـــلوا كل شىء من أجلكم ، ولـــكن ما ان استشـــعروا القوة حتى عادوا الى غطرســـتهم الطبيعية

وأخرجوكم من أرضكم ، وأعلنوا أن ليس لكم حقــوق فى أوهايو .

« ان الانجليز هم أصــدقاؤكم الحقيقيون ، لقد بعثوا من أجلكم جيشــا ليصون حقوقكم فى أوهايو ، وليعيدوا اليكم أراضيكم ، وليرعوا زوجاتكم وأبناءكم » .

وقبل الهنود أن يحاربوا مع واشنطن .

وعلم من الهنود أن الفرنسيين يعسكرون خارج الحصن ، فعزم على أن يصل اليهم فى الليل ، وأن يفجأهم ويضرب ضربته قبل أن يفيقوا من دهشة المفاجأة .

ونفذ خطته ، وفى هجعة الليــل داهم القوات الفرنســية ، وصــوب نيرانه الى الحصن . ولكن قواته كانت أقل من أن تنهض بمثل ذلك العمــل . هبت القوات الفرنسية تدافع عن نفسها ، وعجز واشنطن عن دحرها ، وأخفق فى جنى ثمار فكرته الرائعة .

واضطر الى أن يعسكر فى مكان منخفض ، وراحت الأمطار تهطل مدرارا ، فملئت خنادقه بالماء ، وابتلت الخيام ، وتبــادل الجانبان اطلاق النــار ، واستمر واشنطن فى انتظار امدادات مســتعمرات نيويورك وفرجينيا وكارولينا الشمالية ، ولكن المســتعمرات الانجليزية تقاعست عن نجدته . حتى حلفــاءه الهنود ، راحوا يشاهدون الحرب الدائرة بينه وبين الفرنسيين كما يشاهدون مباراة رياضية ، ولم يبق أمامه الا أن يســلم بشروط تحفظ له شرفه .

وقبل الفرنسيون أن يعود بجيشه الى فرجينيا ، منزوع السلاح ، وأن تتعهد فرجينيا بعدم اقامة حصون أخرى فى أوهايو لمدة عام .

وعاد جورج واشنطن الى فرجينيا ، يستشعر مرارة الانكسار وان قوبل مقابلة الأبطال ، وراح يلقى اللوم على المستعمرات البريطانية التى لم تهب لشد أزره . وعلى الرغم من هزيمته ، فقد تحدثت الصحف فى بريطانيا عنه وعن قتاله ، وأصبح حديث لندن .

— ٧ —

بعثت الحكومة البريطانية جنرال ادوارد برادوك الى أمريكا ليكون قائد عام قوات صاحب الجلالة بها . كان برادوك جنديا طوال حياته ، وكان فى الستين من عمره ، قد نضب معينه ، وما كان قادرا على امتصاص آراء جديدة ، أو أن يحيا حياة تختلف عن تلك التى ألفها .

جاء برادوك الى أمريكا وفى رأسه فكرة واحدة ، قتال الفرنسيين . كان الانجليز يخشون أن يشتد ساعد الفرنسيين بعد هزيمة واشنطن واستيلائهم على قلعة أوهايو .

وبدأ التحرش بفرنسا . صدرت الأوامر بالاستيلاء على كل مركب فرنسية تمر بألكسندريا ، فوقع فى قبضة الانجليز ثلاثمائة

مركب تجارى وسبعة آلاف بحار فرنسى ، ولم تحرك فرنسا ساكنا ، كان البلاط الفرنسى مشغولا بما تثيره مدام دى بمبادور ـ عشيقة الملك ـ من متاعب .

وغص نهر بوتوماك أمام الكسندريا بالمراكب البريطانية ، وماجت المدينة الصغيرة بالانفعالات ، وتدافع فيها الجنود البريطانيون بثيابهم الحمراء ، يرقصون ويأكلون ويقومون بتدريباتهم العسكرية .

وقرر جنرال برادوك أن تتحرك القوات الى قلعة ديكزن ، وهى نفس قلعة أوهايو التى استولى عليها الفرنسيون ، قلعة حائرة بين الفرنسيين والانجليز لم يثبت لها اسم . وجاءت الأنباء بأن الفرنسيين أتموا تحصينها وأن سمك جدارها أصبح اثنتى عشرة بوصة . وجاء نبأ آخر بأن الهنود جميعا صاروا فى جانب الفرنسيين .

وجاء الكولونيل جورج واشنطن الى معسكر الكسندريا ، ليقوم بنصيبه فى القتال ، وليثبت للبريطانيين كفاءته ، بعد أن ترك الجيش فى السنة السابقة ، عند ما صدر أمر ملكى بجعل ضابط المستعمرات مهما كانت رتبته مرءوسا للضابط البريطانى وان كان أقل منه رتبة ! تفرقة لم يكن هناك ما يسوغها ، ولكنها الأوامر البريطانية .

وقابل الكولونيل واشنطن الجنرال برادوك ، وتحدثا معا . قال له برادوك : ان الأوامر لا تجيز تعيين ضابط المستعمرات فى رتبة أعلى من رتبة كابتن . وقال واشنطن : انه لا يقبل رتبة

أقل من رتبته ، وأصر على ذلك ، وحلا للموقف عينه الجنرال برادوك سكرتيرا خاصا له ، وبذلك أصبح بعيـــدا عن قيادة الضباط البريطانيين .

وتحركت القوات ، رجال على ظهور الجياد ، وعربات تجرها الخيـــل تحمل المؤن والذخائر ، وقطعان من الأنعـــام للطعام ، وجنرال براودك على رأس قواته ، شامخ برأسه ، فقد أعلن أن قلعة ديكزن لن تصمد أمامه أكثر من ثلاثة أيام أو أربعة ! !

وانطلق الجيش ، وراح يشـــق طريقه فى الغـــابات ، وساد الصمت ، الصمت المريب الذى يسبق العاصفة ... واذا بنيران تطلق ، واذا بالفـــزع يدب بين الجنود البريطانيين ، وراحت أوامر الضباط تلقى فى سرعة وحزم ، ولكن لا مجيب .

وارتفعت صيحات الهنود ، فانخلعت قلوب الانجليز ، صور لهم وهمهم أن خلف كل شجرة هنديا ، وأن السهام المتطايرة لن تســـتقر الا فى قلوبهم . فهـــرولوا هاربين . وفى لحظة نسى الفرجينيون كل ماتعلموه من تدريب عسكرى ، تركوا أماكنهم ، وانسحبوا خلف الأشجار والصخور ليقاتلوا على طريقتهم .

وراح الجنود يتســـاقطون كأوراق الشـــجر فى الخريف ، وسالت الدماء وارتفع الأنين ، وكان جورج واشنطن مريضا ، وما ان مست أذنيه طلقات الرصاص ، وصيحات الحرب ، حتى غادر العربة التى كان راقدا فيها ، وامتطى جوادا دون سرج ، بعد أن اتخذ بدل السرج وسادة ، فقد كان يقاسى من الاسهال الدموى ، الذى ألزمه الرقاد .

وانطلق الى المعمعة .. كانت كل الشواهد تدل على أن جيش برادوك أخذ على غرة ، وأنه قاب قوسين أو أدنى من الانكسار .

وأصيب الجواد برصاصة قاتلة ، خر بعدها صريعا ، فامتطى واشنطن جوادا آخر سرعان ما انهار تحته ، فأسرع الى جواد ثالث ، واذا بالرصاص يحدق به من كل جانب ، حتى ان رصاصة اخترقت قبعته .

ودارت الدائرة على جيش برادوك ، ولم يبق أمام واشنطن الا الفرار ، فأطلق لجواده العنان ، وراح يخترق الغابة وقد انتشرت فى أرجائها جثث القتلى والمحتضرين ، وقرع أذنيه عويل الجرحى وأنينهم وتوسلاتهم ، فاستشعر قلبه يتمزق ، ولكن ما كان فى وسعه الا أن يواصل الفرار .

أربع وعشرون ساعة مرت ، وهو على صهوة جواده ، على الرغم من مرضه ، أحس بعدها أنه قد غادر منطقة الخطر ، فنزل يستريح ، وصور الجرحى والقتلى تتخايل لعينيه ، وتخز روحه وخزا قاسيا أليما .

— ٨ —

دب الفزع فى قلوب الفرجينيين بعد هزيمة برادوك ، فاعتمدوا أربعين ألف جنيه للدفاع عن المستعمرة ، وعين الحاكم جورج واشنطن قائدا عاما لقوات المستعمرة .

وفزعت بنسلفانيا أيضا ، فاعتمدت خمسين ألف جنيه للدفاع عن المستعمرة ، وعينت الحكومة البريطانية الحاكم شيرلى مكان برادوك الذى قتل فى المعركة . وكونت مستعمرات نيوانجلند ونيويورك جيشا للدفاع عن المستعمرات ، وتحركت الجيوش للقتال .

أبلى واشنطن فى القتال بلاء حسنا ، وأنقذ فلول جيش برادوك من الابادة المحققة ، فلم تكافئه الحكومة البريطانية بشىء ، بينما حقق ضابط بريطانى بعض النصر فمنحته الحكومة البريطانية خمسة آلاف فدان ولقب بارون ، فترك ذلك — ولا شك — فى نفس واشنطن مرارة .

وشعر الحاكم دينويدى بأن واشنطن لم يعامل المعاملة التى يستحقها ، فكتب الى الحكومة البريطانية يقترح قبول واشنطن فى الجيش النظامى ، ولكنه لم يتلق ردا .

كان واشنطن يقاتل الهنود على حدود فرجينيا ، مدافعا عن

سكان وادى شنندوا ، واذا بضابط من الضباط البريطانيين يأتى الى معسكره على رأس ثلاثين من المتطوعين . كان الضابط فى رتبة كابتن ، وكان واشنطن برتبة كولونيل ، وعلى الرغم من ذلك أراد الكابتن أن يكون على رأس القوة المقاتلة . انه القانون البريطانى الذى يضع الضابط الانجليزى، وان كان أقل رتبة ، قبل ضابط المستعمرات ، وان كان أرفع منه منزلة .

تضايق واشنطن ، وعزم على الذهاب بنفسه الى بوسطن ليقابل شيرلى القائد العام ، ويبسط له قضيته .

وبلغ نيويورك ـ وهو فى طريقه الى بوسطن ـ لأول مرة فى حياته .. انها مدينة يقطنها عشرة آلاف نسمة ؛ خمسهم من العبيد السود ، مدينة جميلة هادئة ، يحيط بها الماء من كل جانب ، الأشجار ممتدة على جانبى طرقاتها ، ظلها ممدود ، والغانيات يخطرن فى الطرقات أو يذرعن الشوارع فى عربات جميلة تجرها الجياد .

ودخل معرض الآلات الميكانيكية ، وكان به مناشير خشب ، وآلات موسيقية . فى هذه القاعة لم ينس طبيعته الحاسبة ، عد التروس الموجودة بها فوجدها ألفا ومئتين .

وبلغ بوسطن ، وقابل الحاكم شيرلى ، وتناول العشاء معه وبسط قضيته ، ونجح فى اقناعه ، فأصدر الحاكم أوامره بأن يظل واشنطن محتفظا برتبته ، ما دامت القوات الملكية لاتحارب على الحدود .

انه نصر جزئى ؛ نصر الكولونيل واشنطن على الكابتن الذى

جاء على رأس المتطوعين ، ولم يكن نصر مساواة ضباط المستعمرات بأندادهم ، ضباط القوات الملكية .

عاد واشنطن الى الحدود ، واستأنف جهاده ، وراح يقاتل الهنود ، ولكن الهنود كانوا فى شغل عن قتاله بسرقة أبقاره التى جاء بها لاطعام جنوده .

واستمر القتال بين الفرنسيين والبريطانيين فى كل مكان ، وأحس الفرنسيون بأن قبضة الانجليز تضيق الخناق عليهم ، فراحوا ينسلون من مواقعهم ، وتمزقت امبراطوريتهم فى أمريكا شر ممزق .

وفى سكون الليل انسلوا من قلعة (ديكزن) التى كلفتهم غاليا ، ودخل واشنطن القلعة فألفاها خالية ، وبذلك انتهت الحروب فى فرجينيا ، وخلع جورج واشنطن ثيابه العسكرية ، ليحيا بعيدا عن قعقعة السلاح ، وأزيز الرصاص ، وليمكث فى مزارعه ثمانية عشر عاما ، قبل أن يدفعه قدره لمعاودة ارتداء ثيابه العسكرية .

— ٩ —

٦ يناير ١٧٥٩ ، المنزل غاص بالأغنياء والحكام وعلية القوم. جورج واشنطن يتزوج من مارتا كوستشى . انه فى السابعة والعشرين ، والزوجة فى الثامنة والعشرين ، انها أرملة الثرى كوستشى ، الذى ترك لها أموالا طائلة وابنا وابنة .

قابلها أول مرة فى منزل تشمبرلن ، عندما كان فى طريقه لمقابلة الحاكم ، ليحدثه عن حالة جنوده عند الحدود .

كانت شابة رائعة الحسن ، شديدة الأسر ، ما ان قدمها تشمبرلن الى صديقه واشنطن حتى أحس جورج انجذابا اليها.

كان جورج واشنطن ملء السمع ، ملء البصر ، وكانت مارتا شخصية بارزة فى مجتمع فرجينيا ؛ امرأة غنية فى المال ، غنية فى الجمال .

وانتبذا مكانا قصيا ، وراحا يتجاذبان أطراف الحديث ، وكان حديثا عذبا شهيا ، وسقط الليل فافترقا ، وفى نفسيهما ذخيرة من الذكريات السعيدة الهنية .

وقابل الحاكم . وفى طريق عودته ، أحس برغبة فى مقابلة مارتا ، فمر على منزلها ، ومكث معها ينعم بقربها لحظات .

ومن ثم أعلنت خطبتهما !!

استمر فى حروبه ، وصورة مارتا تتخايل له ، وكتب اليها

وهو فى طريقه الى قلعة ديكزن : « اننى فى طريقى الى أوهايو، واننى انتهز هذه الفرصــة لأبعث بكلمــة الى شخص حبيب لا يفصل بين حيــاته وحياتى شيء ، فمنذ أن تقابلنا وأنا أنظر اليك على أنك روحى الثانية ، فليحفظنا الله دائما » .

كان يرقب انتهــاء الحرب ليتزوج ، وما ان وضعت الحرب أوزارها فى فرجينيا بدخوله قلعة (ديكزن) ، حتى حف الى مارتا ليربطهما معا الرباط المقدس .

وتم له ما أراد ؛ فتزوجا ، وعاشا معا فى (مونت فرنون) حياة هادئة سعيدة ، وقد فرشت له ثروة مارتا طريقه بالورود ، وان لم تشق له الطريق .

ولكنها كانت خطوة أخرى فى طريق مجده .

— ١٠ —

كان تعداد فرنســا عشرين مليونا ، وتعداد انجلترا ثمانية ملايين ، وكانتا متنافستين فى السيطرة على العــالم ، وكانت كفة انجلترا قد بدأت فى الرجحان ؛ فقد استولت على المواقع الاستراتيجية الهامة ، مثل : كويبك ، وجبل طارق ، ووضعت يدها على الهند ، وطوت الأرض تحت أقدام فرنسا فى أمريكا الشمالية .

كان هدف الحكومات البريطانية زيادة دخل الأسر الانجليزية

بامتصاص دماء مستعمراتها ، فما فكرت يوما فى رفع مستوى المستعمرين ؛ لم تنشىء جامعة فى المستعمرات الامريكية ، ولم تفكر قط فى اهدائها مكتبة ، وان فكرت كثيرا فى الاستيلاء على خيراتها .

كان سكان المستعمرات البريطانية فى أمريكا يتلقون الأوامر من لندن : .. لا ينبغى أن تفعلوا كذا .. افعلوا كذا ... ادفعوا كذا . وكانوا يتلقون هذه الأوامر كما يتلقى الأبناء أوامر والدهم ، ولكن الأبناء كانوا قد شبوا عن الطوق وصاروا رجالا أقوياء أشداء .

وأرادت انجلترا أن تستغل السواعد القوية لمصلحتها ؛ أن تستنفد جهودها لرفاهية رعاياها ، ولكن السواعد الفتية ثارت وضربت من حاول ابتزازها ضربة قاضية .

كان دور سكان المستعمرات الأمريكية فى نظر الامبراطورية البريطانية الاقتصادية ، انتاج المواد الأولية . كان عليهم أن يشتغلوا فى الزراعة والصيد وقطع الأشجار ، أما الصناعة فكانت محرمة فى المستعمرات .

كان الحديد الخام يرسل الى انجلترا ليصنع ثم يعود سكاكين ومحاريث وآلات . حتى صناعة الغزل والنسيج حرم البرلمان البريطانى اقامتها فى المستعمرات .

كان على زراع التبغ أن يرسلوا انتاجهم الى المصانع البريطانية ، فكانت المصانع تتحكم فى أسعاره ، وغالبا ماكانت تحدد له سعرا منخفضا ، حتى ذلك السعر المنخفض ما كان

يرسل للزراع ، بل كان يأتيهم فى صورة سلع يحتاجون اليها من انجلترا ، وانهـا لفرصة طيبـة للمصنع ليسـتفيد ــ مرة أخرى ــ من السلع التى يشـتريها الزارع الذى يفصل بينه وبينه بحر عريض .

كان واشنطن من زراع التبغ . وقد قاسى كثيرا من ألاعيب المصانع البريطانيـة ، حتى انه توقف عن زراعته وراح يزرع الحبوب ويطحنها فى مطاحنه .

وقد بذرت هذه المتاعب بذور الكراهية للانجليز فى نفوس الزراع .

— ١١ —

أصدر البرلمـان البريطانى قانونا يقضى بمنع تداول أوراق نقد المستعمرات ؛ فتدفق الذهب والفضة على انجلترا سدادا لديون مزارعى المستعمرات وتجارها ، وامتلأت خزائنها ، بينا قاست المعاملات التجارية داخل المستعمرات أشد مقاساة . لم يكن هناك ما يحل محل العملات الورقية ، فعادت المعـاملات التجارية الى طريقة المقايضة البدائية .

وملأ الحقد نفوس سـكان المستعمرات ، وبدأ الهمس ، ثم ارتفع الى صياح وزئير .

واجتمع خمسون من رجال الأعمال ، ووقعوا ميثاقا تعاهدوا

فيه على عدم شراء ثياب بريطانية الا بسعر محدد ، وعلى الحد من الاستيراد من انجلترا . وبدأ صمويل آدم هجومه على انجلترا فى الصحف .

كان هذا أول تمرد على انجلترا ، وانتقل ميثاق المقاطعة من بوسطن الى نيويورك الى فيلادلفيا ، وفى نهاية عام ١٧٦٥ كان الناس فى جميع المستعمرات يوقعون مواثيق المقاطعة .

وأحست انجلترا أثر المقاطعة ، فقد أفلس نصف مؤسسات برستول وليفربول ، وتعطل ثلاثة عمال من كل عشرة فى مانشستر ونوتنجهام .

ومكن ميثاق المقاطعة تجار المستعمرات من تصريف بضائعهم ، التى كانت مكدسة فوق الرفوف لسنوات طوال . وبدأت العقلية التجارية الأمريكية تتفتح .

***

وطبقت الحكومة البريطانية على المستعمرات قانون الدمغة ، الذى يحتم وضع طابع على كل مستند رسمى ، فثار الناس على القانون ، وكان المحامون أول الثائرين . وأفسحت الصحف صفحاتها للثائرين ، فقد كان القانون يحتم وضع طابع من فئة البنس على كل صحيفة .

وبدأت الحملات على جورج الثالث ، ملك بريطانيا ، خانق الحريات ، وحنق الناس على من عينتهم الحكومة لبيع تلك

الطوابع ، فانطلقوا فى نيـويورك الى منزل موزع الطوابع وحطمـوه تحطيما ، وأرغم موزع الطوابع فى بوسـطن على الاسـتقالة ، وذهب « أبنـاء الحرية » الى منزل موزع ثالث وألقوا بأثاثه من النوافذ ، وأخذوا يعدون خلف موزع رابع ، وهم يصيحون : « خائن .. خائن » .

واسـتعملت بعض طوابع فى جورجيا ، فأثار ذلك وطنيى كارولينا الشمالية ، حتى انهم قرروا عدم التعامل مع جورجيا .

كان الثائرون على قانون الدمغة من العمال والشعب ، لقد حطموا بيوت بائعى الطوابع ، مع أنهم لن يستعملوا الطوابع أبدا ، انهم لم يثوروا من أجل غرم وقع عليهم ، أو حيف نزل بهم ، ولكنهم ثاروا من أجل الحرية .

— ١٣ —

واتجهت الأنظار الى فرجينيـا ، فقد تقرر مناقشـة قانون الدمغة فى مجلسها . وكان واشـنطن بين الأعضاء يصغى الى النقاش الدائر ، دون أن يشترك فيه .

وقام عضو جديد يتحدث ، انه باتريك هنرى . بدأ صوته منخفضا مرتعشـا ، يشوبه الخجل ، ثم تبدل صـوته وارتفع وأصبح أكثر وضوحا . كان صاحب صوت ذهبى ، يترك فى الآذان ذلك الرنين الذى تخلفه أجراس تدق فى السماء ، وينفذ الى القلب كالسحر ، كان يتحدث عن حقوق الانسان ، فأصاخ

الأعضاء سمعهم مأخوذين ، كأنما يتلقون وحيا .

راح يتحدث عن كفاح المستعمرات ، وعن رغبتها فى الحرية والسعادة ، كان يتحدث من قلبه ، فتطرب لحديثه القلوب . وازدحم النظارة بالأبواب ، وخف توماس جيفرسون من مكتب قريب يصغى الى السحر الحلال .

كان جيفرسون ـ فى ذلك الوقت ـ طالب حقوق . وانتهى باتريك من خطابه ، فقال جيفرسون : «تكلم باتريك هنرى كما كتب هوميروس » .

واقترح باتريك انكار سلطة ملك بريطانيا على فرجينيا ، وأن لمجلس هذه المستعمرة ـ وحده ـ حق فرض الضرائب والالتزامات على سكانها .

وانتشرت كلمات باتريك انتشار النار فى الهشيم .

وأصبح باتريك هنرى رجل الساعة !!

كان ـ ولا شك ـ من أعظم خطباء عصره . كان يؤمن صادقا بالديمقراطية ، وكان أمينا غاية الأمانة فى آرائه .

وطارت كلماته الى المستعمرات ، فأشعلت فى نفوس أهلها روح الثورة .

كان واشنطن فى المجلس عند ما تحدث باتريك ، وصوت ضد قانون الدمغة ، ولكنه ظل صامتا طوال فترة تأجج نيران الثورة فى نفوس أهالى المستعمرات ، فما كان خطيبا ولا كاتبا ، ولكن عند ما تدق ساعة العمل ، ستجد جورج واشنطن فى ثيابه العسكرية مرة أخرى ، ليقود جيوش بلاده الى نصر مظفر .

- ١٣ -

فرضـــت بريطانيـــا ضرائب على الزجاج والورق والزنك والبويات ، وفرضت على الشـــاى أيضا ضريبة مقدارها ثلاثة بنسات على كل رطل ، وأنشأت فى بوسطن مجلسا للضرائب ، وأطلقت يده فى فـــرض الضرائب على البضـــائع الواردة من الاطلنطى ، ولتخفيف وطأة هذه الضرائب أعلنت فى المستعمرات أن حصيلتها ستنفق فى أمريكا لدفع مهايا الحكام والقضاة .

وجد صمويل آدم فى هذا القانون الجديد فرصة يطعن بها انجلترا ، فكتب كتابا دوريا لجميع المســـتعمرات ، جاء فيه : « ان قانون الضرائب الجديد ســـيسبب كثيرا من المتـــاعب ، واقترح أن تتحـــدث كل مســـتعمرة مع الأخرى عن حقوقها بالمراسلة » .

وبدأ « أبناء الحرية » يتحرشون بجباة الضرائب ، واشتدت الأزمة عندما أفرغت حمولة مركب من النبيذ فى بوسطن دون أن تدفع الضرائب ، على مرأى من جباة الضرائب الرسميين . ولم يكتف « أبنـــاء الحرية » بذلك ، بل راحوا يرمون الجباة الرسميين بالحجارة ويحطمون النوافذ .

فزع رجال الجمـــارك وفروا هاربين الى حصن فى الميناء ، وطلب الحاكم نجـــدة سريعة من القوات العسكرية ؛ وجاءت فرقتان من هاليفاكس ، وعسكرتا فى بوسطن .

راح أهالى بوسطن يسبون الضباط بأقذع السباب ، ويسخرون من الجنود ، وقد حدث أن ضرب عامل جندبا ضربة قاضية ، فخف الجنود لنجدة زميلهم ، واشتبك الأهالى والجنود ، ودارت فى الشوارع معارك متتابعة .

وهاجم الأهالى جابى الضرائب ، فأسرع ضابط وثمانية جنود لنجدته ، ووقفوا حول خزانة الجابى شاهرين أسلحتهم . راح الأهالى يصيحون فى الجنود ذوى الأردية الحمراء ، وتحدوهم أن يطلقوا نيرانهم ، وأخذت الجماهير تدنو منهم ، وتلقيهم بالحجارة ، وحاول ثائر أن ينتزع من جندى سلاحه ، فأرداه الجندى قتيلا ، وأطلق الجنود رصاصهم على الجموع الثائرة ، فسقط ستة رجال صرعى .

وانتشر الخبر كالريح ، واذا بالناس تتحدث عن مذبحة بوسطن ، وقام صمويل آدم ينفخ فى نيران الثورة ، فكلف أحد الفنانين برسم صورة للمذبحة ، وكلف الشعراء بنظم قصائد الثورة ، وراح يغذى الصحف بالمقالات ، وظهرت العناوين الضخمة ، الجنود يردون الأهالى قتلى كالكلاب .

ووزعت نسخ من صورة المذبحة على « أبناء الحرية » ، ولاح أن الثورة باتت على الأبواب . ولكن الجنود الذين أطلقوا نيرانهم على الأهالى قدموا للمحاكمة ، وسحبت الحكومة البريطانية قانون ضرائب الزجاج والقصدير والورق ، فهجعت الثورة الى حين .

عزمت شركة الهند الشرقية أن ترسل الشاى رأسا الى أمريكا — فى مراكبها — وأن تبيعه للمستهلكين دون وساطة الوسطاء، فينخفض ثمنه . وذاع ذلك فى أمريكا ، فأيقن المهربون أن فى ذلك القضاء عليهم ، ولما كان المهربون فى ذلك الوقت أقوياء ، فقد بذلوا جهدهم لاثارة الشعب ضد الشركة .

قيل ان الشركة بعملها هذا انما تهدف الى القضاء على منافسيها ، حتى اذا ما خلا لها الميدان تحكمت فى المستهلكين ورفعت أسعار الشاى كما يحلو لها .

وأصغى الشعب الى مهاجمى شركة الهند الشرقية ، حتى انه عندما وصلت أول حمولة من الشاى الى ميناء بوسطن ، هاجم أناس مجهولون السفينة ، وألقوا بحمولتها فى الماء . وأفرغ الشاى فى شارلستون فى مخازن رطبة ، وترك حتى تسرب التلف اليه ، وعادت المراكب من حيث أتت .

جرحت كبرياء الحكومة البريطانية ، فأمرت للتدليل على قوتها باغلاق ميناء بوسطن ، وقررت عدم فتح الميناء حتى يدفع سكان بوسطن تعويضا للشركة عن خسائرها .

وأرسلت بوسطن الى المستعمرات تدعوها الى عقد مؤتمر مشترك للتشاور فى الأمر ، ووافقت المستعمرات على ذلك ،

وبعثت كل مستعمرة ممثليها ، وكان جورج واشـنطن أحد سبعة أرسلتهم مستعمرة فرجينيا .

وتقرر أن يعقد المؤتمر الأول للقارة الأمريكية فى فيلادلفيا .. وفى ٥ سبتمبر ١٧٧٤ انعقد أول « كونجرس » !!

لم يحفل النـاس فى فيلادلفيا بافتتاح المؤتمر ، ولم تتحدث عنه صحف ذلك العصر الا قليـلا . وراح جورج واشنطن ، وباتريك هنرى ، وصناع التاريخ الأمريكى ، يذرعون طرقات المدينة على ظهور جيادهم ، دون أن يجذبوا أنظار الجمـاهير اليهم . لم يفطن النـاس ــ آنئذ ــ الى أهميـة الدور الذى سيلعبه ذلك المؤتمر فى حياتهم المستقبلة .

ودام انعقاد المؤتمر اثنين وخمسين يوما ، عرض فيها المندوبون آراءهم المتباينة غاية التباين ، المختلفة كل الاختلاف .. فبينا طالب أعـداء انجلترا بالاسـتقلال عنهـا ، وفصم جميـع العرى التى تربطها بالمسـتعمرات ، والتخلص من سـيطرتها وطغيانها ، اذ بطلاب السـلام يقدمون خطة تهدف الى اتحاد المستعمرات مع انجلترا .

وانقضى الكونجرس الأول ، وكانت ثمرته «اعلان الحقوق» ، وقد تقـرر أن يبعث بها الى الحكومة البريطانيـة . ولم يكن للكونجرس بعد سلطة تمكنه من تنفيذ قراراته .

راح الثوار يعتـــدون على المخلصين لانجلترا ، ولم تخف بريطانيا لنجدة أعوانها ، بل تركتهم يدافعون عن أنفسهم .

كان مرجل غضب الثوار يفور فى بوسطن ؛ كانوا ينـــادون بالاستقلال والانفصال عن انجلترا . وحدث أن حاولت القوات البريطانية القبض على الثوار ، واذا ببعض الفـــلاحين يطلقون على القوات البريطانية النار ، وكان ذلك ايذانا ببدء القتـــال المسلح .

وسمع الرجال ببدء القتـــال ، فجاءوا مسرعين من كل فج يحملون بنادقهم ، ليشدوا أزر اخوانهم فى بوسطن .

وبلغت جورج واشنطن أنباء ما يجرى فى بوسطن ، فقام فى مجلس فرجينيا ، وقال : « انه يرغب فى تجنيد ألف مقاتل على نفقته ، ليسير بهم لنجدة بوسطن . »

وحان موعد انعقاد «الكونجرس» الثانى، فارتدى واشنطن ثيابه العسكرية ، معلنا أن وقت القتال قد حان ، وانطلق الى فيلادلفيا .

واندفع لهيب الثورة فى المستعمرات ، ولكن القتال كان على أشده بين الثوار والبريطانيين فى بوسطن .

احتل ثوار بوســطن تلا يشرف على المدينــة ، فكان على

الحامية البريطانية أن تنسحب منها ، أو تجلى الثوار عن موقعهم الاستراتيجى الخطير .

وتأهب الجنود البريطانيون للقتال ، وراحوا يصعدون فى التل مزهوين بثيابهم الحمراء وأزرارهم اللامعة التى تأتلق فى الشمس . كانوا يعتقدون أن الأمريكيين جبناء ، ما ان يروهم مقبلين حتى يفروا كأرانب مذعورة .

ودنوا فى زحفهم من القوات الثائرة الرابضة عند قمة التل ، وفجأة انطلق الرصاص من بنادق الثوار ، واذا بأصحاب الثياب الحمر يتهاوون صرعى ، واذا بسفح التل يختفى تحت جثثهم .

وتفرق شمل البريطانيين ، وفروا مدحورين ، ولكن سرعان ما جمعوا فلولهم ، وجاءهم المدد ، وراحوا يتقدمون نحو الثوار فى صفوف ، وقد أخذوا حذرهم ، وطارت من رءوسهم فكرة أنهم يقاتلون جبناء ما ان يروهم مقدمين حتى يفروا من وجوههم .

وتطاير الرصاص من كل مكان ، ودارت معركة رهيبة قاسية ، وفجأة توقف الثوار عن اطلاق النار ، فقد نفدت ذخيرتهم .

وراح البريطانيون يتقدمون فى حذر ، ورصاصهم يئز فى الجو ، وألفى الثوار أنفسهم عزلا من السلاح ، فانسحبوا مندحرين .

وبلغ البريطانيون قمة التل ، ورفعوا علمهم فوقه . كسب الانجليز التل . وكسب الامريكيون ثقة بأنفسهم ، تلك الثقة التى ستمكنهم من طرد المستعمرين ونيل استقلالهم .

- ١٦ -

الثورة تتلفت تبحث عن قائد يقودها ، والكونجرس الثانى منعقد فى فيلادلفيا ، وفكرة اتحاد المستعمرات فى كفاحها بدأت تنبت فى أذهان بعض المفكرين بالمؤتمر .

واجتمع الكونجرس يبحث عن قائد عام يوليه قيادة جيوش الثوار ، ووقف جون آدم يتحدث فرنت اليه الأبصار .

كان جورج واشنطن جالسا يرقب ماتتمخض عنه الأحداث، وهو فى ثيابه العسكرية ، فلما قال جون آدم : « انه يرشح جورج واشنطن ليكون قائدا عاما لقوات المستعمرات » نهض جورج ، وانسحب من المكان ليترك للأعضاء حرية المناقشة .

وعارض الترشيح بعض المندوبين ، كما عارضه بعض مندوبى فرجينيا نفسها ، وأجل البت فيه حتى اليوم التالى .

وفى اليوم التالى أعيد انعقاد المؤتمر ، وانتخب جورج واشنطن قائدا عاما بأغلبية طفيفة فى الأصوات .

ووقف جورج يشكر الأعضاء على ثقتهم به ، ويعلن أنه لن يتقاضى أجرا على عمله ، وقوبل قراره هذا مقابلة حسنة ، وجعله بطلا شعبيا .

وامتطى جورج واشنطن حصانه ، ليثبت للبريطانيين — الذين

رفضوا يوما ما ، أن يكون ضابطا فى جيشهم النظامى ـ أنه أكفأ من جميع ضباطهم العظام ، وأجدر ممن رفضوه .
وسكت فرسان الكلام والأفكار ، فقد بدأت مدافع جورج واشنطن تتحدث .

***

انطلق واشنطن الى بوسطن ، وراح يعمل على تدريب الجنود المتطوعين ، لتكوين جيش نظامى ممتاز ، يكون كفؤا للجيوش البريطانية العريقة .ودارت المعارك بينه وبين بريطانيا ، وانتهت بنصره المظفر وتطهير المدينة من المستعمرين .
وراحت الحوادث تتتابع بعد جلاء البريطانيين عن بوسطن ، والأنباء تتطاير فى طول البلاد وعرضها ، وتعلقت الآمال بجيوش واشنطن المظفرة .
معركة لونج ايلند .. معركة خليج كيب .. معركة مرتفعات هارلم .. معركة هويت بلينز .. البريطانيون يستولون على قلعة واشنطن فى الهدسن .. الأمريكان يجلون عن قلعة لى ونيوجيرسى ، ويبدأون الانسحاب الى ديلاوير .
انتصارات وانكسارات ، فرح وقلق ، عواطف متباينة ، مشاعر متبدلة متغيرة ، شىء واحد كان ثابتا لا يتغير ، ثقة واشنطن بنفسه وايمانه بنصره النهائى .
واشنطن وجيشه يعبرون ديلاوين الى بنسلفانيا .. واشنطن

يعبر ديلاوير مرة أخرى ويهزم البريطانيين فى ترنتون .. واشنطن يهزم البريطانيين ثانية عند برنستون ..

البريطانيون يجلون عن فيلادلفيا ، ويتحركون الى نيوجرسى ، وواشنطن يجد فى أثرهم .

واشنطن يهزم البريطانيين عند مونموث .

واشنطن ملء السمع ملء البصر !!

— ١٧ —

العداوة شديدة بين فرنسا وبريطانيا ، فلماذا لا يستفيد واشنطن من هذه العداوة ، ويتحالف مع الفرنسيين ، ويستغل مواردهم فى دحر أعدائه ؟!

وعاد واشنطن الى مقاطعة نيوانجلاند ، واتصل بالفرنسيين ، وعقد معهم مؤتمرا حربيا فى مدينة هارتفورد . راح يفوض الكونت روشامبو على أن يشترك الفرنسيون فى القتال ، وأن يهاجم الأسطول الفرنسى المرابط فى نيوبورت الأسطول البريطانى المرابط فى جاردنر .

وتم الاتفاق بين واشنطن والكونت روشامبو ، وعين واشنطن قائدا عاما للجيوش الأمريكية والفرنسية . ثم عاد الى مقر قيادته فى نيويورك .

وفى أول مارس من عام ١٧٨١ ، تلقى واشنطن رسالة من

أمير الأسطول الفرنسى : بأن الوقت قد حان لمهاجمة الأسطول البريطانى ، وأن القطع البحرية الفرنسية ستتحرك للقتال .

كان واشنطن يتوق لرؤية الأسطول الفرنسى فى تحركه ، ليبارك ابحاره ، فعزم على أن ينطلق الى نيو انجلند ، ولكن مساعديه أكدوا له ألا فائدة من سفره ، لأنه سيصل قطعا بعد اقلاع الأسطول ، ولكنه امتطى جواده ، وقد صم أذنيه عن نصحهم ، وراح يسابق الريح .

كانت رحلة شاقة ، الحصان ينهب الأرض ، وواشنطن يحثه على الاسراع ، والزمن يجرى ، ولم يبق على موعد ابحار الاسطول الفرنسى الا ساعات .

ولاحت نيو انجلند فى الأفق البعيد ، فتجدد الأمل ، وجعل يلكز جواده وقد أرهفت كل حواسه ، وقبل أن تتحرك السفن ، كان ينزل عن ظهر جواده الذى كاد ينفق من الاعياء .

وخف دى توش قائد الأسطول الفرنسى لاستقباله ، وصعد جورج واشنطن تحوطه المهابة والحفاوة على ظهر السفن الفرنسية ، وصافح ضباطها وتفقد استعداداتها ، ثم هبط الى الميناء يلوح للسفن المتحركة بيده ، وقد عقد عليها آمالا كبارا .

— ١٨ —

وعاد الى مقر قيادته يرقب المعـارك الدائرة ، ويتلهف على سماع أنبـاء الاشتباكات البحـرية . ولم تمض عشرة أيام على عودته حتى جاءت اليه أخبار الموقعة التى دارت بين الأسطولين العتيدين : الانجليزى ، والفرنسى .

لقد اشتبكا فى القتال ، وخسر كل منهما قطعتين حربيتين . وكأنما كبرت الخسارة فى نفسى قائديهما ، فانسحبا ، وعاد كل منهما بما بقى من قطعه الى مياهه .. عاد دى توش بسـفنه الى نيوبورت ، بينما ارتد الأسطول البريطانى الى جاردنز .

وحز ذلك فى نفس واشنطن ، ونزل به هم ثقيـل . تبددت الآمال العراض التى بناها على هذه المعـركة البحرية ، وصار مركز جيوشه فى فرجينيا وكارولينا الشمالية دقيقا ، ولكن لم يتسرب اليأس الى قلبه .

واستمر القتال ، وحمى وطيسه ، ولاحت تباشير النصر فى الأفق ؛ فقد جاءت الباخرة الفرنسية كونكورد الى بوسطن ، تحمـل قائدا جديدا للأسـطول الفرنسى ، وبعض صناديد الفرنسيين .

وانطلق واشنطن الى وترسفيل ، وعقد اجتماعا ثانيـا مع

روشامبو وكبار القواد الفرنسيين ، نسقت فيه الخطط الحربية المقبلة .

وسارت الجيوش الأمريكية الفرنسية المتحدة قاصدة يوركتون من نهر الهدسون ، وأسرع الأسطول الفرنسى ليضيق الخناق على المدينة من البحر ، ومن حسن حظ واشنطن أن وصلت الجيوش البرية والبحرية فى وقت واحد الى المدينة ، وأطلقت النيران على المدينة ، فخرت صريعة تحت قدمى القائد المظفر .

وتقدمت الجيوش الأمريكية الفرنسية صوب نيويورك ، فلم تستطع القوات البريطانية الثبات فيها ، وجلت عنها .

وعجز ملك انجلترا عن ارسال امدادات لجيوشه المدحورة ، فانتهت الحرب باستقلال الولايات المتحدة ، وتحققت المعجزة ، ودخل جنرال جورج واشنطن التاريخ من أوسع أبوابه .

— ١٩ —

راحت الولايات الثلاث عشرة تمارس سلطاتها القومية ، عقب استقلالها ، وحاولت بعضها أن تدير شئونها وكأنها أمم مستقلة بذاتها ، ففرضت رسوما جمركية ، وسكت نقودها وألفت جيوشا .

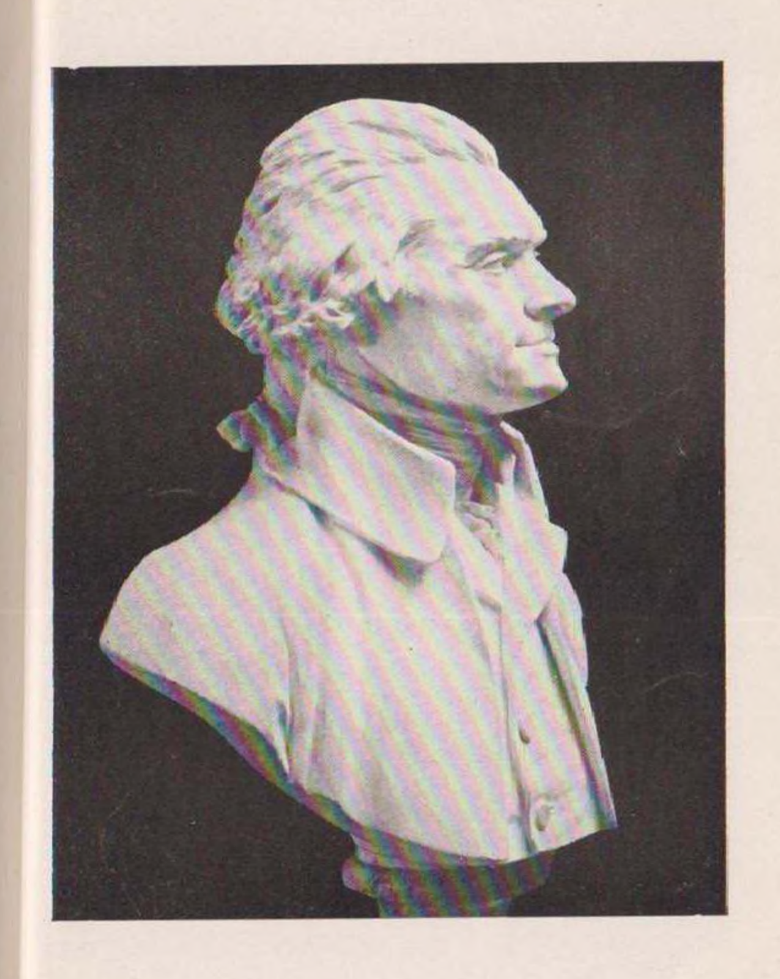
واجتمع ممثلو الولايات فى مؤتمر دستورى ، على رأسه

واشنطن العظيم ، وراح الأعضاء يتحدثون عن وجوب تأليف اتحاد عام بين الولايات ، ثم انتقلوا الى نظام تشريع القوانين وتنفيذها ، فاتفقوا على أن يكون « الكونجرس » مؤلفا من مجلسين ، وقد سمح لكل ولاية ، بغض النظر عن مساحتها ، أو عدد سكانها ، بأن يمثلها « شيخان » فى المجلس الأعلى ، وأن يكون التمثيل فى المجلس الأدنى « النواب » على أساس عدد السكان .

ووضع دستور الحكومة الاتحادية ، وتنازلت الولايات عن طائفة من سلطاتها للحكومة الاتحادية ، التى منحت سلطات : اصدار النقد ، والاشراف على البريد ، واعداد الجيش ، وتنسيق العلاقات التجارية مع البلاد الأجنبية ، وفرض الضرائب ، وعقد القروض .

وانتخب جورج واشنطن — أبو الأمريكيين — رئيسا للولايات المتحدة ؛ فكان بطل التحرير أول رئيس لأول دولة اتحادية .

توماس جفرسون



توماس جفرسون

١٧٤٣ — ١٨٢٦

— ١ —

تأهبت القافلة الصغيرة للرحيل . كانت مكونة من عربة يجرها جوادان ، سقفها نصف أسطوانى من القماش ، فيها امرأة وثلاث بنات ، وطفل صغير ، وقد راح يحوم حولها رجل على ظهر جواد ، وعلى بعد خطوات امتطى بعض العبيد السود جيادهم .

انه بيتر جفرسون ، وزوجته ، وبناته الثلاث ، وابنه الوحيد توماس ، الذى لم يتجاوز بعد الثانية من عمره ، منطلقون الى « توكاهو » .. فقد مات وليم راندولف بعد موت زوجته قبله بزمن يسير وخلف وراءه بنتين وولدا ، وعين فى وصيته أن يكون صديقه وعزيزه بيتر جفرسون وصيا على ابنه توماس . والتمس فى وصيته من صديقه أن ينتقل بأسرته الى منزل آل راندولف فى « توكاهو » ، ليعيش مع أبنائه حتى يصيروا راشدين .

واخترقت القافلة الغابات ، وبعد أن قطعت سبعة أميال ، وصلت الى توكاهو .

ودلف بيتر وأسرته الى الدار ، فاستشعروا راحة .. كانت الدار تختلف عن تلك التى خلفوها ؛ كل شىء فيها ينطق بالغنى ، الأثاث جلب من انجلترا ، والسلالم الصاعدة الى الطبقة العلوية أنيقة رائعة ، والخدم يغدون ويروحون ، وكان لكل بنت من بنات راندولف ثلاث خادمات من الاماء السود يسهرن على راحتها .

فى هذا البيت شب أبناء بيتر مع أبناء راندولف .

ذكر راندولف فى وصيته ضرورة اعطاء ابنه العزيز توماس دروسا خاصة فى منزله . فجلب بيتر جفرسون المدرسين الى الدار ليثقفوا قطيع البنات ، والولدين العزيزين : توماس راندولف ، وتوماس جفرسون .

ودخل توماس جفرسون المدرسة الانجليزية فى الخامسة من عمره، وتعلم اللاتينية فى التاسعة ، وراح مدرسه الاسكوتلاندى يعلمه اللغة الفرنسية ، بالاضافة الى الانجليزية واللاتينية .

كان بيتر جفرسون لا يكلف خادما بأى عمل يستطيع أن يقوم به هو نفسه ، وكان غالبا ما يشترك مع الخدم فى تأدية أعمالهم ، فاقتبس جفرسون من أبيه ديمقراطيته .

وكان بيتر جفرسون يقوم بمسح الأراضى ، فكان يغيب عن بيته كثيرا ، ولما كان توماس هو الولد الوحيد بين قطيع من

الفتيات ، فقد تعلم منذ نعومة أظفاره أن يكون مسئولا عن رعاية أسرته .

وقد علم بيتر ابنه الرماية وركوب الخيل ، وراح يحدثه عن الغابات النابضة بالحركة والحياة .

كان بيتر ممتلئا حيوية ، فصار من القوى المحركة فى فرجينيا ؛ أنشأ مع بعض أصدقائه شركة لكشف الأراضى الغربية وبيعها ، وأنشئت على غرارها شركة فى لندن ، كانت شركة أوهايو للأراضى ثمرة من ثمارها .

راح بيتر مع بعض رفقائه يمسحون أراضى فرجينيا . وبعد جهود مضنية ، تمكن من عمل خريطة دقيقة للمقاطعة ، نشرت فى لندن . وكان توماس جفرسون ـ طوال حياته ـ فخورا بخريطة والده .

وعلى الرغم من وصية وليم راندولف ، فان بيتر جفرسون غادر « توكاهو » قبل أن يبلغ توماس راندولف سن الرشد ، وعاد بأسرته الى شادول ؛ ليشرف على أراضيه . فقد عزم على أن يكون غنيا كآل راندولف وسراة المقاطعة .

— ٢ —

الانجليز والفرنسيون يتأهبون للقتال ، كل منهما يريد أن تكون له السيادة فى أمريكا .. الفرنسيون يشيدون قلعة على حدود أوهايو، والحاكم ديدوينى يبعث جورج واشنطن رسولا الى القلعة ليرى له ما يجرى فيها ، فيعود واشنطن ويكتب تقريرا يطبع عدة مرات ، وينتشر حتى يقرأ فى برلمان انجلترا .

وترسل انجلترا برادوك وينضم واشنطن اليه ، وتدور معارك بين الفرنسيين والبريطانيين ، تكون الدائرة فيها على الانجليز ، وتنتشر أنباء الهزائم فى فرجينيا ويجتمع مجمعها ليناقش الموقف ، ويشترك بيتر جفرسون ـ عضو المجمع ـ فى المناقشات الدائرة .

وكان صيف عام ١٧٥٥ عصيبا على المزارعين ، فأنباء الهزائم تصل من كل مكان ، والضرائب تفرض عليهم ، واغارات الهنود لا تنقطع ، وأسعار التبغ فى ارتفاع ، وقيمة العملة فى انخفاض ، والقوانين الجائرة تصدر فى برلمان انجلترا لتطبق على المستعمرات . فاحتج ممثلو الشعب فى مجلس فرجينيا ؛ الأمر الذى جعل الحاكم دينويدى يحل المجلس ويسرح أعضاءه ، وبذلك انتهت حياة بيتر جفرسون العامة .

وعاد الى أراضيه يعمل على توسيع رقعتها ، وقد نجح فى

عام ١٧٥٥ فى أن يزيدها ألفين من الفدادين ، وصار من أكبر ملاك الأراضى . ولكنه سـقط مريضا فى عام ١٧٥٧ ، وراح الطبيب يعوده من وقت لآخر ، ثم راح يزوره ثلاث مرات فى الشهر ، ثم مرتين فى الأسـبوع ، ثم كل صـباح ، وفى ١٧ أغسطس من نفس العام لفظ آخر أنفاسه .

مات بيتر جفرسون ولما يبلغ الخمسين ، وعين بعض أصدقائه المخلصين أوصياء على أولاده ، وأوصى بكتبه وآلاته لابنـه توماس ، وأن يقسم عبيده بين ولديه توماس وراندولف الذى ولد قبل موته بسنتين ، وأن يختـار توماس بعد بلوغه سن الرشد بسنة بين أراضى جيمس العليا ، وأراضى فلوفانا ، وأن تصبح الأراضى التى يختارها ملكا له ، وتصير الأراضى الأخرى ملكا لأخيه راندولف .

كان بيتر جفرسون رجل أعمال لا أقوال ، فيسر لابنه سبل العيش وهيأ له الفرصة ليبدأ حياته من حيث انتهى هو ، هيأ له فرصة التثقيف والتعليم التى ستمهد له الطريق لتقوده الى البيت الأبيض ، البيت الأمريكى العتيد .

- ٣ -

كان توماس جفرسون فى الرابعة عشرة عندما مات أبوه ، وكان أخوه راندولف ما زال صغيرا ، كان الصبى الوحيد الذى شب عن الطوق فى أسرة من النساء . وكانت أمه لا تجيد الا ادارة شئون بيتها ورعاية أبنائها . فكان عليه أن يحدد أماكن عمل العبيد ، ومتى تتحرك قطعان الأغنام من مرعى لآخر ، ومتى يتم الحصاد وفى أى وقت تسرج الخيل . وقد اكتسب من كل ذلك صفة الاعتماد على نفسه ؛ تلك الصفة التى ستبرز فى مستقبل حياته .

وقرر أصدقاء أبيه ضرورة التحاقه بمدرسة ، فذهب توماس ليتثقف ويزيد فى معارفه ، وكانت أيام دراسته من أمتع سنى حياته ، حتى انه كان يستشعر نشوة كلما تذكر تلك الأيام .

كانت مدرسته — أو الدار التى يتلقى فيها العلم بمعنى أصح — على سفح جبل ؛ لذلك كان يطلق على أيام دراسته « أيام الجبل » ، وقد كان فى تلك الأيام يمكث فى غرفته عاكفا على القراءة ، لا يغادرها حتى يتم استذكار دروسه ، فقد تعلم من أبيه أن على الانسان عملا يؤديه فى هذه الحياة .

كان لايتألق اذا ما تجاذب أطراف الحديث مع رفاقه ، ولكنه

كان يستشعر سعادة غامرة اذا ما انفرد يقرأ فى كتاب ، وكان يلتهم كل الكتب التى تقع فى يده .

وكان هناك عدة مكاتب خاصة فى المنطقة ، فكان يستعير منها كتبا ليقرأها ، ثم بدأ فى شراء كتب لنفسه .

وكان فى أوقات فراغه يخرج للصيد ، ويتسابق مع زملائه ، ويشاطرهم لهوهم البرىء ، وتمتلىء نفسه غبطة ، ولكنه كان يستشعر أسى عندما يعود الى داره .

كانت الدار غارقة فى الصمت بعد موت أبيه .. ماتت الحياة التى كانت تدب فى البيت عقب عودة بيتر جفرسون من رحلاته فى مسح الأراضى ، أو من رحلات الصيد ، أو من زيارة زعماء الهنود .

ووقف توماس جفرسون على أعتاب الرجولة ، وبدأ فى تعلم المحاماة ، واذا به يقاسى من وحدته ، ومن الحياة الرتيبة التى يحياها ، حتى انه كتب الى أخيه راندولف ـ يوما ـ رسالة تنضح بالضيق الذى يقاسيه الشاب الطموح : « .. كل شىء هنا يسير فى طريقه المألوف ، اننا نستيقظ فى الصباح لنتناول افطارنا ثم غداءنا وعشاءنا ، ثم نعود الى الفراش لنستقبل اليوم التالى لنمارس نفس الشىء ، ان أمسنا هو يومنا لا فرق بينهما » .

— ٤ —

انطلق توماس جفرســون على ظهر جواده الى وليمزبرج ــ عاصمة فرجينيــا ــ ليلتحق بكلية الحقوق ، كان ذلك فى ربيع ١٧٦٠ ، وكان هو فى الســابعة عشرة ، فصــار يتلفت سعيدا .. المدينة تغص بالعبيــد والبيض .. والمكتبات تزدان بالكتب الواردة من بريطانيا .. وغرف المنتديات تأتلق بالفتيات الجميلات ؛ كانت المدينة تنبض بالحياة .

وقدم نفسه لعميد الكلية ، وانخرط فيها . كان بها أقل من مائة طالب ، وكان التدريس بها على وشــك أن يتوقف ؛ فقد كانت الثــورة على قانون ضريبة « البنسين » تكاد تشــل كل شىء .

وأرغم العميد على الاســتقالة ، واستقال بعض الأساتذة ، حتى أستاذ الفلسفة اضطر الى تقديم استقالته ، وكان من حظ جفرسون أن عين وليم سمول استاذا لتدريس الفلسفة .

كان جفرسون يقدرأستاذه ــ هذا ــ ويحبه ، لاتساع أفقه وتفكيره الحر . وبلغ من اعجاب جفرسون به ، أنه كان يرافقه فى جميع أوقات فراغه ، ومن مناقشاته معه حصل معظم معارفه.

وكان مثل طلبة هذه الكلية ، كمثل طلبة جميع كليات العالم ؛ يحبون النقــاش ، والاعجاب بسماع رنين أصواتهم ، فكانت

المناقشات تدور بينهم ، تشتد حينا وتلين حينا ، وتساعد كثيرا على تكوين شخصياتهم ، وقد كانوا يهتمـــون بالجدل الدائر بينهم فى حلقاتهم المسائية أكثر من اهتمامهم بمحاضرات اللغـــة اللاتينية .

لم يكن جفرسون طلق اللسان ، ولا ممن يجيدون المناظرات ، فكان يصغى الى الأحاديث صامتا ، يختزن فى عقله الطريف من الأفكار ، ويتغذى بالنظريات الجديدة التى تعالجها الكتب التى يعكف على قراءتها .

كان لا يترك دقيقة فى حياته تمر دون أن يســتفيد منها ، كان يستذكر دروســه حتى اذا ما انتهى منهـــا ، يذهب الى غرفة «أبولو» ليرقص ، أو يمتطى صهوة جواده للرياضة ، أو يذهب الى اجتماع مجلس الولاية ليصغى الى النقاش السياسى المحتدم بين الأعضاء .

استمع الى مشاكل بلاده ، واذا باهتمامه يتجه اليها ، واذا بكل تفكيره يتركز فيها .

— ٥ —

فرجينيا تحتفل بعيد الميلاد ، وطلبـــة كلية الحقوق ينتهزون فرصة الاجازة ليرفهوا عن أنفسهم . وبينا كان جفرسون ينعم بساعات فراغه مع رفاقه ، تعرف بباتريك هنرى .. كان هنرى أكبر من جفرسون سنا ، وكان متزوجا ، وكان مغرما بالرقص

وركوب الخيل ، وكان طلق اللسان ، ومحدثا بارعا . وقد أعجب جفرسون بموهبته فى الحديث ، فتوطدت بينهما صداقة متينة .

قرأ باتريك هنرى القانون ستة أسابيع ، أعلن بعدها استعداده لتأدية الامتحان الذى يؤهله ليكون محاميا !

ودخل باتريك هنرى الامتحان واجتازه ، وأصبح محاميا ، بل صار أعظم محام فى فرجينيا .

تداول الناس اسمه بعد مرافعاته الناجحة فى بعض القضايا الهامة . وذاع صيته لما ناقش بعض القضايا السياسية ، ولكن نجمه تألق يوم نهض فى مجلس فرجينيا يهاجم قانون الدمغة الذى فرضته الحكومة البريطانية على مستعمراتها فى امريكا .

تحدث باتريك هنرى عن كفاح المستعمرات : ورغبتها فى الحرية والسعادة ، كان حديثه فياضا بالمشاعر الصادقة ، زاخرا بالاحساسات الحارة ، حتى ان صديقه جفرسون طالب الحقوق كان يرمقه مأخوذا ، أحس فى أعماقه أنه يعش فى لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة .

أوضح باتريك هنرى أن لمجلس فرجينيا — وحده — حق فرض الضرائب على أبناء فرجينيا ، وأن على المجلس أن ينكر حق انجلترا فى فرض ضرائب جائرة على سكان المستعمرات . وانتشرت كلمات هنرى فى المستعمرات انتشار النار فى الهشيم ، وأججت نيران الثورة فيها .

كان معظم ذوى النفوذ فى المستعمرات يرون الخضوع لقانون الدمغة ، ولكن ثورة باتريك هنرى عليه حركت غضب

الجماهير ، ونكأت جروح نفوسهم ، فراحوا يحرقون بيوت من عينوا لجمع الدمغة ، ويجرون وراء الجباة فى الطرقات يتهمونهم بالخيانة .

وكان احساس جفرسون صادقا ، عند ما كان يصغى الى خطبة صديقه ، فقد كانت خطبته عملا حاسما حقا فى تاريخ أمريكا .

- ٦ -

سافر جفرسون الى المستعمرات الشقيقة ليلم بأحوالها ، ولينسى فجيعته فى أخته جان ، التى كان يحبها كل الحب .

كانت فرجينيا تستورد كل ماتحتاج اليه من انجلترا ، ولكن مدن المستعمرات الشقيقة التى زارها كانت تنتج كثيرا من السلع الاستهلاكية . رأى فى أسواقها : الترزية ، وصناع الأحذية ، ومصانع الأثاث . وقد أثر ذلك كثيرا فى نفسه الشابة ، وتكونت فى أعماقه فكرة امكان اكتفاء المستعمرات بامكانياتها ، وان لم يحسها بوضوح فى ذلك الوقت .

قابل فى فلاديلفيا وفى نيويورك أناسا جاءوا من لندن ، ورأى اللوحات الفنية الرائعة التى حملوها معهم ، وتحدث معهم فى الفن والطب والفلسفة والقانون والسياسة ، فزادت تلك الأحاديث فى معارفه ، ووسعت مداركه .

ورأى العمارة تنتشر فى نيويورك .. أعمدة كنيسة سان بول الضخمة آخذة فى الارتفاع ! والمبانى الجميلة قائمة هنا وهناك ! والحوانيت مكتظة بالكتب والتحف والثياب ! والطرقات تنبض بالحياة ! والفرق الموسيقية تعزف فى القاعات !!

وبدأت الصورة تتضح فى ذهنه ، من الميسور أن تقوم فى هذه البلاد حضارة خاصة مستقلة .. حضارة أمريكية .

وقفل عائدا الى فرجينيا — أحب البلاد الى قلبه — وقد احتل مستقبلها كل تفكيره . ان الناس بها يتحدثون عن انجلترا باعتبارها الوطن ، وهم يعتبرون أنفسهم بريطانيين ، ولكن الناس الذين قابلهم فى فلادلفيا ونيويورك بدأوا يتحدثون عن أنفسهم كأمريكيين ، وانه لجميل أن يستشعر المرء فى أعماقه قوته وقدرته على أن يستقل عن الآخرين ويعتمد على نفسه .

وراح حلم الاستقلال يراوده ويداعب خياله .

— ٧ —

التهمت النيران منزله فى شادول ، وانتقل الى مونتيسللو حيث شيد منزلا مكونا من غرفة واحدة .

وأصيب بما يصاب به الشباب ؛ وقع فى الحب ، وتأهب للزواج ، فكان عليه أن يزيد عدد الغرف فى داره ، فراح يعمل فى همة ونشاط فى بناء جناح يليق بالزوجة العزيزة .

ذهب الى منزل مارتا سكلتون ، حبيبة الفؤاد ، وتم عقد الزواج ، ثم انطلق الزوجان فى عربة يجرها جوادان .

التصق الجسمان ، وخفق القلبان ، ورفرفت السعادة فوق العربة المنسابة فى الطريق المغطى بالثلج الناصع البياض . وبلغا مدينة بلنهيم ، وعجزت العربة عن الانطلاق فوق الثلوج المتراكمة فوق التلال ، فغادراها وامتطيا الجوادين ، وراحا يعدوان مغتبطين ؛ ليقطعا الأميال الثمانية الباقية ليبلغا العش السعيد .

ووصلا الى موتنيسللو وقد أتى المساء ، فحمل زوجته ودخل الى عش شهر العسل ، فألفى العبيد قد ذهبوا الى فراشهم وراحوا فى نوم عميق ، فذهب بحمله اللطيف الى غرفته ، وهو سعيد .

وانقضى الليل بأحلامه . وجاء الصباح ، وفتحت الزوجة عينيها ، فاذا الغرفة غاصة بالكتب ، فقامت تنظر ؛ انها كتب فى الشعر لبوب ودريدن وشكسبير ، وفى المسرحيات ، وفى القصص ، وفى الفلسفة ، وأحدث المؤلفات فى القانون البريطانى . وظلت تعبث فى الكتب مسرورة ، فقد كانت مغرمة بالفنون جميعا وان كانت تهوى الموسيقى .

وظلا فى البيت معا حتى توقف تساقط الثلوج ، ثم خرجا يتجولان ، وقد أمسك جفرسون بيد مارتا ، وراح يحدثها عن آماله وقد التمعت عيناه بالسرور .

راح يحدثها عن البيت الذى يتمناه لأسرته . بيت حديث ،

له نوافذ كثيرة تطل على تلال فرجينيا الجميلة ، لحظائره ومماشيه أسقف تمكنه من أن يتنقل فيه دون أن يعوق تنقله تساقط الثلوج أو أشعة الشمس الحامية التى تشوى الجلود ، وأن تلحق به أجنحة يسكنها كل من يعملون فيه .

وبدأ فى تنفيذ أمانيه ، عكف على تشييد مونتيسللو على هواه ، فجاء وفق مشتهاه ، وقد أمضى فيه مع مارتا أسعد أيام حياته .

— ٨ —

كان سعيدا فى زواجه ، وكان ثريا ، ورثت زوجته ضيعة لا تقل عن ضيعته ، وقد انتخب عضوا فى مجمع فرجينيا .

وعينه الحاكم ضابطا مكان أبيه ، وصار مساح أراض رسميا كأبيه ، وبدأ فى ممارسة المحاماة ، وقد مكنته اجادته لركوب الخيل من أن يكون محاميا ناجحا ، فقد كان على المحامى فى ذلك الوقت أن ينتقل من محكمة الى أخرى على ظهر جواده .

واختلط بالفرجينيين فى قضاياه ، وفى تنقلاته ، فعرفهم عن قرب ، وراح ينظر الى ما يدور حوله بنظرة الفيلسوف .

كان كل شىء فى المستعمرات آخذا فى الاتساع والتضخم ، فعلى الرغم من القيود التى تفرضها انجلترا كانت التجارة والصناعة فى نمو مطرد ؛ فأمريكا الشمالية تنتج من خام الحديد

أكثر مما تنتجه بريطانيا وويلز معا ، ان هذه المستعمرات تشق طريقها فى الحياة ، ولن يحول بينها وبين أخذ مكانها بين الأمم تعسف ملك ظالم ، أو توجيهات بطانته الفاسدة .

وخلص جفرسون من تفكيره بحقيقة واضحة ، ان حق انجلترا على المهاجرين البريطانيين بعد أن هاجروا الى الدنيا الجديدة ، كحق السكسونيين على السكسونيين الذين هاجروا وهبطوا انجلترا وأصبحوا أصحاب السلطة فيها .

كان يبحث عن حقيقة تاريخية تقنعه بحق بلاده فى الانسلاخ عن بريطانيا ، الوطن الأم ، وقد وجد هذه الحقيقة ناصعة فى انجلترا نفسها ، فقد انسلخت عن السكسونيين ، ولم يعد لهم عليها سلطان .

واقتنع جفرسون بالأفكار التى كانت تدور برأسه ، فعقد العزم على أن يعمل كمواطن صالح على تحرير بلاده ، واطلاق يدها فى ادارة شئونها .

وبدت عداوة الفرجينيين لملك بريطانيا وقوانينه الضرائبية الجائرة تظهر واضحة فى مجمع فرجينيا ، فأمر الحاكم باغلاق المجمع ، وقد حسب أن الأعضاء سينفضون ويعودون الى دورهم ، ولكن حدث أن اجتمعوا فى اليوم التالى فى « الأبولو » ، وكونوا مؤتمرا قرروا فيه مقاطعة البضائع البريطانية ، وراح جفرسون ورفاقه يكتبون المنشورات ويبعثون بها الى أهالى المستعمرة .

وأقام الحاكم حفلة راقصة فى داره ، واذا بمائة سيدة من

المدعوات يقبلن الى الحفــل وهن يرفلن فى ثيــاب من صنع بلادهن ، عوضا عن الحرير المســتورد من انجلترا ، واتسعت عينا الحاكم دهشة ، ورفت بسمات الغبطة على شفاه الوطنيين ، فقد نجحت حركة المقاطعة .

— ٩ —

أخذت الهوة بين انجلترا ومستعمراتها فى الاتساع ، وراح « أبنــاء الحرية » ينفخون فى نار كراهية شعب المســتعمرات للملك جورج الثالث وبطانته ، ورأى جفرسون وبعض رفاقه ألا يقفوا مكتوفى الأيدى أثناء تعطيــل مجلسهم ، فاجتمعوا وقرروا انشاء لجنة للمراسلات ؛ تقوم بالتحرير الى المستعمرات الشقيقة ، وتعمل على تأليبها على بريطانيا .

وأنشئت لجنة المراســلات ، ولم يكن عملها جديدا ، فقد أنشأ صمويل آدم فى بوسطن لجنة — من قبل — تقوم بتبصير الناس بمساوىء انجلترا ، وكانت هذه اللجان الحلقات الأولى فى تشييد صرح الاتحاد .

وتأججت نار الثورة فى النفوس ، وملئت كراهية لبريطانيا وبضائعها ، حتى انهم هاجموا فى ميناء بوسطن مركبا انجليزيا محملا بالشــاى ، وأغرقوا حمولته ، فثارت بريطــانيا وقررت اغلاق الميناء .

واجتمع جفرسون ورفقاؤه فى لجنة المراسلات فى «الأبولو»، وقرروا أن يتصلوا بلجان المراسلات فى المستعمرات الأخرى ؛ لكى توفد مندوبين عنها للاشــتراك فى مؤتمر عام ليتناقشــوا جميعا فى آمالهم المشتركة .

وتقرر عقد « الكونجرس » الأول فى فيلادلفيا ، وامتطى جفرسون صهوة جواده وانطلق ، ولكنه أصــيب فى الطريق بدوسنتاريا حادة اضطرته الى العودة الى موتيسللو ، وارسال رسالة عوضا عنه .

وطبعت الرسالة فى وليمزبرج ؛ وكانت تدور حول حقوق أمريكا البريطانية ، وانتشرت حتى بلغت لندن ، وطبعت هناك.

أحس كل من قرأها من الشعب أنها تعبر عن آلامه وآماله ؛ فقد كشف فيها عن جذور الخلاف بين السلطة المركزية والمنادين بالحرية التى ينشدها الشعب الأمريكى ، تلك الحرية التى عمى عنها المتحدثون السياسيون باسم بريطانيا .

قرأ مزارعو فرجينيــا وفلاحو بنسلفانيا وصــغار التجار والصناع عباراته الملتهبة : « ... كان أجدادنا قبل أن يهاجروا الى أمريكا من سكان بريطانيا الأحرار ، وكانوا ينعمون بذلك الحق الذى وهبته الطبيعة لكل انسان ... » ، فأحســوا دماء حارة تتدفق فى عروقهم ، وقوة تدب فيهم لتحطم كل ما يقف فى طريق حريتهم من عقبات .

وفى مارس من عام ١٧٧٣ انعقد مؤتمر آخر فى كنيسة سان جون ، وكان جفرســون عضوا فيه ، ولكنه لم يكن عضوا

متألقا ، فما كان يجيد الخطابة ؛ فقد كان تأثيره طوال حياته محصورا فى النقاش الدائر حول المناضد ، أو فى رسائله وكتاباته.

انه صوت باتريك هنرى الذى رن مدويا فى هذا المؤتمر : « أيها الرفاق : قد يقال سلاما سلاما ، ولكنه لن يكون سلاما !! اننى لا أدرى ماذا يكون مسلك الآخرين ؟ ولكننى أدرى مسلكى ... أعطونى حريتى ، أو أعطونى الموت ... » .

ودق صدره بقبضته ، فأحست الجماهير قلوبها تدق حماسة.

كان جفرسون يرنو اليه معجبا ، وأعاره واشنطن سمعه ، وتطلع اليه الفرجينيون ـ أبناء مقاطعته ـ تطلعهم الى زعيم يقودهم فى ثورتهم ، كان ملء السمع ، ملء البصر ، يحتل مسرح الحوادث ... بينا كان جفرسون وواشنطن فى مقاعد النظارة .

— ١٠ —

العلاقات بين التاج البريطانى وسكان المستعمرات الامريكية تزداد سوءا ، والأمريكيون الأحرار يهيئون الأفكار لانشاء حكومة أمريكية جديدة ، فراحوا يناقشون نوع تلك الحكومة ، وراح جون آدمز يراسل زملاءه الأحرار ويحدثهم عن الحكومة المرتقبة . كان يرى أن غاية الحكومة هى اسعاد المجتمع ، وأن

غاية البشرية اسعاد الفرد . وعلى هذا الأســاس كان يرى أن أفضل حكومة هى التى تحقق رفاهية غالبية المواطنين .

كانت المناقشــات الدائرة حول ماهية الحكومة المرتقبــة محصورة بين قلة من المثقفين ، حتى اذا ما جاء ١٠ ينــاير سنة ١٧٧٦ ، وأصــدر توم بين صحيفة « البداهة » ، نشر فيهــا ما يدور بين الخاصة عن الحكومة المنتظرة .

ونشر جون آدمز ـ فى مجلة فرجينيــا ـ آراءه التى كان يبسطها لزملائه فى رسائل حول الحكومة المثلى .

اضطر جفرسون فى نهاية عام ١٧٧٥ ، الى العودة الى داره مسرعا ، فغادر « الكونجرس » ، وترك النقاش الدائر فيــه ، لأن زوجته سقطت فريسة المرض .

قابلته باسمة الثغر ، وان لاح فى وجهها الهزال ، وراح يعنى بها ، ولكن المسألة السياسية كانت تحتل تفكيره .

دخل مكتبته وعكف على كتابة بحث تاريخى ، راح يبرهن فيه على أن ما وقر فى أذهان النــاس من أن نمو المســتعمرات وازدهارها انما هما من صنع التاج البريطانى ، ان هو الا أكذوبة ضخمة ، فما استثمر التاج البريطانى شلنا واحدا فى المستعمرات الأمريكية .

وفى فبراير من عام ١٧٧٦ بعث اليه أحد أصــدقائه بنسخة من «البداهة» ، فاذا بها تتحدث عن شكل الحكومة الفضلى ، متأثرة بآراء جون آدمز .

وبدأت الآراء الجديدة تتبلور فى أذهان التجار ، والمحامين ،

والمزارعين ، والمواطنين . وصار لهم هدف موحد تقاربت فيه الأماني والآمال ، ونبتت فى النفـوس الجـذور التى تكون مجتمعا موحدا .

— ١١ —

٤ مايو ١٧٧٦ ، فيلادلفيا غاصة بوفود المسـتعمرات ؛ فقد تقرر عقد « الكونجرس » فيها للمرة الثانية .

وجاء جفرسـون الى الكونجرس ، وراح يناقش مسـألة الاستقلال ، فقد اقترح أن تمارس كل مقاطعة حقوقها السياسية.

وبعث مجلس فرجينيا الى « الكونجرس » يقترح أن يعلن المؤتمر العام للمقاطعات «الكونجرس» ، استقلال المستعمرات .

وافق « الكونجرس » على المبدأ ، وألف لجنة لصياغة اعلان الاسـتقلال . وكان جفرسون عضوا فى هذه اللجنة ، ولكنه نهض بأعبائها وحده .

فكر جفرسون من قبـل طويلا فى مشكلة بلاده ، ويا طالما عكف فى مكتبته على دراسـة قضيتها ، فلما جلس يكتب ، ازدحمت الأفكار فى رأسه ، وتدفقت الدماء حارة فى عروقه ، وتفجرت مواهبـه ... فقد كان يكتب أخطر وثيقة فى تاريخ بلاده ..

وجرى القلم على القرطاس يسجل :

« أن الناس جميعا خلقوا متساوين .

« وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا تؤخذ منهم . وأن من بين هذه الحقوق : « الحياة ، والحرية ، والبحث عن السعادة » .

« ولكفالة هــذه الحقوق أقيمت الحكومات بين النــاس مستمدة قوتها العادلة من رضا المحكومين .

« وأنه متى أصــبح أى نوع من الحكومة هادما لهــذه الغايات ، كان من حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها وأن ينشىء حكومة جديدة .

واستمر جفرسون يكتب مندداً بملك بريطانيا ومظالمه، ذاكرا أن الانجليز قد أصموا آذانهم عن صوت العدالة ، ولم يصيخوا لداعى القرابة والعصب ، ثم راح يعلن « الاستقلال » :

« بنــاء على هذا ، فاننــا نحن ممثلى الولايات المتحــدة الامريكية ، فى مؤتمر عام ، مجتمعين ، سائلين الله القاضى الأعلى سداد نياتنا ، نعلن وننشر ، باسم شــعب هذه المستعمرات الطيب وبتخويل منه : أن المستعمرات المتحدة هى ، ومن حقها أن تكون ، ولايات حرة مســتقلة ، وأنها طليقة من كل تبعية للتاج البريطانى ، وأن كل صلة سياسية بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى هى ، وينبغى أن تكون ، منحــلة تماماً . وأن لهــا ، بوصفها ولايات حرة مســتقلة ، كامل الســلطة فى : اعلان الحرب ، وابرام الصلح ، وعقد المعــاهدات ، واقامة التجارة ، والقيــام بكل الأعمال والأمور التى يحق للدول المستقلة أن

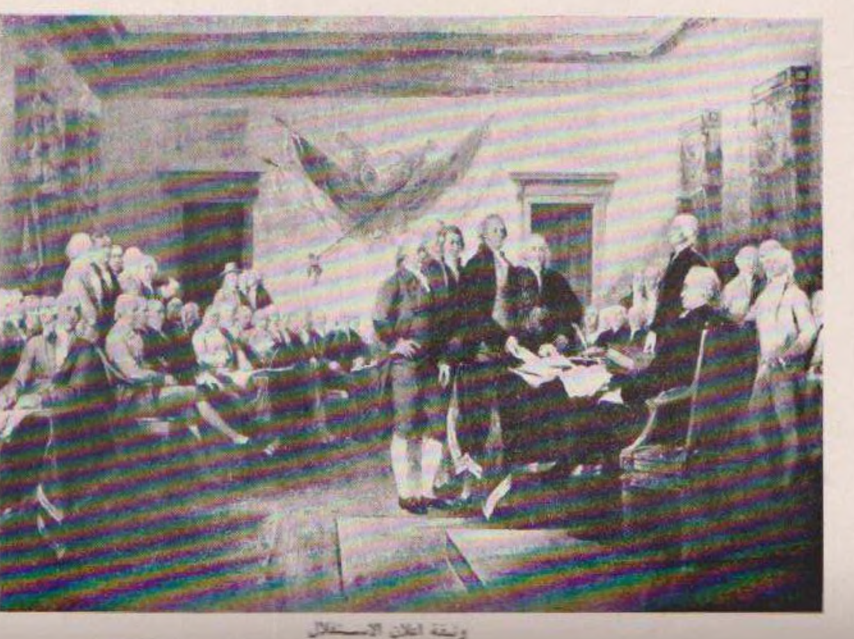
تقوم بها . وفى سبيل تأييد هذا الاعلان ، مع اتكالنا الوثيق على رعاية العناية الالهية ، تتبادل فيما بيننا العهد ببذل أرواحنا ، وأموالنا ، وشرفنا المقدس . »

– ١٢ –

دارت الحروب بين قوات بريطانيا وبين قوات المستعمرات فى كل مكان ، وبذلت الجهود لتسليح الملايين وتدريبهم ، وبدأت الولايات فى انشاء قوة بحرية ، واهتمت السلطات الجديدة بالتجارة وتنميتها ، فقدكانت الأفكار والسواعد تعمل فى همة لتأسيس دولة عظيمة .

وراحت المؤتمرات تعقد هنا وهناك ، والمناظرات تشتد وتلين ، والآراء تتصارع ، ولكن كان هدف الجميع تحقيق الاستقلال الذى أعلن فى « الكونجرس » ، وتثبيت دعائم النظام الجديد .

وعاد مشروع فرانكلين ، الذى يدعو الى اتحاد الولايات ، الى الظهور ثانية بعد أن أهمل عاماً كاملا ، وناقشه مجلس المندوبين . ولكن حاجة الجيوش المحاربة الى الملح والبارود والأسلحة ، كتمت أنفاس تلك المناقشات الى حين ؛ فقد كانت الدولة الناشئة فى حاجة الى رجال الأعمال ، رجال لهم خبرة



وثيقة اعلان الاستقلال

فى الحرب والقتال البحرى ، رجال ليس لهم هدف فى الحياة الا أن يبذلوا مهجهم فى سبيل بلادهم .

وفى سبتمبر ـ من نفس العام ـ عاد جفرسون الى داره بعد أن حرر وثيقة الاستقلال ؛ ذلك العمل الذى يعتبر من أجل ما قام به فى حياته !! وانتخب مندوبا فى مؤتمر المندوبين الذى عقد فى وليمزبرج . ولما كان متعلقا بالدين فقد انتخب فى اللجنة التى كانت تبحث فى الحرية الدينية ، وفى تلك اللجنة توطدت الصداقة بينه وبين الشاب جيمس ماديسون .

كان هدف ، جفرسون أن يحرر الأمريكيين من ربقة الكنيسة، وأن يجعل الناس أحرارا فى عباداتهم ، وأن ينشر التعليم بينهم ، ليعلمهم ما لهم وما عليهم ، ليكونوا أهلا لحكم أنفسهم بأنفسهم ، وليصبحوا جمهوريين حقا .

كان المحرك فى لجان القوانين ، وكان الصائغ للقوانين المنظمة للمعاملات فى الولايات ، وقد عاونه معاونة صادقة جورج ماسون ، وكان من أحكم الرجال البارزين على مسرح الثورة.

كان غارقا فى العمل ، ولكن قبل أن ينفرط عقد مجلس فرجينيا ، انتخب رئيسا للجنة تعديل القانون البريطانى المطبق فى فرجينيا . واجتمعت اللجنة فى ١٣ يناير من عام ١٧٧٧ ، وفى أثناء انعقادها جاءت الأنباء من الميدان بأن جورج واشنطن فاجأ القوات البريطانية عند برنستون ، وانتصر عليها .

ارتفعت روح الامريكيين المعنوية ، وتأججت نيران الحماسة

فى صدورهم ، ورأى جفرسون أن الحديد قد صار ساخنا ، فراح يطرقه فى عزم ، راح يدخل التعديلات على القانون ، ويحور فيه ليجعله جديراً بالأمة العظيمة التى يحلم بها .

- ١٣ -

راح واشنطن يحارب البريطانيين ، وراح جفرسون يحارب الجهل فى فرجينيا ، فقد اهتدى الى أن الذى لا يعرف حقوقه لن يدافع عنها ، فعزم على انشاء مدارس تنير عقول مواطنيه ، وتعلمهم حقوقهم ، وتلقنهم معنى الحرية ، وتبث فيهم روح الكفاح عن حقوقهم وحريتهم ، ليصبحوا مواطنين صالحين يدافعون عن عقيدة عن حكومتهم الجمهورية الجديدة .

يجب أن ينتشر التعليم بين الجميع ، لا فرق بين غنى وفقير ، فكل الفرجينيين سواسية ، فهم مواطنون لهم نفس الحقوق . وقدم جفرسون الى المجلس اقتراحا بتقسيم الولاية الى مناطق ، تنشأ فى كل منطقة مدرسة ابتدائية ، يتعلم فيها كل طفل يعجز أبواه عن دفع نفقات تعليمه ، القراءة والكتابة والحساب لثلاث سنين . ويرسل التلاميذ المتفوقون الى مدارس تعلمهم قواعد اللغة ، ومن هؤلاء تختار نخبة يبعث بها الى كلية المقاطعة .

وقدم اقتراحات أخرى خاصة بتدريس الدين ، كان يرى أن الله خلق العقل حراً ، وأن ايمان المتدبر خير من الايمان الذى

يغرسه القساوسة فى النفوس . وقد تعثرت اقتراحاته كثيرا ، ولكن صديقه ومعاونه العزيز جيمس ماديسون نجح بعد سنين فى تحقيق الأحلام التى كانت تراوده .

كان جفرسون يدعو الى حرية التعليم ، وحرية العبادة ، وحرية التفكير . وكان يرى العبيد يسخرون فى الأرض فتتألم نفسه الحرة ، انه يرى أن الحرية منحة من الله ، وأن من الظلم سلبها ، وأن المظلوم لن ينام على الضيم طويلا ، سيهب يوماً ليطالب بحقه . ان نظام العبيد نظام جائر ، وانه يبغضه من كل قلبه ، ولكن الوقت لم يحن بعد لمهاجمته والقضاء عليه .

اقترح أن يصبح أبناء العبيد أحراراً بعد سن معينة ، أن يظلوا مع آبائهم فى طور الحضانة ، ثم تنفق الدولة على تعليمهم الآداب والعلوم حسب استعدادهم ، الى أن يبلغ الذكور الواحد والعشرين ، والاناث الثامنة عشرة ، ثم يقطعون بعض الأراضى لاستعمارها ويزودون بالآلات والحبوب والحيوانات النافعة ، ليصبحوا أناساً أحراراً يعتمدون على أنفسهم

ولقى الاقتراح معارضة شديدة ، حتى قضى عليه ، فقد صم المعارضون آذانهم عن صوت الحق ، فما كانوا يريدون أن يخسروا العبيد ، بعض رءوس أموالهم المستثمرة ، وما كانوا يقبلون — طائعين — أن تنساب بعض ما ملكت أيمانهم من أيديهم .

انتخب جفرســـون حاكما لفرجينيا ولمـــا يتجاوز السادسة والثلاثين ، وفى يونيـــة ١٧٧٩ انتقل وأسرته الى القصر العتيق بوليمزبرج ، وما كاد يستقر فيه حتى توافدت المتاعب كالموج بعضها فى اثر بعض .

كان الشـــتاء قارساً أتلف الحبوب حتى صار من العســـير تغذية المسجونين فى « البرمارل » ، ووجد الفلاحون صعوبة شديدة فى توفير التقاوى ، واشـــترط بائعو الحبوب تسليمها مقابل أوراق النقد التى كانت قيمتها آخذة فى الهبوط ، وباع بعض التجار حبوبهم للقوات البريطانية المعـــادية ، فقد كانوا يسددون ثمنها عملات صعبة ، وانتشرت حوادث سرقة العبيد والآلات والأنعام .

وراحت الحوادث تترى ، وبدأ اختبـــار جفرسون كحاكم سياسى عندما ســـقط هنرى هاملتون ـ القائد البريطانى ـ أسيراً فى أيدى القوات الأمريكية ، وأرسل به الى فرجينيا . كان هاملتون متهماً بتحريض الهنود على الاغارة على المقاطعات الأمريكية ، وأنه المسئول عن قتل النساء والأطفال فى المقاطعات الغربية ، وكانت الجماهير تهتف بجعله أمثولة لغيره .

واقتيـــد هاملتون الى قصر الحاكم فى وليمزبرج ، ووقف

أمام الحاكم ومجلس مشورته . وأمر الحاكم بحبسه مكبلا فى الحديد ، وبلغ النبأ البريطانيين ؛ فأعلنوا أنهم سيعاملون القواد الامريكيين الذين يقعون أسرى فى أيديهم نفس المعاملة .

وكتب جفرسون الى واشنطن يسأله رأيه فى القضية ، فبعث اليه واشنطن أنه ليس من السياسة الرشيدة معاملة قواد البريطانيين الأسرى مثل هذه المعاملة القاسية .

وراح جفرسون يدبر حاجات جيش فرجينيا ، ويحاول أن يسد النقص فى الثياب وفى الأحذية وفى ملح الطعام . وأخذ فى توسيع مصانع بارود المدافع ، وفى استخراج القصدير من المناجم ، وفى تشييد بحرية أمريكية ، وفى اقامة مصانع للذخيرة ، وفى تشجيع التجارة مع المقاطعات الأخرى ليدفع أجور الجنود والضباط والموظفين الرسميين .

كانت فرجينيا غاصة بالجهود والمتاعب ، وقد زاد الطين بلة ، تقدم القوات البريطانية ومحاصرة وليمزبرج . كان واضحا أن من العسير الدفاع عن المدينة ، ما لم يصل الأسطول الفرنسى ليشد أزرها .

غادر جفرسون قصر الحاكم ، وعاش فى بيت فى الجبل ، وكتب الى الجنرال كلارك لينهض للدفاع عن أوهايو ، فقام كلارك بتشييد قلعة جفرسون ، وبذل جفرسون أقصى جهوده لتكوين فرقة من الحرس الوطنى ، تشد أزر قوات فرجينيا المقاتلة ، وأنشأ فرقة مخابرات لتنقل اليه أنباء العدو .

ولاح فى مياه فرجينيا ستون مركبا حربية ، نحسب

الفرجينيون لأول وهلة أنها مراكب فرنسية قد خفت لمؤازرتهم، ولكن ما ان ألقت مراسيها حتى علم الحاكم ومجلس مشورته أنها مراكب بريطانية .

وبعث جفرسون الى ستيفن فى كارولينا يستدعيه لقتال العدو ، وراح يجمع أكبر عدد من الحرس الوطنى يستطيع جمعه ليقف فى وجه الجيش المغير .

وتأهب جفرسون للقتال ، ولكن المراكب البريطانية أقلعت دون نزال ، فقد أحست اقبال الأسطول الفرنسى .

والتقط جفرسون أنفاسه ، ولكن كان ذلك لمدة قصيرة ، فقد أخذت المتاعب تزداد ، وراح يكتب الى واشنطن فى الميدان يشكو اليه قسوة الظروف التى تحيط به .

وبلغت المتاعب منتهاها ، فقدم استقالته من مجلس فرجينيا ، وعاد الى مونتيسللو .

واجتمع المجلس ليختار الحاكم الجديد ، واذا بفارس يقبل على صهوة جواده ، وينبىء المجتمعين أن القوات البريطانية فى أثره .

وامتطى النواب خيولهم وانطلقوا فى طرق متعددة ، وجمعت الوثائق الحكومية فى خزائن حديدية ووضعت فى عربة انطلقت تبحث عن مأمن .

ووصلت الأنباء الى جفرسون فى مونتيسللو ، فبعث بأهله الى مدينـــة بلتهيم فرارا من وجه البريطانيين . ولما اطمأن الى سلامتهم عاد الى « مونتيسللو » يرصد ما يدور .

ورأى فرسانا بريطانيين يتسلقون التــل ، فوضع رجله فى ركاب فرسه ، وراح يعدو هارباً فى الغابة ، وقد اقتنع أن حياته السياسية قد انتهت .

— ١٥ —

طارت قلوب نواب فرجينيا شعاعا ، ولكن الموقف لم يكن سيئاً الى الدرجة التى تخيــلوها ، فان جورج واشنطن كان يجمع الامدادات والجيوش ، ويأمل أن تسقط القوات البريطانية فى المصيدة التى أعدها لهم فى نيويورك .

كان واشنطن هو الأمل ، وكان الفرجينيون يدعون الله أن يخف واشــنطن لنجدتهم ، ولكن واشــنطن رأى أن يهاجم القوات البريطانية فى نيويورك ، ليخفف ضغط القوات المهاجمة على فرجينيا .

وراح واشــنطن ينفــذ خططه لدحر البريطانيين ، واعتزل جفرسون الحيــاة العامة ، فقد شــاء أن يتفرغ لمزارعه وكتبه وزوجته ، وكانت أمنيته العظمى أن يقطع وقتــه فى دراســة الفلسفة الطبيعية ، التى كانت — حسب تفكيره — تضم حقل العلوم كلها من دراســة الجو الى علوم النبات والحيوان الى فلسفة اللغات الهندية .

ودخل مكتبه ، وراح يرد على الأسئلة التى قدمها اليه سفير

فرنسا عن السياسة والاقتصاد والتاريخ الطبيعى لأمريكا الشمالية ، ليبعث بها الى حكومته والى أصدقائه المشتغلين فى دائرة المعارف فى باريس .

وعكف جفرسون على هذا العمل ، وهو يستشعر غبطة ؛ فقد كان عملا حبيبا الى نفسه ، وراح يعدد الطيور والنباتات والحيوانات مدللا على أن الانسان والحيوان فى أمريكا كانا أضعف منهما فى أوروبا .

وعندما راح يتحدث عن الحكومة ، أخذ يصف ما مارسه فى فرجينيا ، ويسجل آراءه ، ويهاجم الرق ، ويتحدث عن المستوى الثقافى للزنوج والهنود .

وفى ربيع ١٧٨٢ انتخب ليكون عضوا فى البرلمان ، ولكنه اعتذر ؛ فقد وقر فى ذهنه أن حياته السياسية قد انتهت عقب الأزمات الاقتصادية التى وقعت أيام كان حاكما لفرجينيا .

وحتى اذا قبل ذلك الانتخاب ، فما كان بمستطيع أن يغادر مونتيسللو ؛ فقد سقطت زوجته الحبيبة فريسة المرض ، وراح يرعاها ويمرضها ، يمكث الى جوارها طويلا ، ويناولها الدواء بيده.

وكان غالباً ما يقرأ فى غرفتها بعض كتبه ، أو يذهب الى الغرفة القريبة منها ، ويكتب وهو يرقب حركاتها من الباب المفتوح عند رأس فراشها .

ودب الضعف فى أوصالها . وفى السادس من سبتمبر ، لفظت آخر أنفاسها ، فخيم الحزن على الدار ، ونزل بقلب جفرسون هم ثقيل ؛ ومكث فى غرفته ثلاثة أسابيع وهو مطرق ،

يذرعها ساهما ويتمدد فى المقعد الطويل شاردا وابنته باتس أمام بصره لا تغادره ، ونار الحزن ترعى فى أحشائه .

وأخيرا غادر غرفته وركب جواده ، وراح يتجول الساعات الطوال فى الغابة لعله ينسى .

وفى ١٩ ديسمبر ١٧٨٢ انتخبه الكونجرس مبعوثا الى باريس . فقبل ، ثم شد الرحال الى فرنسا .

— ١٦ —

استقر فى باريس ، وقابل دكتور فرانكلين وأحبه ، ولكن لما جاء الشتاء أحس بأنه تعيس ... لم يرتح الى الجو السياسى الذى يعيش فيه ، فكله خداع ودسائس ومؤامرات وتجسس ، وقد أيقن أنه لن يستطيع أن يكون سعيداً فى هذا الجو الفاسد ، حتى الجو لم يكن على هواه ؛ فالشمس لم تكن لتسطع أبدا ، والهواء مشبع بالرطوبة ، ولقد اضطر أن يستقر فى غرفته ستة أسابيع .

وجاءت اليه أنباء سيئة زادت فى تعاسته ، فقد ماتت ابنته الصغيرة ومرضت كل أسرته ، فعاد الحزن ليحتل فؤاده . كان له ستة أبناء . ولم يعد له الا اثنتان على قيد الحياة : احداهما فى رفقته ، والأخرى هناك ، يفصل بينه وبينها محيط واسع رهيب .

كان مبعوثا سياسيا ، وكان عليه أن يظهر بالمظهر اللائق بالدبلوماسيين ، فأنفق كثيرا ؛ حتى ان ما كان ينفقه زاد على دخله ، فاضطر الى أن يطلب من « الكونجرس » تحمل المصاريف الدبلوماسية ، وما أكثرها فى باريس فى ذلك الوقت . كان عليه أن يدفع للقواص بباب وزارة الخارجية ، وأن يسدد ايجار الكرسى الذى يقدم له ، وأن ينفح من يقدم له القهوة بعض المال .. فلكل خدمة ثمنها !

أحس بأنه يحرق شمعة حياته فى باريس ، دون هدف !!

وأرسل جون آدم الى بلاط سان جيمس ، ولو أن آدم كان من أبرز الثائرين على انجلترا ، الا أنه قوبل مقابلة حسنة . رأى آدم بعد جلاء القوات البريطانية عن بلاده أن يعقد مع الانجليز معاهدة تجارية ، ورأى أن خير من يعاونه فى ابرام هذه المعاهدة توماس جفرسون ، فبعث فى طلبه .

وغادر جفرسون باريس ، ووصل الى دوفر ، ومنها الى لندن . وحان ميعاد تقديمه الى الملك جورج ، فتأهب للمقابلة .

ودخل جفرسون على الملك بقامته الطويلة ، وعينيه الهادئتين ، فراح الملك ينظر طويلا الى الرجل الذى أعلن وثيقة الاستقلال ، ونظر جفرسون فى وجه الملك يقرأ ما انطبع عليه من انفعالات .

وراح جفرسون يجوس خلال بريطانيا مفتوح العين ، مرهف الحس ، ليختزن المشاهد والانفعالات ، حتى اذا ما خلا بنفسه راح يخط على القرطاس ما اعتمل فى صدره من احساسات .

كان فيلسوفا ، وكان مهندسا صمم أعظم جسر فى فرجينيا أيام كان فى باريس ، وأرسله الى فرجينيا . وقد وضع موضع التنفيذ ، ولكنه كان فنانا بطبعه ، يعيش فى نفسه ، ولا ينطلق على سجيته الا اذا شهر قلمه وأجراه على أوراقه .

زار المصانع وأعجب بنظمها الحديثة للانتاج الوفير ، حتى انه كتب الى هنرى باتريك ، حاكم فرجينيا ، يصف له — فى اعجاب — كيف أن قطعة من مدفع يمكن أن توضع فى مكان قطعة مثلها فى مدفع آخر . ان القطع مطابقة بعضها لبعض غاية التطابق ، وقد اختبرت الحكومة البريطانية هذه الطريقة الحديثة فى الانتاج وأقرتها .

وكان له حظ مشاهدة أول آلة بخارية ، فأيقن أن العالم مقبل على عهد صناعى جديد . كانت أمريكا ماثلة فى ذهنه دواما ، فكان يفكر فى مستقبلها ، وان عاطفة الحب التى تعطلت بعد موت زوجته ، قد تركزت جميعها فى حب بلاده .

— ١٧ —

وعاد جفرسون الى باريس ، وكسر رسغه الأيمن ، ولما كان يعيش ليكتب ، فقد راح يكتب بيده اليسرى ، حتى انه كان يجيد الكتابة بها اجادته الكتابة بيده اليمنى .

وكان مغرماً بالمشى ، فكان يقطع فى اليوم خمسة أميال أو

ستة مشياً على قدميه ، فكان يرى الحياة الحقيقية فى شوارع باريس وفى غابة بولونيا .

كانت الفرصة سانحة أمامه ليعقد المقارنات بين حياة المجتمعات فى أوروبا وحياة أهله فى أمريكا ، ونبتت فى ذهنه فكرة أن يعيش مع العمال ، فراح يدخل بيوتهم ، يرى ما يأكلون ، وكيف يلبسون ثيابهم ، وهل تغتصب الحكومة أو رجال الأعمال بعض جهودهم دون مقابل ، وليرى مقدار ما يملكون ، والحرية التى ينعمون بها .

وغادر باريس ، وساح فى أنحاء فرنسا يختلط بفلاحى الرون ، يصغى الى آمالهم وآلامهم ، ويعد طرفه الى حقول القمح والكروم ، وينعم بالشمس الساطعة ، حتى انه كتب الى أحد أصدقائه ــ من هناك ــ يقول : « اذا كتب على أن أموت فى باريس ، فأرجو أن تبعث بى الى هنا ، وعرضنى لحرارة الشمس ، وأنا واثق أن الحياة ستدب فى ثانية » .

وبلغ مارسيليا ، وراح يسأل عن تجفيف التين وزراعة الكروم والزيتون ، وأمضى بعض الوقت مع خبراء الزراعة ، واستشعر برفقتهم سعادة لم يشعر بها عندما اختلط بالدبلوماسيين .

وراح يبعث بالمعلومات التى يجمعها الى أصدقائه . كان مدرسا بطبعه ، لا يشعر بالراحة الا اذا نشر معلوماته بين من يستطيعون أن يجنوا ثمارها .

ونبتت فى ذهنه فكرة الذهاب الى ايطاليا ؛ لمعرفة أسباب

لتفضيل أرز « بيدمونت » على أرز كارولينا ، وانطلق الى سهول لومبارديا ، وراح يرقب ـ فى انتباه ـ آلات ضرب الأرز ، وانتهى من دراسته الى أن أرز ايطاليا يختلف عن أرز بلاده ، وعزم على أن يحمل معه كيسا منه مهما كلفه الأمر .

وذهب الى ميلانو ، وجنوا ، ونيس مرة أخرى ، ثم عاد الى مرسيليا وراح يكتب وصفاً كاملا لآلة ضرب الأرز الايطالية ويبعث به الى بلاده ، كانت أمريكا ماثلة فى ذهنه دواماً ، فى اقامته وفى سفره .

— ١٨ —

كان قلقاً من بقائه فى أرض أجنبية ، يحس دائماً بالحنين الى فرجينيا ، ولو أن ملاحظة الكفاح الدائر بين الشعب الفرنسى والحكومة شيء هام ، الا أن حوادث أمريكا هى التى تعنيه حقا . انه بعيد عن بلاده فى فترة حاسمة فى تاريخها ، فترة بناء دولتها . لم تعد الكتابة تشفى غليله . انه يريد أن يسمع بأذنه وأن يرى بعينه .

وابنتاه ؟ ماذا تفعلان فى فرنسا ؟ ! انه يريد أن يزوجهما فى فرجينيا من أصحاب الأرض النبلاء .

لقد أدى لبلاده خدمة عظيمة ، وحال بين الولايات المتحدة وبين الافلاس فى أوروبا ، ولكن ديونه الشخصية ، من ذا الذى

سيحس عبئها ؟ لا بد من العودة الى أمريكا ليعيش فى مونتيسللو فى نطاق دخله .

وساءت الأحوال فى فرنسا ، وثار الناس على لويس السادس عشر ، وراحوا يطالبون بالخبز ، وفى هذا الوقت انتهت بعثة جفرسون الدبلوماسية فى فرنسا ، فراح يحزم أمتعته ليعود مع ابنتيه الى أمريكا .

رأى جفرسون قبل رحيله من فرنسا أن الشعب يطالب بحقوق الانسان ، ورأى بنظره الثاقب أن الشعب سيبلغ أهدافه ، فكتب يقترح أن يتقدم الملك الى الشعب وأن يهبه بمطلق حريته الحقوق التى يطالب بها ، وقد عدد جفرسون تلك الحقوق : حرية الصحافة ، عدم فرض ضرائب الا بقانون ، عدم القبض على انسان دون محاكمة ، ازالة جميع الامتيازات الخاصة .

ولكن ما حدث كان يختلف عما اقترحه جفرسون كل الاختلاف ، فقد راح النبلاء يعملون على عدم التفريط فى امتيازاتهم . بينا راحت الجماهير تزأر فى ثورة ، مطالبة «بالحرية والاخاء والمساواة » .

وهاجم الثوار «الباستيل» ، وأخرجوا المسجونين وحملوا الزعماء على أكتافهم ، وراحوا يجوسون خلال الشوارع ، يهتفون هتافات الانتصار .

وفى نهاية سبتمبر غادر جفرسون وابنتاه باريس ، وانطلقا فى عربة الى الهافر والثورة الفرنسية يندلع لهيبها . لقد نصح

صديقه الفرنسى لافاييت . ولو أنه أصــغى الى نصحه لكان واشنطن فرنسا ، ولتغير وجه التاريخ . ولكن لافاييت ـ رئيس وزراء فرنسا ـ تغلب عليه دم النبلاء الذى يسرى فى عروقه ، فراح يرعى مصالح الملك والنبــلاء ، ولم يمتط جواده وينضم الى الشعب الثائر المطالب بحقوقهم .

— ١٩ —

بلغ جفرسون وابنتاه موتيسللو وقت احتفال الناس بعيد الميلاد ، فأحس البهجة تداعب فؤاده ، وراح يقــابل أصدقاءه ويتحدث معهم عن الثورة الفرنسية وعما يرجوه لبلاده .

وماكاد يستقر فى موتيسللو حتى بعث اليه واشنطن رئيس الجمهورية الأمريكية ، يقول له ان مكانه فى نيويورك ، وأنه قد عين كاتم سر الدولة .

وتأهب جفرسون للرحيل ، وقبل ســفره حضر زواج ابنته من راندولف الصغير ، ابن صديقه توماس مان راندولف الذى أمضى طفولته معه .

وبلغ نيويورك ، وســار فى طرقاتها وهو يقلب الطرف ، لم تعد تلك المدينــة الصغيرة المطبوعة بالطابع الهولنــدى ، انها تختلف كل الاختلاف عن المدينة التى شاهدها من خمس سنين .

وراح جفرســون يجتمع بالرئيس طوال الوقت وينفــذ سياســته ، وبدأ نجمه يتألق ، وزاد فى تألقه ذلك الجهد الذى

بذله فى تشييد مدينة « واشنطن » . ولكن لم تدم سـعادته طويلا ؛ فقد كان هاملتون وزير الخزانة ينتقد آراءه ويهاجم سياسـته كلما قابله ، وكانا كثيراً ما يتقابلان فى العمل وحول موائد الأصدقاء .

وراح أعوان هاملتون يهاجمون جفرسـون فى الصحف ، وهب المعجبون بجفرسون يكيلون الاتهامات لهاملتون ، وقد كان من آثار هذه المعركة أن وجه بعض النقد لواشنطن الرئيس.

كان واشنطن ، ككل قواد العالم العظام منذ فجر التاريخ ، يفزع ويتألم من النقد المكتوب ، فضايقته تلك العداوة الناشبة بين كاتم سر الدولة ، ووزير خزانتها .

وعزم جفرسـون على الاسـتقالة ، وترك داره وذهب الى منزل ريفى يعتكف فيه .

وسـاءت الأحوال المالية ، ودب ذعر مالى فى دوائر المال ، وكتب هاملتون يقـول ان سـبب كل ذلك آراء جفرسـون الديمقراطيـة ، ولج هاملتون فى اتهاماته ، فهب كثيرون للدفاع عن غريمه جفرسون .

وتأهب جفرسون للرحيل الى موتنيسللو ، ولكن أصدقاءه قالوا له : « ان استقالته معناها الفرار من وجه عدوه » . فما ان منعه واشنطن أن يسحب استقالته حتى قبل ذلك ، وعاد الى عمله وهو أشد تمسكا بمبادئه .

— ٢٠ —

وجاءت الأنباء من فرنسا تروى قصة الملك السجين ، ونشرت حقوق الانسان فى الصحف الأمريكية ، ولاح أن الحرب بين فرنسا وانجلترا وشيكة الوقوع ، وقد رأى واشنطن أن يقف على الحياد بين فرنسا وانجلترا ، واذا ببعض الصحف تنتقد مسلكه هذا .

ومرض واشنطن . وحز فى نفسه أن يكون هدفاً للصحفيين ، حتى انه عزم على أن يتنحى عن الرئاسة اذا ما حان ميعاد الانتخابات .

وحان أوان الانتخابات ، وساد القلق الدوائر السياسية ، فما كان هناك من يصلح خلفاً له فى الظروف العصيبة التى تمر بها الولايات المتحدة ، وعلى الأخص بعد أن مات فرانكلين . وراح أنصار جفرسون يعملون جاهدين ليأخذ مكانه اللائق به .

واعتذر واشنطن عن ترشيح نفسه للمرة الثالثة ، وجرت الانتخابات ، واذا بآدمز ينتخب رئيسا ، وجفرسون نائبا للرئيس ... ودخل جفرسون فيلادلفيا دخول الظافرين !! فقد راحت الجماهير تهتف بحياة جفرسون حبيب الشعب !!

ومرت السنون ، وترادفت الحوادث ، وراح أعداء

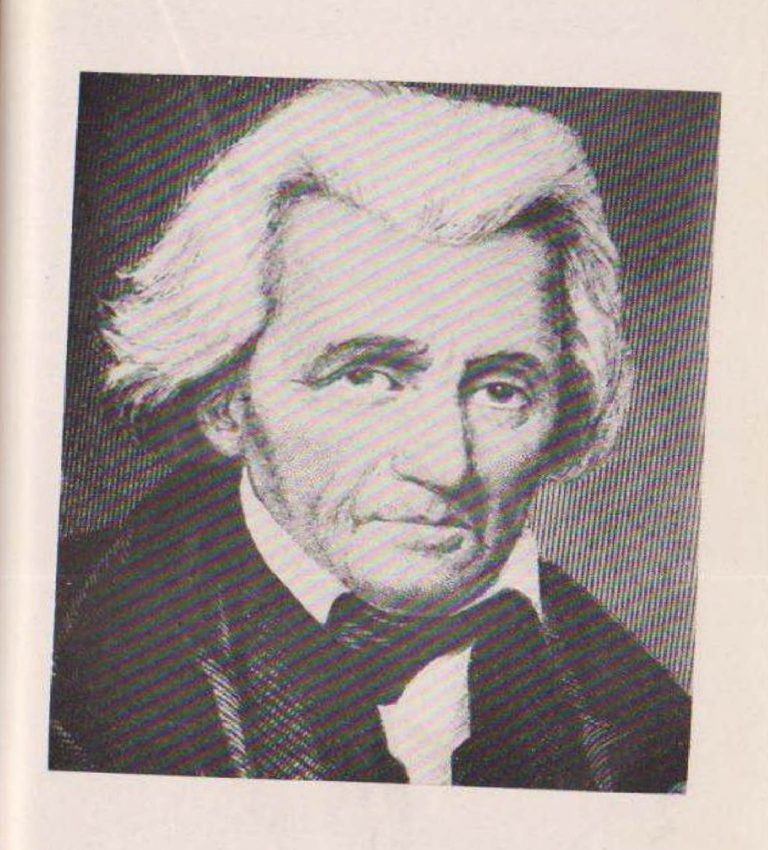
الديمقراطية يحاربون جفرســون ويعملون على هدمه ، ولكنه انطلق فى طريقه المرسوم لا يحيد عنه قيد أنملة .

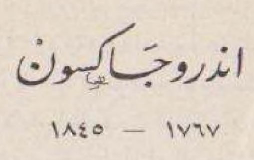
وجاء ميعاد الانتخاب لرئاســة الجمهورية ، ودارت معركة حامية الوطيس بين جفرسون وغريمه . وأخيرا انتخب جفرسون ثالث رئيس لجمهورية الولايات المتحدة .

***

لقد كان انتخاب جفرسون نصرا مؤزرا للديمقراطية ، وقد فرح العمال والمزارعون والشــعب والعبيد بذلك الانتخاب ؛ فقد صار على رأس الحكومة حبيب الشعب !! الذى أفنى زهرة حياته فى الدفاع عن الديمقراطية .

اندرو جاکسون





اندروجاكسون

١٧٦٧ — ١٨٤٥

— ١ —

عربات منطلقة فى البرارى ، وفرسان على ظهور الخيل ، انها قوافل المهاجرين تضرب فى الأرض البكر ، تختار مستقرا لها .

ونزل اندرو جاكسون وزوجته وابناهما فى حدائق واكسهو، وراحوا يديرون أعينهم فى المكان ، فأصيبوا بخيبة أمل ، فما كان هناك صلة بين الاسم الزاهر الذى أطلقه الهنود عليه ، وبين الحقيقة الجافة .

كان الهدوء شاملا ، لاحركة ولانأمة ، ولكن سرعان ما وفد المهاجرون ، وبدأت الحياة تزحف . المحاريث تشق الأرض ، والمبانى تنتشر ، والكنيسة ترتفع ليتركز حولها العمران .

جهود تبذل ، وعرق يتصبب ، وحضارة تقام ، واندرو جاكسون يعمل فى الأرض ، وينسج التيل ، ويتاجر ، وزوجته اليزابيث ترعى ولديه .

وتساقطت الثلوج ، وعاد اندرو الى داره مجهدا محطما ،

ورقد في فراشه ، ورأت زوجه اليه فألفت الذبول في وجهه ، فسالت عليه ترعاه ، ولكن لم تثمر رعايتها ، فقد لفظ انفاسه .

مات أندرو وترك زوجه وولدين وجنينا في بطنها ، ومالبث الجنين أن رأى النور بعد موت أبيه ، فأسمته أمه اندرو ، فقد عز عليها أن يموت الاسم الحبيب .

وراح رجال الدين يعلمون أبناء الذين استقروا في واكسهو القراءة والكتابة في الكنيسة ، وما أن بلغ اندرو الرابعة من عمره حتى ذهب الى مدرسة الكنيسة .

وفي الخامسة من عمره استطاع القراءة ، وفي الثامنة استطاع أن يكتب بخط جميل ، وظهر ميله الى رسم الخرائط .

ومست يد الرقي واكسهو ، فقام سوق بها ، وتحولت الدور المتواضعة الى منازل عامرة ، وجاء تجار الرقيق ليبيع عبيدهم بالمزاد في شارلوت ، وبدأت تربية المواشي في المراعي الواسعة ، وكانت العجول تساق الى السوق للبيع .

وجاء الوقت الذي أمر فيه التاج البريطاني باغلاق ميناء بوسطن ، جزاء وفاقا على ما فعله ثوارها بالسفينة البريطانية التي جاءت اليها تحمل الشاي من الهند . فقد هجموا عليها والقوا حمولتها في البحر ، وحكم التاج البريطاني باغلاق الميناء حتى يدفع التعويض للسفينة البريطانية .

ولم تذعن بوسطن للتهديد البريطاني ، وبعثت الى المستعمرات الأخرى تحرضها على الثورة وتلتمس منها العون ، وأرسل سكان واكسهو الى بوسطن القمح وقطعان الأغنام

ليعوضوها عن الأرز الذى كان يفد اليها عن طريق مياهها .

وبدأ الرجال من تلقاء أنفسهم يرتدون ثياب الجنود ، حتى الأطفال حملوا العصى وراحوا يمشون مشية الجنود .

وتكونت فى واكسهو فرقة من الحرس الوطنى ، لتدافع عنها ضد القوات البريطانية التى جاءت لمحاربة الأمريكيين الثائرين .

وجاءت صحف فيلادلفيا من شارلستون ، وتقاطر النـاس الى منزل كابتن كراوفورد رئيس الحـرس الوطنى ، وخال اندرو جاكسون ، ليسمعوا الأخبار . ووقف اندرو جاكسون وهو فى التاسـعة من عمره ، يقرأ على الملأ الصحيفة ، وقد تعلقت به عيونهم ، وأعاروه سمعهم .

وفى ٤ يوليو سـنة ١٧٧٦ كان الناس يرقبون نبأ عظيما ، فجاءوا الى اندرو ليسمعوه وهو يقرأ أنبـاء الصحف ، وقرأ عليه اندرو نبـأ اعلان اسـتقلال الولايات الثـلاث عشرة الأمريكية ، فخفقت القلوب غبطة فى الصدور .

— ٢ —

وبلغ أندرو الثالثة عشرة ، كان طويلا ، أزرق العينين ، أحمر الشعر ، وكان يجيد ركوب الخيل والرماية .

وراحت كارولينا الجنـوبية تمد جنرال واشـنطن وجنوده بالحبوب ، فكانت العربات تمر فى قطار طويل أمام منزل اندرو ،

فتعود به الذكريات الى ذلك اليوم الذى اشترك فيه فى مغامرة قيادة قطعان الأغنام الى شارلستون. كانت مغامرة مثيرة، ولكنه عاد منها وفى يده نقود مكنته من دخول مدرسة فرنسيس كافنر.

وجاءت الأوامر الى حرس واكسهو الوطنى بالتحرك لصد هجوم بريطانى على كارولينا الجنوبية ، فقد سقطت سافانا ، وجورجيا ، وتقدمت القوات الملكية صوب شارلستون .

والتحق هيو ، أخو أندرو ، وكان فى السادسة عشرة بجيش المقاطعة ، وتقدم الشباب المتحمسون ، والتقوا بجيش الامبراطورية ودحروه ، وأرغموه على الارتداد الى جورجيا . ولكن هيو سقط مريضا بعد المعركة ، ثم مات من ضربة الشمس .

وأبحر جيش بريطانى آخر الى الجنوب ، وكان على سكان واكسهو أن يدافعوا مرة أخرى عن شارلستون ، ولكنهم أخفقوا هذه المرة . وفى الثانى عشر من مايو عام ١٧٨٠ سقطت عاصمة كارولينا الجنوبية وأسر الجنرال لينكولن وجنوده .

ولاح أن يد التاج البريطانى هى العليا ، فركع الضعفاء فى كل مكان يلتمسون حماية الملك ، ولكن أصحاب النفوس الأبية استمروا فى القتال ، وقد عقدوا العزم على النصر أو الموت دونه .

وجاءت العربات تحمل الجرحى ، وغصت كنيسة واكسهو بهم ، وراح اندرو وأخوه روبرت جاكسون يضمدان جروح الجرحى ، واذا بالأنباء تفد بأن الجيوش البريطانية على مرأى

البحر ، ففر الأحرار من واكسهو ، وفر أندرو الى كاروليـنا الشمالية ، ليقف مع الأبطال الذين لم يلقوا سلاحهم .

وسرعان ما اضطر البريطانيون الى الانسحاب ، فعاد اندرو الى واكسهو مع الجنود ، وقد ألف عيشة المعسكرات ، وعزم على أن يعمل بها . ولما كان يجيد ركوب الخيل ، ويعرف جميع الطرق فقد عينه القائد مراسلة ينقل رسائله على صهوة جواد ، ومنحه غدارة احتفظ بها طوال حيـاته ، فقد كانت الأثر الحى الذى يذكره باشتراكه فى ثورة بلاده .

— ٣ —

وهجم البريطانيـون مرة أخرى على واكسهو واحتلوها ، ففر منها أهلها وتركوها خلفهم ، وفر اندرو جاكسون وأخوه ، وراح اندرو يعدو على ظهر جواده ليخبر المناطق المجاورة بدنو البريطانيين .

وهب الأمريكيون للدفاع عن أراضيهم ، وارتدى الرجال ثياب القتال ، وحملوا بنادقهم ووقفوا فى وجه الجيش الزاحف . وتبـادل الأهالى وجيش صاحب الجلالة اطلاق الرصـاص ، واضطر جنود بريطانيا الى الانسحاب .

وعاد اندرو وأخوه وأهلهما الى واكسهو ، ولكن القوات البريطانية عادت فى التاسع من ابريل من عام ١٧٨١ لمهاجمتها ،

واحتمى اندرو وبعض الرجال بالكنيسة ، وراحوا يطلقون النيران على البريطانيين الزاحفين .

وأطبق الأعداء على الكنيسة ، وتألقت السيوف فى أيدى الجنود ، وسقط بعض أهالى واكسهو أسرى فى أيديهم ، بينما فر اندرو على ظهر جواده ، والنار تتأجج فى الكنيسة .

انطلق اندرو ينهب الأرض ، وانطلق بعض فرسان الأعداء فى أثره ليلقوا القبض عليه ، ولكنه تمكن من الفرار . وعثر فى الطريق على أخيه وناموا على العشب ليلتهم ، وفى الصباح دخلا بيت خالهما ليخبراه خبر واكسهو ، وفيما هما فى الدار ، داهمهما بعض جنود بريطانيا .

سقطا أسيرين فى أيدى الأعداء ، وأراد القائد ان يذل اندرو فأمره بأن ينظف له حذاءه ، ولكن اندرو رفض ، فاستل القائد سيفه وضرب يد الفتى ، وتلقى اندرو الضربة بساعده ، فقطع السيف اللحم حتى العظام وترك ندبة فى رأسه ، لازمته طوال حياته ، وكانت تثير حفيظته دواما على بريطانيا والبريطانيين .

وأمر الفتى الجريح بامتطاء جواد وارشاد القوة البريطانية الى بيت قائد من قواد الثورة ، وقد هدد بالضرب حتى الموت ، اذا ما حاول أن يخدعهم .

وسار اندرو فى الطريق القويم ، ولما اقترب من البيت قادهم فى طريق مكشوف حتى يتمكن القائد الأمريكى من رؤية المداهمين . ونجحت خطة اندرو ، ورأى القائد الأعداء فى

قدميهم ، فامتطى فرسه ، وأطلق له العنان ، وراح يسابق الريح.
وفطن الجنود الى خدعة اندرو بعد فوات الأوان ، فكان جزاؤه أن قادوه الى سجن كامدن على مسيرة أربعين ميلا ، دون أن يناولوه كسرة خبز أو قطرة ماء ، أو يضمدوا جراحه .
وألقى اندرو في الطبقة الثانية من السجن ، وكان يقدم له وجبة واحدة في اليوم ، ومما زاد الأمر عسرا انتشار الجدري في السجن الغاص بالنزلاء .
وفي احدى الأمسيات ، لمح اندرو من شباك السجن ضابطا امريكيا يتقدم ، فاستشعر راحة ، وأيقن من قرب الخلاص .
وانتشر الخبر بين الأسرى ، فراحوا يرقبون ما يدور وقد أرهفت حواسهم ، ودبت الحركة في المكان ، وفطن الجميع الى أن البريطانيين يتأهبون للانسحاب .
وجيء بفرش أبيض وأسدل على شباك السجن من الخارج ، حتى لايرى الأسرى المعركة الدائرة ، ونجح اندرو بمعاونة أحد الزملاء أن يثقب ثقبا في الفرش ، يشاهد منه عسكر جرين .
وفي صبيحة اليوم الخامس والعشرين من شهر ابريل من عام ١٧٨١ كان اندرو ينظر من الثقب ، يشاهد المعركة الدائرة ، ويذيع على رفاقه وصفا مفصلا لها ، وظلت المعركة دائرة ، بينا سقط اندرو مصابا بالجدري .
وقابل قائد البريطانيين امرأة زرقاء العينين في رفقة ضابط امريكي ، انها اليزابيث جاكسون جاءت من واكسهو تطلب الافراج عن طفلها عند مبادلة الأسرى .

وأخذت الأم ابنيها وانطلقت بهما . كان روبرت جاكسون لايقوى على السير، فقد هده الجدرى ، فوضع على ظهر جواد ، وركبت أمه مهرا آخر بينا سار اندرو حافي القدمين ، عارى الرأس . وأمطرت السماء وغمرت المياه الركب الصغير ، وعند أقرب مأوى وضع روبرت فى الفراش ، وانقضى يومان وحالة روبرت تزداد سوءا ، وفى نهايتهما فاضت روحه ، فراحت الأم تكافح فى سبيل انقاذ حياة اندرو ، ابنها الوحيد ، الذى يحوم الموت حوله .

وأنقذت حياة اندرو . وفى يوم غير معلوم من نوفمبر عام ١٧٨١ علم اندرو أن أمه قد قبرت مع ضحايا كثيرين فى قبر مجهول فى شارلستون وقدمت اليه صرة بها ثيابها ، فأحس اندرو اليتيم لأول مرة بأنه يقف فى الحياة وحده .

— ٤ —

ووضعت الحرب أوزارها ، وحقق جورج واشنطن استقلال الولايات المتحدة ، وغادر اندرو واكسهو ، وذهب الى مدرسة « متحف الملكة » فى شارلوت .

وفى الثامنة عشرة من عمره ، ترك طفولته خلفه ، وذهب ليعيش فى سالسبرى . كانت مدينة سالسبرى مدينة عتيقة عند

بداية الثورة ، ولكن كان يقطنها أناس أغنياء ، فعزم اندرو أن يظهر بينهم بمظهر الغنى ، فكان يرتدى ثياباً فاخرة ، ويركب جواداً كريماً ، ويلعب الورق ، ويتودد الى الفتيات .

كان يقامر كثيرا ، وكان مغامرا فى مقامراته ، هدفه فى اللعب أن يكسب لينفق على مظهره ، فما كانت الأرض التى ورثها تغل له ما يكفى نفقاته .

وفى السادس والعشرين من سبتمبر ١٧٨٧ اجتاز اندرو امتحان الحقوق بنجاح ، وأصبح من حقه أن يترافع فى القضايا .

وبدأت أولى قضاياه ، فامتلأت القاعة بالفتيات ليشاهدنه فى حلته الجديدة وشعره الأحمر اللامع ، المدهون بالزيت ، وتعلقت أعين الفتيات به . كان طوله ست أقدام ، وكانت عيناه آسرتين ، وكان صوته يدغدغ الحواس .

ولم يطل مكث اندرو فى سالسبرى طويلا ، فقد غادرها ليبحث عن مستقبله ، ولكنه كان أينما حل يذهب الى سباق الجياد — فقد كانت الجياد هى كل شيء فى ذلك الزمان — ويشاهد صراع الديوك ، ويلعب الورق ويراقص الفتيات .

وذهب الى كامبرلند واستقر فيها . كانت الأموال قليلة ، ولكن الأراضى كانت واسعة شاسعة لا يملكها الا الهنود ، فأصبح مالكاً لأفدنة كثيرة ، وراح يمارس مغامراته .

كانت اغارات الهنود لا تنقطع ، وكانوا يفجأون القوافل ويقتلون الرجال والنساء والأطفال ، وعلى الرغم من ذلك كانت رحلات اندرو جاكسون لا تنقطع ، وكانت مغامراته مثيرة ؛

يطارده الهنود مرة ، ويطاردهم مرات ، وينقذ رفقاءه من موت محقق .

وفي يوم من شهر يوليو سنة ١٧٩٠ غادر كامبرلند ، ولم يكن وحده بل كان فى صحبة راشيل ، زوجة رجل آخر !

كانت راشـيل كثيرة الشجار مع زوجها ، وقد شـاءت أن تغادره وتذهب الى أختها ، فخرج بها اندرو ، وانطلق بها حتى دار شقيقتها .

وثارت ثائرة الزوج ، وراح يكيل الاتهامات لزوجتـه ، ويذيع أن بينها وبين اندرو علائق شائنة .

وضاق اندرو به ذرعا ، حتى انه طلب منه فى عنف ألا يلوك اسـمه مع اسم الزوجة ، ولم يكف الزوج بل طلب الطلاق ، متخذاً من خروج زوجته مع اندرو وانطلاقهما وحيدين قرينة سوء .

وتم الطلاق ، وأحس اندرو أن حبه لراشيل قد مس شغاف قلبه ، فتزوجها وحملها الى داره .

— ٥ —

وذهب الى فلادلفيا عضـــوا فى الكونجرس ، وأصغى الى الرئيس واشـــنطن وهو يودع أعضاء الكونجرس قبـــل أن ينسحب الى « مونت فرنون » ليخلد الى الراحة ، واشـــترك فى انتخاب الرئيس الذى سيخلف واشنطن .

وأحس بخيبة أمل عندما نال آدمز واحدا وسبعين صوتاً ، ونال جفرسون ثمانية وستين صوتاً ، فقد كان اندرو جاكسون فى صف جفرسون .

وأحس حنينا الى زوجته راشيل ، فكتب اليها رسالة حارة قال لها فيها انه ليرى المستقبل السعيد عندما يعود اليها ليمضى طوال أيامه معها ، وانه سيقضى معها أسعد أيام حياته ، وأنه لن يفترق عنها أبداً ، وأنه سيختفى من الحياة العامة ليكرس حياته لها ، وتمنى لها أسعد الأحلام .

وعاد اندرو الى تنسى ، وعاش مع زوجته حياة ســعيدة ، ولكن ما كان أقصرها ، فسرعان ما انغمس فى العمل ليســدد ديونه ، ولما تحقق له ذلك ، راح يعمـــل جاهدا على توطيد مركزه ، وتقوية سلطانه .

وعين قاضيا ، فكان أشهر من خدم القانون فى ولاية تنسى ، وصار ممن يشار اليه بالبنان ، ولكن كل ذلك لم يجلب السعادة

لراشيل ، فقد مرت احدى عشرة سنة على زواجها ولم تنجب طفلا يملأ حياتها الفارغة .

راحت تجوب أحياء العبيد وتلاطفهم ، وتعاون المهاجرين الجدد ، وتستعير أطفال الجيران تداعبهم وتنفس عن عواطف الأمومة المكبوتة .

كان جاكسون محباً للأطفال أيضاً ، فكان يشاطرها مداعبة أطفال الجيران ، وفى ذات يوم حمل طفلا وراح يلاعبه ، فانفجرت راشيل باكية وقالت :

ـ كم كنت أتمنى أن أرزق طفلا يا زوجى العزيز .

وضمها اندرو الى صدره فى حنان ، وقال لها :

ـ ان الله يا عزيزتى يعرف ما يعطى وما يأخذ .

ـ ٦ ـ

الأيام تمر ، واندرو جاكسون يشق طريقه فى الحياة ، يشترى آلة للقطن تؤدى ما يؤديه عشرون عاملا ، ويذهب الى الكونجرس لينتخب جفرسون رئيسا للولايات المتحدة ، ويرقب الحوادث السياسية التى تجرى فى البلاد .

انه ليرى خلافاً بين الحكومة الأمريكية واسبانيا ، ان نيواورلياتز فى حوزة الاسبان ، وانه ليحس أن الاسبان يعملون على تقويض الاتحاد ، فكتب الى الحاكم : « أعلن حالة الطوارىء ، وتأهب للدفاع ، واحترس من الهجوم المفاجىء

من الاسبان . انى أحب بلادى وحكومتى ، وأمقت الاسبان ، وسأموت فى آخر خندق قبل أن أرى الاتحاد تنفصم عراه . »

انه ضابط فى الحرس الوطنى ، وانه يخوض المعارك ، ويرقى سلم الجندية حتى يصبح جنرالا .

كانت الحرب دائرة بين نابليون وانجلترا ، وكانت الولايات المتحدة ترقب تلك الحرب فى حذر ، فقد أرغم نابليون ملك اسبانيا على أن يتنازل له عن نيوأورليانز فى أمريكا ، فأصبح مستقبل تلك الولاية رهناً بنتيجة الحرب الدائرة .

وهزم نابليون ، وقررت انجلترا أن تبعث قوة حربية تضع يدها على نيوأورليانز .

واستشعر اندرو جاكسون الخطر الداهم ، فأعلن يطلب خمسين ألف متطوع ، وقد جاء فى طلبه : « .. أيها المواطنون ! ان الحرب وشيكة الوقوع بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى . هل نحن عبيد جورج الثالث ! ؟ هل نحن جنود نابليون المساقون الى الحرب قسرا ؟ هل نحن فلاحو قيصر روسيا ؟ كلا . اننا الأبناء الأحرار لأول جمهورية على وجه الأرض .

هل نحارب ارضاء للثأر فى سبيل وزارة منحلة ؟ أو لاحلال دكتاتور مكان آخر على رأس حكومتنا ؟ كلا . اننا سنحارب لارساء قواعد خصائصنا القومية .. لتأكيد حقنا فى التجارة الحرة » .

وأعلن الكونجرس الحرب على بريطانيا ، وأعد الجنرال

اندرو جاكسون فرسانه ، وانتظر الأمر بالتحرك ، وصدرت الأوامر لقواد الولايات الآخرين ، بينا ظل جاكسون يترقب ، وهو يتحرق شوقا للقتال .

أنفق ماله على شراء البنادق ، وعلى التأهب للنزال . وفى اكتوبر عام ١٨١٢ أصدرت ادارة الحرب الأوامر لتعزيز قوات أمريكا فى نيوأورليانز ، وراحت تنفذ الخطة التى وضعها جاكسون ، ولكنها لم تستخدم جاكسون نفسه فى تنفيذها .

وعرض عليه أحد أصدقائه أن يقبل قيادة فرعية ، ولما كان يرغب فى الاشتراك فى الحرب بأية وسيلة ، فقد قبل . ودخل الرجل الذى سيصبح قائد عام قوات متطوعى الولايات المتحدة كلها مسرح الحرب من باب جانبى .

— ٧ —

وجاء متطوعو تنسى من كل فج ، رجالا وركبانا ، وركب جاكسون على رأس رجاله ، بعد أن اقترض مبلغا لنفقاته ، وتحرك جيشه على الأرض المغطاة بالجليد ، وراح ينفذ طائعا الأوامر التى يصدرها اليه قائده .

وجاءت الأنباء بهزيمة قوات الولايات المتحدة فى كندا ، وبعث جاكسون الى ادارة الحرب يلتمس ارساله الى الجبهة الشمالية . وراح ينتظر الرد على التماسه . وجاء الرد بعد انتظار

خمسة عشر يوما ، وكان ردا عجيبا مذهلا ، فقد طرد هو وقواته من الخدمة العامة ، وهم على مسيرة ثمانمائة ميل من بلادهم ، دون أن تدفع الدولة لهم نفقاتهم ، أو تمدهم بالمؤن !

كان على جاكسون أن يعود بالشبان الذين خرجوا معه متطوعين الى دورهم ، ولو اضطر الى أن يتحمل وحده كل نفقاتهم ، ولو أكلوا فى الطريق لحوم جيادهم . ووضع الجرحى والمرضى فى عربات استعارها من القيادة ، وقدم حصانه الى من يحتاج اليه أكثر منه ، ثم سار جاكسون ، قائد متطوعى تنسى ، على قدميه وراح يشرف بنفسه على كل شىء ، على المرضى .. على المؤن.. على راحة جنوده . وعاد الجنرال جاكسون بجنوده الى تنسى ، مرفوع الرأس ، محافظا على شرفه ، وقد تعلقت به قلوب من خرجوا معه متطوعين .

وتتابعت هزائم قوات الولايات المتحدة النظامية فى كندا ، وراحت ادارة الحرب تكون فرقا جديدة من النظاميين ، بينا كان أصدقاء جاكسون فى مدينة واشنطن يبذلون الجهود لتكوين فرقتين جديدتين من تنسى ، على أن يكون جاكسون على رأسهما ، وتكونت فرقة واحدة ولم يكن على رأسها جاكسون .

وتقابل جاكسون فى أحد الفنادق مع أعدائه ، وأطلقت النار عليه ، ونزف دمه وحمل الى الفراش وهو بين الحياة والموت . وفى هذا الوقت جاءت الأنباء بذبح مائتين وخمسين فى قلعة ميمز ، وأن الهنود قد تحركوا للقتال .

كان جاكسون ينوء من الضعف ، ولكنه كان قويا ليعلن الحرب ، وجاء المتطوعون من كل فج ، ومرت تسعة أيام وقد تم تجهيز كل شيء ، ولم يبق الا أن يخرج جاكسون ، وخرج جاكسون ، واعتلى صهوة جواده ، وصدرت الأوامر بالسير .

وتحرك الرجل الذى طرد من الخدمة العامة ، وتحرك معه الشبان الذين وضعوا كل ثقتهم فيه .

— ٨ —

ودارت المعارك ، وشيدت الحصون ، وسقط الهنود والبيض صرعى ، وبعثت جورجيا ولويزيانا وولاية المسسبى جيوشاً من الحرس الوطنى ، وكان هناك فرقة من الجيش النظامى ، ولكن جاكسون راح يرسم خططه معتمداً على نفسه فقط .

ونشب القتال ، وانتصر جاكسون ، واحتل قلعة ستروثر ، وشاء أن يتقدم ويجنى ثمرة انتصاره ، ولكنه وجد أن المؤن التى معه قد نفدت .

بدأ التذمر بين الجنود ، وراح جاكسون يمنيهم الأمانى ، ومرت أيام والبطون خاوية ، والاستياء يزداد ، وشاء بعض المتطوعين أن يعودوا من حيث جاءوا ، ولكن جاكسون طلب منهم أن ينتظروا يومين ، فاذا لم تصل الامدادات عادوا جميعا .

وتصرم اليومان ، ولم يصل شيء ، ومضت أربعة أيام ،

وراح الجنود يموتون جوعا ، واضطر جاكسون أن ينسحب . وعلى بعد اثنى عشر ميلا من القلعة قابل المدد مقبلا ، مائة وخمسون عجلا وتسع عربات دقيق .

وأكل الجنود حتى شبعوا ، ثم أمرهم جاكسون أن يعودوا الى القلعة ولكنهم انطلقوا منسحبين صوب تنسى .

راح جاكسون يعدو بحصانه حتى واجه المنسحبين ، وأخرج مسدسه ، وأقسم أن يقتل أول رجل يتحرك منسحبا . ومرت لحظات صمت ، ثم دبت الحركة فى الجيش ، وبدأ التحرك صوب قلعة ستروثر ، وأعاد جاكسون مسدسه الى مكانه .

ودارت رحى المعارك ، والتمس المتطوعون فى أثناء القتال العودة الى دورهم ، فقد تطوعوا لسنة ، وقد انقضت السنة ولما تنته الحرب بعد .

قاسى جاكسون كثيراً ولكن لم ينفد صبره ، ولم يفقد رباطة جأشه ، بل راح يتغلب على الصعاب التى تعترض طريقه ، ويسير فى ثقة نحو هدفه . وآن أوان المعركة الفاصلة ، فراحت السهام تتطاير ، وطلقات الرصاص تئز فى الفضاء ، وتألقت السيوف فى ضوء الشمس ، وبدأ المقاتلون يغادرون قريتهم ويحملون أبناءهم ونساءهم عبر النهر .

وأمر جاكسون رجاله أن يكفوا عن اطلاق النار ، حتى لايقتل الأطفال والنساء ، وفر بعض قواد الهنود الى فلوريدا ، وجاء آخرون وقد ألقوا سلاحهم . وأطلق جاكسون سراح كل من وقعوا أسرى فى يديه .

وتقدم هندى طويل ، عارى الجسم حتى وسطه ، حتى اذا بلغ خيمة جاكسون وألفاه عند بابها قال :

ــ جنرال جاكسون ؟

فقال جاكسون :

ــ نعم ؟

ــ أنا بيل ويثرفورد .

ونظر جاكسون اليه فى دهش ، انه قائد الجيوش التى كانت تحاربه ، ولكن سرعان ما قال له :

ــ يسرنى أن أراك يا مستر ويثرفورد ، ولكن كيف تجرؤ على الظهور فى خيمتى بعد ما قتلت النساء والأطفال فى قلعة ميمز ؟ !

ــ جئت لأسلم نفسى فما أستطيع أن أصمد لك بعد الآن . تسببت لك فى خسائر كثيرة وكنت أتمنى أن أسبب لك خسائر أفدح ، ولكن رجالى المقاتلين قتلوا . اننى فى حوزتك . افعل بى ما تريد .

ــ انك لست فى حوزتى . أمرت أن يؤتى بك مكبلا فى الحديد ، ولكنك جئت بنفسك . كان يسرنى أن أنقذك وأن أنقذ عشيرتك ، ولكنك لم تسألنى أن أنقذك . اذا كنت تظن أنك قادر على أن تواجهنى فى معركة ، فاذهب واقدم على رأس محاربيك .

ــ ما كان القتلى ليحاربوا . اننى لا أطلب شيئاً لنفسى ، ولكنى ألتمس منك أن تمد يدك للنساء والأطفال الذين فروا

الى الغابة دون معين . انهم لم يفعلوا شرا ، اقتلنى أنا اذا كان ذلك يرضى البيض .

ووعده جاكسون بمد يد المعونة للنساء والأطفال ، وانسحب النسر الأحمر من القلعة المدمرة ، التى ولدت فيهـا أمه ، وقد نكس رأسه ، مبتعداً من مسرح الحوادث الى الأبد .

— ٩ —

ووعده جاكسون بمد يد المعونة للنساء والأطفال ، وانسحب الناس لاستقبال البطل ، وترقبت راشيل عودة زوجها بقلب نابض بالحب، ومس أذنيها حديث الناس فاستشعرت غبطة وأمناً .

واستقر جاكسون فى داره ، وبعث الى فلوريدا يطلب تسليم قواد الهنود الذين التجئوا اليها . ووصل رسول جاكسون الى فلوريدا وأدى رسالته ، ورأى ما يجرى بين الاسبان والانجليز ، وعند عودته رفع الى جاكسون تقريره ، وجاء فيه أن البريطانيين يؤسسون قاعدة حربية هناك ، وأن الأسطول الاسبانى يتأهب للانضمام الى البريطانيين .

وكتب جاكسون الى ادارة الحرب ، ولكنه لم يتلق رداً ، فراح يعمل على مسئوليته ، دون أن تصدر اليه الأوامر ، أخذ يجمع الجموع ، فقد كان يرى سحب المتاعب تتلبد فوق بلاده .

وجاءت الأنباء بأن معاهدة السلام وقعت فى أوروبا ، بأن

نابليـــون قد خلع عن عرشـــه ، وأن جيش ولنجتن قادم الى أمريكا ، وأن بريطانيا العظمى ستبتلع الولايات المتحدة .

وتحرك جيش كوبك وراح يزحف صوب مدينة واشنطن ، وسقطت واشنطن ، واشـــتعلت النيران فى بيت الرئيس وفى الكابتول ، واندحرت القـــوات الأمريكية ، وتحـــرك اندرو جاكسون على رأس فرقة مشاة الولايات المتحدة الثالثة وبلغ موبيل فى الثـــانى والعشرين من أغسطس عام ١٨١٤ ، قبـــل سقوط مدينة واشنطن بيومين .

وسقطت واشـــنطن ، ولم يعد هناك حكومة يتلقى منهـــا جاكسون الأوامر ، فراح يعمل من وحى نفسه . راح يفكر فى الموقف . فاهتدى بثاقب فكره الى أن القوات البريطانية لن تستخدم طريقا مائيا للذهاب الى نيوأورليانز ، ولكنها ستتقدم اليها عن طريق موبيل ، فراح يتـــأهب للمعركة ، وراح يطلب جنودا من المسسبى وتنسى وكانتاكيا ، وراح يحرض الجنود على القتال دفاعا عن بلادهم .

كانت الخـــزانة خاوية ، وكانت بعض الولايات تجنح الى التسليم ، ولكن جاكسون عزم على القتال حتى الرمق الأخير .

واحتـــل القلاع القريبة من المكان ، وشحنها بالمقـــاتلين والمدافعين ، ثم راح يبث جنوده للدفاع عن الطرق المائية الستة الموصلة الى نيوأورليانز . وراحت بريطانيا ترسل مراكبها هنا وهناك ، وأخذ جاكسون يرقب حركاتها فى حذر . كان يخشى

خداعها ، تبعث بعض قواتها الى ناحيــة لتلفت نظره اليها ، ثم تضرب فى مكان آخر .

وظهرت بعض مراكب بريطانية فى المياه القريبة فى نيوأوليانز ، فدب الذعر بين ســكانها . وبلغ جاكسون أن البريطانيين قد نجحوا فى النزول الى البر ، وأنهم على بعــد ثمانية أميال من المدينة .

وثارت ثائرة جاكسون وقال : « قسما لن يبيت البريطانيون الليلة فى أرضنا » .

وأمر بتحرك قواته لملاقاة أعدائهم .

— ١٠ —

الساعة السابعة والنصف مساء ، الضباب شامل والظلام ناشر ألويته ، والقوات البريطانية فى أماكنها لا تحس بقوات أمريكا التى تتــأهب على قرب منها . أطلقت البــارجة « كارولينا » نيرانها على مركز البريطانيين الرئيسى فأضاءت قذائفها الظلام ، ومزقت ستر السكون .

وراحت القوات البريطانية تبــادل « كارولينا » النيران ، وفى ذلك الوقت انحــدر جاكســون بمشــاته ليشــترك فى المعركة . كان الظلام ثقيــلا حتى انه ما كان يرى الا أخيــلة رجاله القريبين منه ، وان كان وقع حوافر الخيل يدوى فى أذنيه .

وفتحت نيران المشاة ، ودارت معركة ليلية ، وترددت صرخات

الجرحى ، وارتطام الخيول بالأرض، وبدأت مقاومة البريطانيين تزداد . وتقدمت فصيلة منهم لتستولى على مدافع الأمريكيين .
وصاح جاكسون :
ـ انقذوا مدافعكم .
وخف الجنود للدفاع عن مدافعهم .
واستمرت المعركة ، طلقات تئز فى الفضاء ، وما كان فريق ليميز بين عدوه وصديقه ، وانتصف الليل والقتال دائر ، وجاكسون يحصن مركزه ، وأقبل الفجر يزحف ، فرأى جاكسون أن يسحب قواته وأن يرقب البريطانيين من مكان حصين .
وعقد العزم على أن يقاتل حتى الموت ، وأن يقتل عدوه قبل أن يجود بأنفاسه ، وقرر أن يقاتل جنوب نيوأورليانز ، فاذا هزم هناك ، قاتل فى نيوأورليانز نفسها ، فاذا هزم قاتل شمالها . سيقاتل حتى النصر .
وجاءت الأنباء بأن الجنود البريطانيين ذوى الثياب الحمر يحيون قائدا جديدا ، انه ولنجتن نفسه .
ورفع وصول ولنجتن روح البريطانيين المعنوية ، وراحوا يحدثونه عن قلة خبرة الأمريكيين فى القتال ، وكانوا يطلقون عليهم : « أصحاب القمصان القذرة » .
وراح جاكسون يعمل ، ومرت ليلة ثانية دون أن يذوق طعم النوم ، وجاءت الأنباء بأن البريطانيين يتأهبون للهجوم على موقعه ، فطلب بعض قواته مددا للقوات المنتشرة فى الغابات ،

ثم نام لأول مرة بعد انقضاء ثلاث ليال فى عمل متواصل . ونام نوما عميقا ، أعمق من نوم أهالى نيوأورليانز ، الذين يبعدون عنه أربعة أميال ، ويرقبون مصيرهم .

— ١١ —

أطلقت نيران المدفعية البريطانية على « كارولينا » ، فما كان البريطانيون بقادرين على التقدم ، و «كارولينا» تهددهم من البحر بمدافعها. ومرت ثلاثون دقيقة وسكتت مدافع «كارولينا» وراح بحارتها يغادرونها ، ثم انفجرت كارولينا .

واتجهت المدفعية البريطانية الى « لويزيانا » القطعة الحربية الثانية ، فلما رأى جاكسون ذلك ، أمر بانقاذها مهما كان الثمن ، فقد كانت نصف مدفعية جاكسون فوقها .

وهبط البحارة فى الزوارق التى شدت اليها ، وراحوا يجذفون فى همة ليبتعدوا بها عن مواطن الخطر ، وتعلقت عيون الأمريكيين بهم ، وقد حبست أنفاسهم ، وبدأت السفينة تتحرك وتبتعد عن نيران المدافع ، واذا بصيحات الفرح تنطلق من ذوى القمصان القذرة !

وجاء الليل ، ونام جنود جاكسون ، الا فرقة كلفت بازعاج العدو ومهاجمته حتى لا يذوق طعم النوم ، وحتى تتحطم أعصابه .

وأصبح الصباح واذا برسول من قبل الحاكم يقبل ويقابل جاكسون ويقول له :

ـ انني رسول من قبل الحاكم ، لقد قرر المجلس تسليم المدينة للعدو .

ـ هل معك رسالة من الحاكم ؟

ـ كلا . أيها الجنرال .

ـ من الذي كلفك بهذه الرسالة ؟

ـ كولونيل دكلوت .

ـ أين دكلوت الآن ؟ يجب القبض عليه .

لم يشأ جاكسون أن يصدق الرسالة ، فما دار بخلده أن يسلم أبداً ، وفيه نفس يتردد . وراح البريطانيون يزحفون ، ودارت رحى المعركة ، وجاكسون على ظهر جواده يصدر أوامره .

وأصلت لويزيانا قوات الأعداء نارا حامية ، فاضطروا الى التقهقر ، ودمرت مواقعهم ، ولاحت فى الجو تباشير النصر .

وبلغت أنباء النصر نيوأورليانز ، فاذا برجالها يخرجون ببنادقهم لتعزيز قوات جاكسون ، ولم يشأ جاكسون أن تضيع منه الفرصة السانحة ، فاستمر فى العمل ليل نهار ، وقد نال منه التعب ، وكاد يسقط اعياء ، ولكنه كان ينفخ فى جنوده من روحه الوثابة العالية .

وراحت مدافع جاكسون تحيل حياة البريطانيين جحيما بالنهار ، وأخذت قناصته تقلق راحتهم بالليل وتحطم أعصابهم .

وفكر البريطانيون فى اسكات نيران «لويزيانا» ، ونجحوا

فى انزال بعض مدافعهم خلفها . وأطلقت القذائف ، وشبت النيران ، ودار القتال ، ولكن لم ينجح البريطانيون فى خطتهم ، فقد انتصر الأمريكيون فى موقعة المدينة للمرة الثالثة .

وكان ذلك فى ميلاد السنة الجديدة ، فبعث جاكسون الى جنوده مهنئاً بالعام الجديد .

— ١٢ —

وبدأت الامدادات تفد الى جاكسون ، ولكنها كانت امدادات من الرجال وأسلحة قليلة . ومرت أيام ، وبدا أن العدو يتأهب لمعركة فاصلة ، فجمع جاكسون قواده فى الثامن من يناير عام ١٨١٥ وقال لهم :

ـ أيها الرجال ، لقد نمنا بما فيه الكفاية .

وكان ذلك ايذاناً باستئناف القتال .

وراح العدو يزحف ، وأصحاب القمصان القذرة يرقبون وفى أيديهم بنادقهم ، وصار العدو على بعد خمسمائة ياردة ، واذا بطلقات الأمريكيين تدوى فى الضباب . وأطلقت مدفعية البريطانيين قذائفها فى اتجاه أصوات بنادق الأعداء .

وسقط قواد البريطانيين صرعى ، وتقدمت الجيوش تطأ أجداث القتلى ، وخفتت أصوات المدافع ، ثم سكتت البنادق ، وانتهت المعركة ، وجثث أصحاب الثياب الحمر تغطى ميدانها .

وخلع أصحاب القمصان القذرة قبعاتهم ، وصاحوا صيحات النصر .

وطارت أنباء النصر فى الولايات المتحـدة ، وأصبح اسم اندرو جاكسون على كل لسـان ، ودقت أجراس الكنائس ، وتحدث الناس عن النصر والسلام .

ودخل جاكسون نيو أورليـانز دخول الظافرين ، الجماهير محتشدة لتحيته ، وأغانى الترحيب به تتردد فى كل مكان .

وأقيمت له الاحتفالات ، ولكن أسعد أيامه كان يوم التقى بزوجته راشيل .

- ١٣ -

ذهب جاكسون الى مدينـة واشنطن ، فاسـتقبل استقبالا حاراً ، ودعاه مونرو رئيس الجمهـورية الى وليمة أقيمت له ، كما دعاه رجالات العصر .

ولم يطل اسـتقراره طويلا ، فقد أحس بأن بريطانيا تحرك الفتن فى فلوريدا ، وتحـاول تأليب الهنود والاسـبان على الولايات المتحـدة ، وكان من رأيه أن يخضـع تلك المنطقة للولايات ، وقد أيد رئيس الجمهـورية ذلك وباركه ، وبعث جاكسون على رأس قوة الى حدود فلوريدا .

واجتاز جاكسـون الحدود ، وحارب الهنـود وتوغل فى

أراضيهم حتى استولى على بنساكولا ، وأعلن تطبيق قوانين الولايات المتحدة فيها .

وجاء وزير اسبانيا الى واشنطن يلهث ، مطالبا باسم ملكه باخلاء المناطق التى احتلها جاكسون وانتزعها من التاج الاسبانى ، وبتعويضات عما حل بها من خسائر ، وبمعاقبة الجنرال .

واجتمع المجلس الجمهورى ، وقرر جميع أعضائه ما عدا عضوا واحدا أن جاكسون قد خالف الأوامر ، وأنه تصرف ذلك التصرف من تلقاء نفسه ، وأنه أعلن الحرب على اسبانيا ، دون أن يصدر بذلك أمر من الكونجرس .

ووجد أعداء جاكسون الفرصة سانحة فى القضاء عليه ، وراحوا يطالبون باخلاء الحصون ، وترك أراضى فلوريدا للاسبان .

وأنكر مونرو رئيس الجمهورية أنه أصدر اليه أمراً بذلك . فهذا من سلطة الكونجرس وحده .

واجتمعت لجنة الشئون العسكرية فى الكونجرس ، وراحت تناقش مسألة جاكسون ، وقام المدافعون عنه يحبذون ما فعل ، وراح أعداؤه يلقون اللوم عليه ، واستمرت المناقشات أياما ، وعاد جاكسون الى واشنطن ينتظر ما يحكم به الكونجرس .

وانقضت ثلاثة وعشرون يوما والمناظرات دائرة ، والمناقشات محتدة ، ثم أخذت الأصوات ، واذا بأغلبية اللجنة توافق على ما فعله جاكسون ، وكان نصراً لايقل عظمة عن نصر نيوأورليانز .

وباعت اسبانيا أراضى فلوريدا لأمريكا ، وأرسل جاكسون ليتسلم فلوريدا ويكون حاكماً لها ، وهمس الهامسون بأن ذلك التعيين لم يكن تقديرا بل ابعادا له عن واشنطن ، مسرح الحوادث .

— ١٤ —

انتخابات الرئاسة على الأبواب ، والمتنافسون عليها يخشون الأضواء المسلطة على جاكسون ، فقد صار بطلا شعبيا ، حتى ان بعضهم راح يقارن بينه وبين مونرو رئيس الجمهورية ، ويفضله عليه !

ولم يطل مكث جاكسون فى فلوريدا ، فسرعان ما استقال ليعود الى داره يحيا فيها حياة سعيدة ، بعيداً عن صخب الحياة العامة .

ورشحته احدى صحف فيلادلفيا للرئاسة ، وراح فى مجالسه الخاصة يرفض ذلك الترشيح . وحتى راشيل لم ترحب به ، فقد كانت ترى أن زوجها فى خلال الثلاثين سنة التى مضت على زواجها قد قام بنصيبه فى خدمة بلاده ، وأنه قد آن الأوان ليستقر فى بيته ويستريح .

وعلى الرغم من معارضته ومعارضة راشيل فقد راح أصدقاؤه يتشاورون فى أمر ترشيحه ، وأرسلت اليه رسائل

كثيرة من أنحاء الولايات المتحدة تسـأله عن سبب عزوفه عن ترشيح نفسـه ، ولم يكلف نفسـه مشقة الرد على رسـالة واحدة منها .

وكتبت الصحف أن أصدقاء الوطن يرشحون اندرو جاكسون ؛ وكتب الى أحد أصدقائه أنه لم يرشح نفسه لوظيفة أبداً ، ولن يفعل ذلك ، ولكن اذا طلب الشعب شيئاً فعلى المواطن أن يرضخ لمشيئة الشعب .

وفى العشرين من يوليو عام ١٨٢٢ كان مندوب مجلس تنسى يقدم الى المسجل اقرارا من المجلس بأنه يرشح اندرو جاكسون لرئاسة الجمهورية .

ورحبت الصحف بهذا الترشيح .

وخشى مونرو رئيس الجمهورية من منافسـه جاكسون ، فاقترح ايفـاده الى المكسيك مبعوثا ليحل المشاكل بينها وبين الولايات المتحدة ، وراح المرشحون الآخرون يحدثون أصدقاء جاكسون ليزينوا له قبول هذه البعثة .

ورفض جاكسون هذه البعثة السياسـية ، وفرح أنصـار جاكسون لهذا الرفض . ودارت المعركة الانتخابية ، المرشحون يقومون بالدعاية لأنفسهم ، بينـا ظل جاكسون صامتا ، وان راح أنصاره يدعون الولايات لانتخابه ، فهو صديق الشعب وحبيبه .

وظهرت نتيجة الانتخابات ، فاذا بجاكسون يخفق ويتقبـل الهزيمة بروح رياضية .

— ١٥ —

ما أقسى المعركة الانتخابية المتنافسون يستعملون كل سلاح للنجاح . كانت أسهم جاكسون ! فى ارتفاع . وشاء أعداؤه أن يحطموه ، فراحوا يشهرون بزوجته ويسددون اليها السهام .

طلقت من زوجها الأول وتزوجت جاكسون ، ولما كانت الشريعة تقول : من تزوج من مطلقة فانه يزنى ، فقد خاضوا فى الحديث عن الزانية . كانت حملة ظالمة جائرة ، فقد كانت راشيل مثال الزوجة الصالحة ، ولكنها الانتخابات .

ومس أذنى راشيل همس الناس فى كل مكان ، فنزل بها حزن ثقيل ، وجرت الدموع على خديها ، ولكن سرعان ماكانت تجففها ، فقد كرهت أن يرى زوجها حزنها .

وسقطت فريسة المرض ، وخف الأطباء اليها ، وراحوا يعالجون عللها ، فجلبوا الراحة الى جسمها ، ولكن ما كانوا قادرين على جلب الراحة لروحها الحزينة القلقة .

وأغمى على راشيل ، وأسرع الطبيب اليها ، ووضع أذنه على قلبها فألفاه قد لزم الصمت ، كفت ضرباته .

لم يشأ جاكسون أن يصدق أن راشيل قد ذهبت ، ورفض أن يتركها .

وغص البيت بالأصدقاء والجيران ، وبقى جاكسون الى جانب المرأة التى وقف الى جوارها سبعة وثلاثين عاما

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التـالى ؛ قبرت راشيل فى حديقتها ، ولم تشهد تنسى جنـازة قط مثل جنازتها ، فقد جاء الناس، بيضا وسودا ، من كل فج ليشاطروا الجنرال أحزانه.

وراح الناس يذكرون محاسنها ، وأخذت الألسنة التى كانت تلوك اسمها زراية تلهج بحمدها .

— ١٦ —

وانتخب جاكسون رئيسا للجمهورية عام ١٨٢٩ ، وذهب الى واشنطن ، فاذا بالمدينة غاصة بالذين خفوا لاستقبال البطل ، وانطلق الى البيت الأبيض ، وأطل على الجماهير ، فاذا بالعيون تتعلق به ، وبالقلوب تخفق بالحب والأمل .

وراح جاكسون يختار معاونيه ، ويضع فى الوظائف الهامة من يثق بهم ، وطلب من رؤساء المصالح أن يقدموا اليه تقريرا عن مصالحهم ، مع تقديم مقترحاتهم لتحسين الاقتصاد والخدمة العـامة .

واكتشفت مخالفات ، واستبعد كثير ممن شغلوا وظائفهم من أمد طويل ، فضاق المنتفعون ورجال السياسة القدامى بذلك ، وقد اعترض على سياسته بعض من يعسون معه ، ولكنه كان واثقا من أنه يسير فى الطريق القويم .

كان هدفه مصلحة بلاده ، وما كان يفعل شيئا الا والمصلحة العامة نصب عينيه .

وتلبدت بعض السحب فى سماء واشنطن ، وشاء جاكسون أن يكون على علاقات ودية مع الدول ، فدعا ممثليها الى البيت الأبيض ، وأخذ يتلطف اليهم ، وقد أثرت شخصيته فيهم ، فصاروا أصدقاء له ، لا يثيرون المتاعب فى وجهه ، بل يبذلون جهودهم فى معاونته ، ونجح فى أن يبدد السحب التى تجمعت فوق واشنطن .

وأحس جاكسون بالمرض يطوف به فكتب الى أخ لراشيل :

« لن تطول أيامى على الأرض .. ان بيتى الأرضى منظم ، وانى أعد نفسى لمنزل آخر وأتعشم أن يكون عالما أفضل ، اننى أرجو أن انسحب من المشاهد التى تحيط بى ، لأمشى على هواى فى « الهرميتاج » .. لأمضى آخر أيامى هناك .. عند قبر زوجتى العزيزة ، فى مأمن من شراك هذه الدنيا وغرورها »

الا أن جاكسون شفى من مرضه ، ليؤدى لوطنه أجل خدمة.

ديسمبر ١٨٢٩ ، حان الوقت ليلقى الرئيس جاكسون أول خطاب له فى الكونجرس ، فراح يسجل نقاط الخطاب . فى الشئون الخارجية : أجلت فرنسا البت فى الشكاوى التى مرت عليها عشرون سنة الخاصة بتعويض الحرب النابليونية . أغلقت موانى الهند الغربية البريطانية فى وجه التجارة الأمريكية منذ قيام الجمهورية . النزاع الدائم على حدود « المين » ؛ الشمال والجنوب يحاول كل منهما أن يضم المكسيك اليه .

الضرائب : كارولينا الشمالية تعترض على قانون ١٨٢٨ ، وتعمل جهرا على الغائه ، وترفض دفع الضرائب التى نص عليها ، وان أصوات نيوانجلند ستجهز عليه . ولكنه اصبح قانونا ويواجه جاكسون الآن عواقبه . انه يقترح تعديله .

الدين العام : ينبغى أن يدفع ، وكان جاكسون يرى ضرورة دفعه ، ثم يوزع فائض الدخل بعد ذلك على الولايات .

الاصلاحات الداخلية : كان يرى عمل اصلاحات طفيفة . ولكن ملاحظاته عن الدين وفائض الدخل تدل على اتجاهاته الحقيقية فى شأن التصرف فى أرصدة الاتحاد .

بنك الولايات المتحدة : ينتهى امتيازه عام ١٨٣٦ ، وكان جاكسون يرى أن الكونجرس والشعب يطالبان باحلال

مؤسســة أخرى مكانه ما دام قد أخفق فى النهـاية فى عملية تداول النقد بشكل منظم .

وقبل أن يلقى جاكسون خطابه ، راح رجال كارولينا الشمالية يطالبون صراحة بالغاء قانون ١٨٢٨ ، وبجعل تشارلز تاون ميناء حرا . وكتب رئيس البنك فى صحيفته متعجبا من رأس جاكسون، وقابله ودارت بينهما محادثة ممتعة . ان حساب الرئيس الخاص فى فرع البنك فى واشنطن ، فماذا يقصد من قوله أن البنك قد أخفق فى عملية تداول النقد بشكل منظم .

ولم يتلق مدير البنك ردا مقنعا ، ولكن جاكسون كان مقتنعا كل اقتناع بما يقول . كان يهدف الى تحطيم الطلبات التى تقدم للخزينة للحصول على أموال لتشييد طرق وشق قنوات واجراء الاصلاحات الداخلية الأخرى .

وراح أعضاء الكونجرس يقـرون دفع تكاليف المشروعات المحلية من الاعتمادات العامة ، وراح كل عضو يفاوض العضو الآخر على أن يوافق على شق قناة فى دائرته الانتخابية ، مقابل تأييده فى فتح طريق مثـلا فى دائرة العضو الآخر ، وبدا أن المشروعات المحلية ستمتص ما فى الخزانة .

ورأى جاكسون أن هذا الاتجاه ينبغى أن يقف ، وطلب من بعض خواصه أن يرقبوا الحالة فى الكونجرس ، وأن يهرعوا الى البيت الأبيض اذا ما مر مشروع من المشروعات المحلية .

وفى نهاية ابريل من عام ١٨٣٠ أقر الأعضـاء مشروع شق

طريق من ميزفيل الى ليكسنجتون ، وحسب الأعضاء أن الأمر قد انتهى .

وبلغ الخبر جاكسون فى البيت الأبيض ، لقد أقر مجلس النواب المشروع ولم يبق الا اعتماده من الشيوخ .

انه لا يقر مثل هذه المشروعات ، بينما البلاد تئن من وطأة الدين العام ، انه يرى أن يتخلص من ذلك الدين أولا ، ثم تقوم كل ولاية بما تشاء من اصلاحات .

وجلس الى مكتبه ، وراح يكتب رسالة رفض للمشروع يبعث بها الى الكونجرس ، وذاع الخبر قبل أن يبعث برسالته ، فخف بعض رجال الكونجرس الى البيت الأبيض يحاولون أن يثنوه عن عزمه دون جدوى . قالوا له :

ــ انك ستحطم أصدقاءك فى ولاية كنتكى بهذا الرفض .

فقال لهم :

ــ هل فحصتم حالة الخزانة ؟ هل درستم ما نحتاج اليه المشروعات الأخرى ؟

فأقروا بأنهم لم يفعلوا ، فقال جاكسون :

ــ ولكننى فعلت ، انها خاوية ، ولن أقر أى مشروع قبل أن أدفع الدين العام .

وعادوا الى اخوانهم فى الكونجرس ، فالتقوا بهم وسألوهم عن الأنباء ، فقالوا :

ــ لن يثنيه عن عزمه الا صوت من السماء .

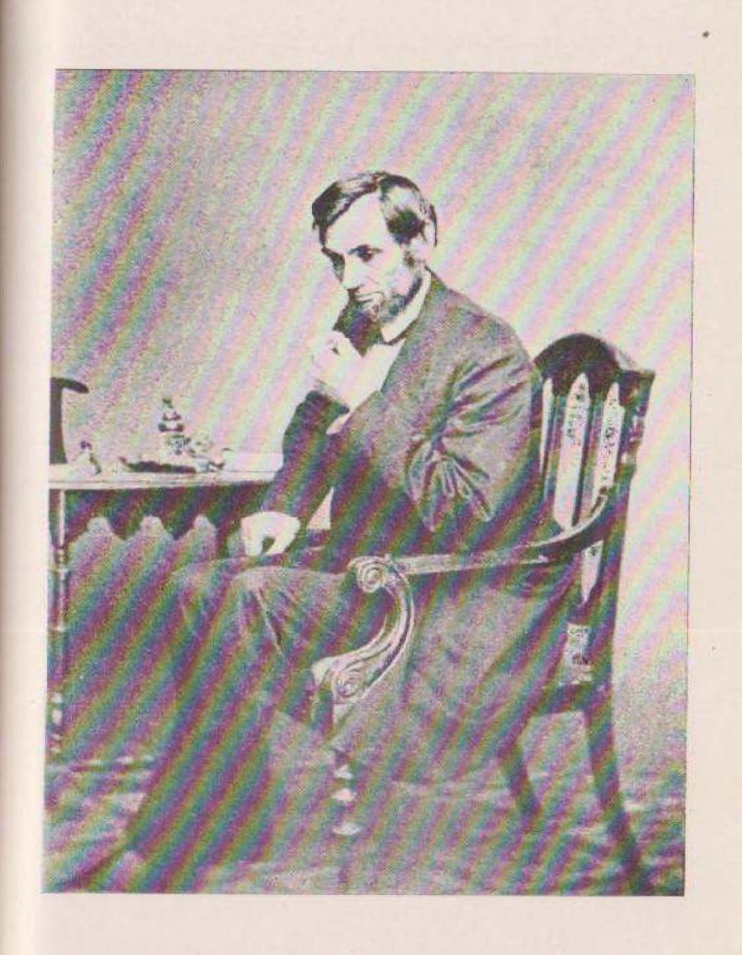
ولم ينبعث ذلك الصوت ، وأرسل جاكسون الى الكونجرس رسالة الرفض التى عرفت بميزفيل فيتو .

كانت عملا فنيا ، يعتمد على قوة سحره فى الجماهير . وعلى قدرته فى جعل أهدافه أهدافهم ، وانها لظاهرة متأصلة فيه ، ستظهر أكثر وضوحا فى السنوات السبع المضطربة القادمة .

راح الرئيس يخاطب الشعب ، دون النظر الى السياسيين ومحترفى السياسة ، شارحا أن هدفه اسعاد الجميع . ان دفع الدين العام معناه تخفيض الضرائب ، بينما السير فى مشروعات الاصلاحات الداخلية التى لا تدعو اليها ضرورة ملحة معناه زيادة الضرائب .

كان عرض القضية عرضا ناجحا ، وعلى الرغم من معارضة بعض الأعضاء للرفض فقد أقرته الأغلبية . وأدى جاكسون الى وطنه خدمة جليلة ، سيظل أثرها واضحا لسنين طويلة . فقد أصبحت رسالته هذه جزءا من التاريخ الأمريكى وهى تعرف الآن باسم « فيتو ميزفيل » .

ابراھام لنکولن



ابراهام لنكولن

١٨٠٩ — ١٨٦٥

— ١ —

غادر توماس لنكولن ووالده فرجينيا ، وانطلقا الى كنتكى . كانت الحياة قاسية فذهبا مع المغامرين طلبا للغنى .

وراح الوالد يشق مزرعة فى الغابة المظلمة ، وطفق توماس يعاونه والعرق يتصبب منهما ... الأشجار تتساقط ، والأرض الفضاء تنداح وتتسع . ولكن قبل أن يتحقق الأمل ، نفذ سهم الهنود الى قلب الأب ؛ فسقط صريعا يتخبط فى دمه .

واشتغل توماس بالنجارة ، وان كانت الزراعة مهنته الرئيسية ، ورأى نانسى هانكس وخفق لها فؤاده ، وشاء أن يتوج حبه ، فارتبط بها بالرباط المقدس .

وراح الزوجان يتعاونان على قسوة الحياة ، ولكن تعذر عليهما أن يهزما الفقر المسيطر على الدار . وعلى الرغم من الحرمان الذى كانا يعيشان فيه ، فقد رزقهما الله رزقا طيبا رزقهما غلاما كان لأمته بركة .

فمن هذين الوالدين الفقيرين ، وفى ذلك البيت العاطل من كل مظهر من مظاهر الرفاهية ، ولد ابراهام لنكولن !

وبلغ ابراهام السابعة ، والفقر آخذ بخناق والديه ، فلم تجد الأسرة مفرا من الخروج ؛ بحثا وراء حظ جديد عبر نهر الأهيو ، فى انديانا .

وأمضت الأسرة أول شتاء لها فى بيت مغلق من ثلاثة جوانب، بينما الناحية الجنوبية مفتوحة للرياح الصرصر العاتية .

كان جو انديانا قاريا ؛ حارا غاية الحرارة فى الصيف ، بارد غاية البرودة فى الشتاء ، فكانت الحياة فى ذلك البيت المفتوح لا تطاق ، ولكن ماذا يفعل الذين لا يملكون غيره ؟!

وانقضت سنتان ، وبلغ ابراهام التاسعة ، ولم تعش أمه طويلا ، وغادرت الحياة .

ومرت سنة أخرى ، وتزوج توماس لنكولن مرة ثانية ، فانقبض ابراهام بغريزته ، وبات يخشى قسوة امرأة أبيه ، ولكن تبددت مخاوفه ، فقد راحت ساره جونستون تعطف عليه وترعاه وتنفخ فيه روح القوة .

كانت أرملة ، وكانت أما لثلاثة أطفال ، وقد مدت البيت الفقير ببعض الأثاث ، وجلبت اليه الطموح والأمل .

كانت تؤمن بالتعليم ، فراحت تروى عطش ابراهام الى المعرفة ، على الرغم من أن والده كان يرى فى التعليم مضيعة للوقت .

وشغف ابراهام بالقراءة ، فراح يستعير الكتب من جيرانه .

وما كان أندر الكتب فى ذلك الوقت ، وراح يلتهم ما فى الكتب وهو قابع فى ركن من الكوخ المصنوع من الصفيح ، الذى يموج بسكانه موجا .

وعلى الرغم من قلة الكتب التى عثر عليها ، الا انه كان من حسن الحظ أنها كانت مناسبة لفتى يرغب فى تثقيف نفسه . كانت الكتاب المقدس ، روبنسون كروزو ، خرافات ايسوب ، تاريخ الولايات المتحدة ، قوانين انديانا المنقحة ، حياة واشنطن ، وتعليقات على القانون البريطانى .

واضطرت الأسرة ــ تحت ضغط قسوة الحياة ــ أن تهاجر مرة أخرى الى ايللينوى .

كان ابراهام قد شب عن الطوق ، وقام برحلتين فى قارب فى نهر الأهيو والمسسبى حتى بلغ أورليانز ، وقد غادر بيت والده ليعيش وحده مستقلا .

— ٢ —

بدأت شخصية ابراهام لنكولن تتكون، لم يكن يجد الوقت للشراب أو الجرى وراء الفتيات ، ولكنه كان شغوفا بصحبة رفاقه ، فكان يتحدث معهم فى السياسة ، ويقص عليهم قصص الكتاب المقدس ، فى الوقت الذى يفرغ فيه من قراءته ، وتدبر ما قرأ .

وخرج يوما ليصطاد ، وسدد رصاصته الى ديك برى وأرداه ، ولم يبتهج لأنه أصاب الهدف ، بل أحس الشفقة على فريسته تتدسس الى قلبه ، فوطن العزم على ألا يصطاد بعدها أبدا .

ولم يكن شغوفا بجمع المال ، وما كان يتمنى أن يصبح غنيا يوما ، على الرغم من منبته الفقير . وكان ذلك غريبا ، فكل رجال هذه المناطق يحسون جوعا الى تملك الأراضى ، ويحلمون بالغنى العريض . لم يكن لنكولن ليأبه بالماديات .

وكان محبوبا ، اكتسب حب الناس له ببشاشته ، وميله الى الدعابة اللطيفة ، هذا الى براعته فى سرد الحكايات .

شب قويا قوة خارقة، كان طوله ست أقدام وأربع بوصات، قويا كالشجر الضخم ، الذى أمضى زهرة شبابه فى قطعه وشقه .

كانت عيناه عسليتين ، وشعره أسود مسترسلا ، وأذناه كبيرتين ، ورقبته طويلة .

ولما بلغ الثالثة والعشرين رشحه رفقاؤه لمجلس الولاية ، فوقف يخطب ، قال :

« طلب منى بعض رفقائى أن أرشح نفسى لمجلس التشريع ، ان سياستى قصيرة وحلوة كرقص امرأة عجوز. انى أؤيد اقامة بنك أهلى ، وأؤيد سياسة الاصلاحات الداخلية ، وفرض رسوم عالية لحماية منتجاتنا . هذه هى أسس سياستى ، فاذا انتخبتمونى فانى شاكر لكم ، واذا لم تفعلوا فلن يختلف الأمر » .

كان ذلك فى سنة ١٨٣٢ ، فى الوقت الذى انتهت فيه رئاسة اندرو جاكسون الأولى ، وبعد أن أصدر جاكسون فيتو ميزفيل ، فاتضح من كلمات لنكولن أنه من الفريق المعارض لجاكسون .

— ٣ —

كان للديمقراطيين أغلبية ساحقة فى ايللينوى ، فلم يكن عجيبا أن يسقط لنكولن فى الانتخاب ، ولكن العجيب أن ينجح بعد ذلك . فقد نجح فى المرة الرابعة ليكون عضوا فى مجلس الولاية .

كان من الأحرار ، وككل الأحرار كان يرى الغاء الرق ، وعندما ناقش مجلس التشريع الموضوع ، أراد لنكولن أن يقرر أن الرق قام على الظلم والسياسة الخبيثة ، ولكن الديمقراطيين فى المجلس رفضوا تقرير هذه الحقيقة .

وظل لينكولن يستذكر دروس القانون حتى أصبح محاميا ، واستقر فى سبرنجفيلد عاصمة الولاية الجديدة ، وقد بلغها على ظهر جواد استعاره ، وفى جيبه سبعة دولارات ، واضطر الى مشاركة رجل من أهلها فى سريره العريض .

وكانت سبرنجفيلد مدينة كبيرة ، تعاون من كان مثل لنكولن على أن يشق طريقه فيها . لقد فر من حياة الغابات ،

وفر من الكوخ المصنوع من الصفيح ، وأصبح الآن محاميا مبتدئا فى مدينة كبيرة .

وأصبح قادرا على أن يوسع مداركه ، وأن يهذب روحه كيفما يحلو له ، وأن تنمو مواهبه قوية جدا ، بطيئة جدا ، كتلك الأشجار التى كانت تحيط بشبابه .

لم يكن مهتما بالنساء ، ولكنه وجد بصره فجأة يتعلق بمارى تود ؛ ابنة رئيس فرع ليكسنجتون لبنك كنتاكى ، والتى كانت تزور أختها المتزوجة فى سبرنجفيلد عاصمة ايللينوى .

كانت الآنسة تود جميلة جذابة ، وكانت مثقفة ، تقول لرفيقاتها : « انها تريد زوجا يصبح فى ذات يوم رئيس الولايات المتحدة » .

وقد لفت جمالها أنظار ستيفن دوجلاس ؛ الرجل الذكى الناجح ، المتألق فى حزب الديمقراطيين ، وتقدم لخطبتها ، ولكنها فضلت عليه لنكولن الخشن ؛ الذى أمضى شبابه فى قطع الأخشاب . وفى الرابع من نوفمبر سنة ١٨٤٢ عقد قرانهما .

وما كان لنكولن بقادر على أن يظهر فى هيئة حسنة كالرجال الآخرين ، وما كان بقادر على أن يحافظ على نظام غرفة يمضى فيها ساعات ، كان عدم النظام يلازمه كظله ، وكان يفكر طويلا ، ويغيب عمن حوله كثيرا ، فكانت زوجه تثور أحيانا ، لذلك وصفت بحدة الطبع .

وفى ذات يوم ارتدت مارى لنكولن ثوبا ذا ذيل طويل ، وكانت فخورة به ، فراح يدور حولها ، ثم قال :

ـ ما أطول ذيل قطتنا !

كانت هناك لحظات كدر فى حياتهما الزوجية ، ولكنهما عاشا حياة زوجية حقة ، أقاماها على التفاهم والوداد .

— ٤ —

استقلت ولاية تكساس عن المكسيك ، وكانت أرض عبيد ، وشاءت أن تنضم الى الولايات المتحدة ، ولما كانت واسعة جدا ، حتى انه كان من الممكن تقسيمها الى خمس أو ست ولايات ، فقد كان انضمامها حريا بأن يخل بالتوازن بين الشمال الذى حرم الرق ، والجنوب الذى يعتمد فى كيانه على الرقيق .

وفى عام ١٨٤٥ قام فى وجه أمريكا ثلاث مسائل عويصة : هل يسمح بانتشار الرق جنوب خط المسورى ، أو هل يسمح بالرق فى جميع الأراضى الجديدة فى الشمال والجنوب ، أو هل يحرم الرقيق فى كل أجزاء الاتحاد ، التى لم يصرح لها باستخدامه فى عام ١٨٢٠ ؟

رأى المتطرفون فى الشمال تحريم الرق كلية ، وأقسم متطرفو الجنوب أنهم سينسحبون من الاتحاد اذا لم يتقرر امتداد خط مسورى ـ ذلك الخط الفاصل بين بلاد الرق وبلاد تحريمه ـ حتى المحيط .

ووقف بين متطرفى الشمال ومتطرفى الجنوب أناس يجعلون الاتحاد فوق كل شيء ، ويبغضون أن يروا مسـألة الرقيق تتحول الى نزاع ، ويرجـون أن تحل المسـألة بالوسائل السياسية . وكان ابراهام لنكولن من هذا الفريق .

انتخب ابراهام عضوا فى مجلس النواب بواشنطن ، وعندما استقر فى مقعده فى الكونجرس ، تم قبـول ولاية تكساس فى الولايات المتحدة .

وبرزت مشاكل الحدود فى الولاية الجديدة ، وقامت حرب بين الولايات المتحـدة والمكسيك ، انتهت بضم مقاطعـات كاليفورنيا العليـا ، ونيومكسيكو الى الاتحاد ، وقال حكماء الشمال والجنوب : « المكسيك هى الفـاكهة المحرمة علينا ، وجزاء أكلها هو موت اتحادنا السياسى » .

كان الحكماء يرون أن عدوى الرق سـتنتشر من المكسيك الى الولايات وتحطم الاتحاد .

وانتهت دورة البرلمـان الأولى ، ولم يستشـعر لنـكولن حقيقة الخطر الجاثم فى المسـألة ، ولكن اعتقاده الراسخ قبل المشكلة قد وضح تماما .

وفى عام ١٨٤٩ قدم لنكولن اقتراحا بتحريم الرق فى منطقة كولومبيا ، وتعويض ملاك العبيد ، وعدم تطبيق الاقتراح الا بعد موافقة الأهالى باجراء اقتراع خاص على ذلك .

الا أن هذا الاقتراح العادل لم يحظ بالقبول . ولو كان قد

أخذ به وطبق تدريجيا على المناطق الأخرى ، لخفت حدة الخلاف
بين الشمال والجنوب ، ذلك الخلاف الذى أخذ يشتد حتى صار
حربا أهلية .

— ٥ —

قامت الحرب بين الولايات المتحـدة والمكسـيك ، وراح
لنكولن يعارض هذه الحرب ، ويقول : انها حرب لم تدع اليها
ضرورة ، حرب عدوانية شنها رئيس الولايات المتحدة .

ولم تعجب تلك اللهجة أهالى ايللينوى ، فتخلوا عنه ، ولم
ينتخبوه ليمثلهم فى الكونجرس .

وقد أفادته السنتان اللتان قضاهما فى واشنطن كثيرا ، رأى
عاصمة البلاد وعاش فيها ، وسافر كثيرا الى الشرق ، وعرف
اتجاهات الشمال والجنوب فى مسألة الرقيق ، وقسوة السياسة ،
وشحذ قواته فى الجدل والمناظرة ، وهذب شخصيته ولم يحاول
قط أن يقلد شخصـية أخرى مهما كان خطـرها . كان معتزا
بشخصيته ، وان كانت فى ذلك الوقت لا تزال خشنة .

وعاد لنكولن الى ايللينوى ، وصار عضوا بارزا فيها ، ولكن
شهرته لم تتجاوز حدود ولايته ، وراح يشتغل بالقـانون ،
ويزحف نحو هدفه فى بطء ، ومرت خمس سنوات وهو عاكف
على عمله ، يعيش مع أفكاره فى لحظات فراغه ، وفى الأوقات

التى يكون فيها على ظهر جواده يقطع البرارى الواسعة التى تفصل بين المدن التى يقصدها ، ليؤدى واجبه فيها .

وحببت بساطته الناس فيه ، وعاونته براعته فى سرد القصص ، على التفاف الناس حوله ، وكان اذا جهل شيئا ، مهما كان طفيفا ، يسأل عنه ، دون أن يأبه بنظرات الدهش التى تحدق فيه ، فقد كان شغوفا بالمعرفة .

وعلى الرغم من دماثة خلقه وانسانيته ، كان الجميع يعرفونه ، وما كان أحد يعرفه على حقيقته ، فقد كان عميقا يحتفظ بأسراره لنفسه ، لايبوح بها لأحد ، كتوما لاتنبس شفتاه بسر .

- ٦ -

وقال قائل :

« ليس من حق الكونجرس أن يمنع الرق ، لأن الرقيق ملك للناس ، والحكومات لم تقم الا لصيانة ممتلكات المواطنين » ، واقترح أن ينسحب الجنوب من الاتحاد ، اذا ما حيل بينه وبين السير فى طريقه .

واشتدت المناقشة فى الكونجرس ، وأطل شبح الحرب بين الشمال والجنوب ، وراح أنصار السلام يعالجون الأمر بحكمة ، حتى لايجرحوا الشماليين ولا الجنوبيين ، وجاءت انتخابات

الرئاســة فى عام ١٨٥٢ ، ودارت رحى المعــركة حول مشكلة الرقيق ، ورأى بعض المتطرفين الجنوبيين أن جنرال ســكوت مرشحهم شمالى فى أفكاره ، فانضموا الى حزب الديمقراطيين ؛ لأن مرشحهم ليس له رأى فى هذا النزاع . وظن بعض المتطرفين الشماليين أن الجنرال سكوت المســكين ، ان هو الا آلة فى يد القوة المؤيدة لاباحة الرق ... لذلك كونوا حزبا ينــادى بأن (قانون العبيد مناف لأسس القانون ، ومناف لروح النصرانيه ولكرامة العالم المتحضر) .

وانتخب للرئاســة مرشح الديمقراطيين الضعيف ، فرانكلين بيرسى ، لا لشىء الا لأنه لم يكن له أعداء ولا أصــدقاء ولا شخصية ولا أهداف واضحة .

وراح رجال من المعســكرين يعملون على تقويض اتفــاق ميسورى الحائل بين انتشار الرقيق فى الولايات كلها ، اما لجلب منافع شخصية واما لأنهم كانوا مايزالون أطفالا فى السياسة ، لا يدركون أن ذلك الاتفاق هو فرصة السلام الأخيرة .

وراحوا يقولون : « ان قانون الرقيق قانون لا يستطيع أن يطيعه انسان دون أن يفقد احترامه لنفســه » ، ولجوا فى مثل ذلك القول دون أن يفطنوا الى أنهم يهددون حياة أمة .

ووقف رئيس الولايات المتحدة مكتوف اليــدين أمام تلك الآراء المدمرة ، ولم يحرك ساكنا لانقاذ ذلك القانون .

وجاء الحديث عن مد خط حديدى يربط الولايات المتحدة ، ودار النقاش : أيبدأ الخط من نيو أورليــانز الى فيكزبرج ثم

يخترق تكساس ونيومكسيكو الى لوس انجلس ، أم يبدأ من شيكاجو الى نبراسكا ومدينةسولت ليك ثم الى سان فرنسيسكو؟ وتحمس فريق للخط الأول، وتحمس فريق للخط الثانى ، وكان كلا الفريقين المتحمسين من الديمقراطيين ، الذين فرق بينهما التحمس للشمال أو للجنوب .

وكان على رئيس الولايات المتحدة ، الذى يمثل الشمال والجنوب معا ، أن يقول قوله الفصل فى هذا الموضوع ، ولكنه لم يفعل شيئا ، وبذلك انفصمت آخر عروة كانت تجمع الشمال بالجنوب، ألا وهى الانتساب الى حزب واحد .

— ٧ —

وقدم اقتراح الى الكونجرس لالغاء اتفاق ميسورى ، الذى يقضى بعدم اباحة الرق شمال خط عرض ٣٦ ، واباحته فى نبراسكا وكانساس ، وأن على أهالى هاتين المنطقتين أن يقرروا بأنفسهم مايرونه فى مشكلة الرقيق .

وراح لنكولن يتحدث الى جيرانه فى ايللينوى فى عام ١٨٥٤ عن الأخطاء التى ينطوى عليها هذا الاقتراح . كان يقول :

« انى لا أعترض على الجنوبيين ، فلو وضعنا أنفسنا فى مكانهم لوجدناهم على صواب . لو لم يكن العبيد موجودين بينهم فما كانوا ليجلبوهم الى بلادهم . وما دام الرق موجودا

بيننا فما كنا نسلم بالغـائه . ولكن ما كان كل هذا ليبرر سن قانون يحمى زحف الرقيق الى أراضينا الحرة » .

« يقولون ان اباحة الرق فى نبراسكا سينقذ الاتحاد ، وانني أقول انى أبغى انقاذ الاتحاد ، ولكن اذا ألغى اتفاق ميسورى ، فقد فتح الباب لالغاء الاتفاقات الأخرى » .

« ألغوا اتفاق ميسورى ، ألغوا جميع الاتفـاقات ، ألغوا اعلان الاستقلال ، ألغوا التاريخ كله ، ولكن لن تستطيعوا الغاء الطبيعة البشرية ، فسيظل اليقين فى قلوب الناس بأن بقاء الرقيق خطأ عظيم » .

ان الايمان بقانون طبيعى هو حجـر الزاوية الذى تقام عليه الأمة ، وهذا ما أكدته وثيقة اعلان الاستقلال الأمريكى . وكان هدف لنكولن فى الحيـاة البحث عن هذا القانون ، لكى يضع نفسه فى خدمته .

وفتحت كانساس للمهاجرين ، وأسرع الشماليون اليها ليملئوها برجال أحرار ، حتى يهزموا الجنوبيين اذا ماجاء وقت الاقتراع على مسألة الرقيق ، وحسب الجنوبيون أن كانساس ستكون من نصيبهم ، ولكن الشماليين أقبلوا ينازعونهم فيها .

ودارت معركة الاقتراع بين الشماليين والجنوبيين ، واتضح أخيرا أن الأغلبية ضد الرق . وعرض أمر ضم هذه المنطقة على الكونجرس باعتبـارها منطقة أحرار ، ولكن ممثلى الجنـوب رفضوا ذلك .

واتشرت العداوات فى الولاية البائسة ، راح كل فريق يحرق دور الفريق الآخر .

اذا مارست كانساس « حق السيادة » الذى كان يدعو اليه أنصار الرقيق حقا ، لكانت كانساس أرضاحرة . ولكن الجنوبيين رفضوا ما كانوا ينادون به ، لما أدركوا أنه لا يحقق أهدافهم .

وفقدت الديمقراطية وحق السيادة مدلولهما ، واذا ماذكر لفظ منهما اعتبر ذلك نكتة ! وراحت الهوة بين الشمال والجنوب تتسع ، الخطب هنا وهناك تلقى ، والألفاظ تقطر مرارة وحقدا .

— ٨ —

وعرض اقتراح نبراسكا على مجلس الشيوخ . وفى ذلك الوقت ، اجتمع جماعة من المعادين للتوسع فى الرقيق ، وكونوا حزبا جديدا أطلقوا عليه « الحزب الجمهورى » .

وكانت بداية حسنة ، ولكن اذا أراد الجمهوريون أن يخوضوا معركة الانتخاب ، فعليهم أن يعدوا برنامجا أوسع من محاربة التوسع فى الرقيق .

ان أحرار الجنوب قد انضموا الى الديمقراطيين ، فلماذا لا ينادى أصحاب الحزب الجديد باصلاحات استهوت أحرار الشمال ؟ لقد دعا لنكولن الى انشاء بنك أهلى ، والى فرض

رسوم جمركية لحماية البضائع المحلية ، واصلاحات داخليةعلى نفقة الاتحاد ، فلماذا لا يكون كل ذلك من برنامجهم ؟ !

ان أغلب عمال الجنوب سيرحبون بالبنك الأهلى ، ليتخلصوا من أزمات ورق النقد . وسيؤيد صناع بنسلفانيا من نفرض ضرائب عالية حماية لمنتجاتهم ، وأما الاصلاحات الداخلية على نفقة الاتحاد فسيرضى عنها أصحاب المشاريع الضخمة وشركات السكة الحديدية ، وبذلك تصبح هذه الطبقة الغنية من الجمهوريين .

وراح الجمهوريون يقولون للناخبين الراغبين فى الهجرة الى الغرب : « انتخب لتحصل على مزرعة لنفسك » .

وللصناع الذين يخشون منافسة المنتجات البريطانية : « انتخب لتحصل على حماية لمنتجاتك » .

وللعمال وأصحاب رءوس الأموال : « انتخب لتحصل على نقد ثابت » .

وراح الجمهوريون يتلفتون بحثا عن زعيم يصلح لقيادة الحزب ، ويؤمن ببرنامجه ، وبعدم التوسع فى الرقيق ، فوجدوا أن ابراهام لنكولن قد خلق لذلك .

وأصبح لنكولن زعيم الجمهوريين فى عام ١٨٦٠ ، وكان عليه أن يصون الاتحاد من الانفصام ، وأن يمنع انتشار الرقيق فى الأراضى الحرة .

— ٩ —

صار جيمس بوكانان رئيسا للولايات المتحدة بعد بيرسى ، وقد صرح بوكانان قبل دخوله الى البيت الأبيض ببضعة أيام . « بأن المحكمة العليا للولايات المتحدة على وشك أن تجد حلا لمشكلة الرقيق » .

ستعلن المحكمة أن قانون ميسورى ليس قانونا دستوريا ، وأن الكونجرس لا يملك محو الرق من أى جزء من الولايات . وحسب بوكانان أن هذا القرار سيخفف من التوتر فى البلاد .

وأصدرت المحكمة العليا القرار المرتقب ، ولكن النتيجة لم تكن كما كان يظن بوكانان .

اهتم لنكولن بذلك القرار الذى يهدم ركنا هاما من برنامج حزبه ، بل يهدم حجر الزاوية فيه ، فقد قام الحزب لمنع انتشار الرق فى الأراضى « الجديدة » .

وهاجم لنكولن وأصدقاؤه المحكمة العليا ، وقالوا ان قرارها خاطىء . وراحت صحف الشمال تطعن القرار فى الصميم ، بينما ظل الرئيس بوكانان صامتا ، لايحرك ساكنا .

وراح ساعد الحزب الجمهورى يشتد ويلتف الأنصار حوله . وتألق نجم الزعيم لنكولن .

وفكر الحزب الجمهورى فى ترشيح لنكولن لمجلس

الشيوخ مكان ممثل الديمقراطيين فى الكونجرس ، فقامت بين المتنافسين مناظرات رائعــة ، برز فيها لنكولن وعلا شــأنه .
تســاءل لنكولن : هل ينبغى على الرئيس والكونجـرس أن ينحنوا دائما للمحكمة العليا ؟ أم أن الرئيس جاكسون كان على حق عندما قال فى رسالة الرفض (فيتــو ميزفيل) : « ان كل موظف يقسم على صيانة الاتحاد انما يقسم على صيانته كما تفهمه ، لا كما يفهمه الآخرون » ؟

ان السنتور دوجلاس نفسه قد أعلن أن المحكمة العليا قد جانبها الصواب فى مسألة تأسيس البنك الأهلى ، وصفق للرئيس جاكسون عندما رفض قرارها .

كانت المناظرات دائرة على قدم وساق بين أنصار اباحة الرق فى كل مكان ، وبين أولئك الذين لايرغبون فى أن يزحف الرق الى أراضيهم .

وفى سنة ١٨٥٩ قال قائل : « أعتقــد أن الجنوب ، مدفوعا بحقوقه وكبريائه ومصالحه ، قد ينفصل عن الاتحاد ، ويكون فيما بينه اتحادا آخر يرعى مصالحه » .

وبدأ شــيوخ الشمال فى الكونجرس يرفضون المشــاريع الاصلاحية التى تمر بأرض الجنــوب ، وأخذ شيوخ الجنوب يقفون فى وجه كل مشروع يمر بأرض الشمال .

وتأجلت جميع المشروعات حتى ينتهى انتخاب ١٨٦٠ .

— ١٠ —

فبراير ١٨٦٠ ، ولنكولن واقف فوق منصة الخطابة فى معهد كوبر بمدينة نيويورك ، والصحفيون فى مقاعدهم يصغون باهتمام الى كل ما يقول ، ولنكولن يتدفق فى الخطابة ، فقد كان يشعر — فى قرارة نفسه — بأنه يجتاز امتحانا لترشيحه لرئاسة الجمهورية . وكان يعلم أيضا أن اللوم يوجه للحزب الجمهورى ، وقد يفقد الرئاسة بسبب هجوم جون براون بجيش صغير قوامه اثنان وعشرون رجلا على فرجينيا على أمل أن يبدأ حملة الغاء الرق .

قتل جون براون ، واتخذ أعداء الجمهوريين ما فعله دليلا ساطعا على نوايا أعداء توسع الرق ، وأنهم يستهدفون اشعال حرب أهلية .

وراح لنكولن يتحدث ليفرض نفسه على الشرق ، ولينقذ حزبه من أفعال غلاة المتعصبين ضد الرق ... كانت آراؤه التى يبسطها معتدلة ، حتى ان أصدقاءه فى الغرب أحسوا بخيبة أمل .

كان قصاصا بارعا ، فراح يستحوذ على أفئدة المستمعين اليه ، تحدث عن نظرة الآباء الى الرق واعتباره شرا يجب الحد من انتشاره . ثم راح يتحدث الى الجنوبيين « العقلاء المادنين »

يحثهم على أن يكفوا عن سب الجمهوريين ، والنظر اليهم على أنهم عصاة خارجون على القانون .

وقال ان حزبه لا يرغب فى التدخل فى مسألة الرق فى الولايات الجنوبيـــة ، ولا فى قوانين تلك الولايات بأية طريقـــة كانت .

« تقولون انك ستفصم عرى الاتحاد ، وان جريمة تقويض الاتحاد تقع على رأسك ، وهذا عجيب . قاطع طرق يسدد مسدسه الى أذنى ويغمغم : قف وسلم والا أرديتك قتيلا . ثم يقال بعدها اننى قاتل ! » .

وختاما ، ناشد أصدقاءه وأتباعه أن يعاونوه على انقاذ الاتحاد ، ولكنه أوضح أن الصداقة للجنوبيين ، ومد حبـــل الوداد بينه وبينهم ، ليس معناه أنه سيقف مكتوف اليـــدين أمام آية خطة تستهدف نشر الرق .

قبل لنكولن الأخطاء القائمة التى امتزجت بصرح الاتحاد ، ولكنه رفض التمادى فيها ، قبل حقيقة وجود الرق فى الجنوب ، ولكنه عزم على أن يقاوم انتشاره .

وراحت الصحف فى نيويورك تعلق على الخطبة . . . قالت احداها : « ان لنكولن أعظم انسان منذ القديس بولص ، وأنه ما من انسان ترك من قبل مثل هذا الأثر الذى تركه فى مستمعيه فى نيويورك » .

ولكن لنـــكولن لم يؤثر فى الجنوبيين الذين ناشـــدهم ألا يظنوا شرا بجميع الجمهوريين .

— ١١ —

اجتمع مؤتمر الجمهوريين القومى فى شيكاغو ، بعد أن اجتمع الديمقراطيون وأخفقوا فى الاتفاق على من يرشحونه للرئاسة .

وراح رجال المؤتمر يتحدثون عن أهـداف الحزب : صيانة الاتحاد ، منع الرق فى الأراضى الجديدة ، سكة حديد الباسفيك ، وبعض اصلاحات أخرى داخلية ، والحماية الجمركية .

ولم يتحدثوا عن البنك الأهلى ، فقد كان بعض الجمهوريين يعارضون وجوده .

وانتهى تحديد الأهداف ، وجاء أوان انتخاب الرجل الذى يحققها ، ورشح لنكولن فيمن رشحوا للرئاسة . وفاز لنكولن بأغلبية طفيفة ، لأنه لم ينل صوتا واحـدا فى الولايات العشر الجنوبية .

وعقب فوزه مباشرة ، دعا مجلس تشريع كارولينا الجنوبية الى عقد مؤتمر ، واقترع على الانسحاب من الاتحاد ، وانضم الى كارولينا الجنوبية ولاية المسسبى وفلوريدا وألاباما وجورجيا وتكساس .

وفى فبراير من عام ١٨٦١ ، قبـل أن يباشر لنكولن سلطاته بشهر واحد ، كونت هـذه الولايات فيما بينها اتحاداً أسمته

اتحاد أمريكا « الكنفدرالى » ، واختارت جيفرسون دافيد رئيسا له والكسندر ستيفن وكيلا .

وأصبح للولايات المتحدة رئيسان ، كل منهما يعتقد اعتقاد اليقين أنه يمارس حقوقه الدستورية . وصارت السيادة الحقة للقوة . فهل ينجح لنكولن فى اقناع الشماليين بخوض غمار الحرب صيانة للاتحاد ؟

كان أغلب الشماليين يعارضون الابقاء على الاتحاد بالقوة . وكان بعضهم يرى مهادنة الجنوبيين ، والسماح بانتشار الرق فى بعض الولايات والأراضى الجديدة .

وتولى لنكولن رئاسة الولايات المتحدة ، وأعلن :

« ان اتحادنا الفيدرالى يجب أن يصان » .

ووطن العزم على صيانة الاتحاد ، وعدم السماح بانتشار الرق .

لقد خف اليه مندوبو الولايات قبل ذهابه الى البيت الأبيض ، وعقدوا معه مؤتمر سلام ، هدفه الابقاء على الوحدة دون حرب ، وقد قال له مندوب نيويورك :

« عليك يا سيدى أن تقول ما اذا كان على الأمة كلها أن تفلس ، وأن تنمو الأعشاب فى مدننا الصناعية ؟! »

وكسى وجه لنكولن الحزن ، وقال :

« اننى لا أفهم ما تقصده ، ولا أدرى ما سأفعله فى المستقبل حيال ذلك . اذا قدر لى أن أذهب الى مكتب الرئاسة فسأقسم قسما .. سأقسم على صيانة اتحاد الولايات المتحدة وحمايته ..

وسأدافع عن الاتحـاد كما هو ، لا كما أهوى . لن يكون الاتحاد مصـانا الا اذا كان محترما فى كل مكان ، وأطاعه كل أحد فى الولايات المتحدة . يجب أن يحترم ، وأن يطاع ، وأن يقوى ، وأن يدافع عنه ، ولينبت العشب أينما شاء ! »

وازدادت المخاوف ، وقررت نيويورك أن تنفصم عن الاتحاد وأن تصبح ميناء حرة .

جاء لنكولن الى البيت الأبيض ، فى هذا الظرف المضطرب ، المفعم بالأحداث . لقد عزم على أن يجعل الاتحاد مطاعا فى كل مكان ومن كل أحد فى الولايات المتحدة .

كان معنى ذلك الحرب ، لم يكن أمرا سـهلا أن يحـارب أمريكى الشمال أمريكى الجنوب ، ولكن لنكولن أقسم قسما .. أقسم أن يصون الاتحاد ويحميه .

— ١٢ —

ان اعلان الحرب من سـلطة الكونجرس ، فهل يسـتطيع لنكولن أن يحمل النـاس على الحرب دفاعا عن الاتحاد ، هل يستطيع أن يكون رأيا عاما يهزم به المحـايدين فى الشمال من التجار والذين يتمسكون بالسلام حتى ولو كان سلاما مهينا ؟ وهل يسـتطيع أن يحول بين باقى الولايات وبين الاندماج فى الاتحاد الفيدرالى ؟

وانجلترا ماذا ستفعل ؟ الجنوب يملك القطن وهى تملك المصانع ، فهل تخف لنجدة الجنوب حماية للسوق التى تصرف فيها سلعها ؟

ان أمانة صيانة الاتحاد عبء ثقيل ، ولكن لنكولن القوى الأمين لن ينوء بذلك العبء .

وقرر لنكولن ألا يلتفت الى أطماع أعضاء حزبه ، وأن يختار مجلسا لمعاونته من المتحمسين للاتحاد ، فوقع اختياره على منافسيه فى رئاسة الحزب ، وعلى القادرين على تحمل الأعباء الجديدة .

وفى مارس عام ١٨٦١ قال فى أول خطاب له بعد أن صارت اليه مقاليد الأمور ، مخاطبا الجنوبيين :

« فى أيديكم أيها الرفاق الساخطون اثارة الحرب الأهلية ، لا فى يدى ، انكم لم تقسموا على تدمير الحكومة ، ولكننى أقسمت على صيانة الاتحاد وحمايته والدفاع عنه »

وأطلق الجنوب الرصاصة الأولى ، وراح يهاجم حصون الشماليين ، وسأل لنكولن مجلسه الاستشارى فيما ينبغى عليه أن يفعله ؟ وانقسم المجلس . فكان على لنكولن أن يتخذ وحده القرار الحاسم الذى يتوقف عليه مستقبل أمريكا .

وقرر لنكولن أن يبعث بالطعام الى نقطة الحراسة الأمامية ، حتى لا يتهم بأنه يعمل للحرب اذا أرسل الأسلحة والذخائر .

وأبلغ حاكم كارولينا الجنوبية رسميا بهذا الأمر ، ووعد لنكولن بعدم ارسال امدادات الى نقطة الحراسة الا اذا هوجمت

الســفن أو القلعة . ولكن فى الثــانى عشر من ابريل أطلقت مدفعية تشــارلز تاون نيرانها على حصن سومتر . وفى الرابع عشر سلمت الحراســة ، وفى اليوم الخامس عشر بعث لنكولن بخمسة وسبعين ألف متطوع لتأديب الثائرين .

وانضمت فرجينيا ، وتنسى، وكارولينا الشمالية، واركانساس الى الاتحاد الكنفدرالى .

وبدأ القتال المرير .

بين تســعة ملايين فى الولايات المنفصلة عن الاتحاد ، وبين اثنين وعشرين مليونا من الباقين فى الاتحاد القديم .

كان اعتداء الجنوبيين فى صالح لنكولن ؛ فقد جعل الشماليين يلتفون حوله ، ويرون فيه قائدهم ومنقذهم .

- ١٣ -

قاد الجنرال لى جيوش الجنوب ، وراح يحارب فى كارولينا الشمالية .. كانت جيوش لنكولن تدافع عن فكرة ، بينا كانت جيوش الجنوب تدافع عن أوطانها ، لذلك لم يحرز الشماليون نجاحا ملحوظا .

واستمرت الحرب الطاحنة ثلاث سنين ، والحرب ســجال . وفى ســنة ١٨٦٣ جاءت فرصــة لى الذهبية ، فقد انطلق الى جتسبرج ، بنسلفانيا .. فقد خشى أن تسقط واشنطن فى أيدى الشماليين ، وبذلك يصبح الجنوب فى قبضة أيديهم .

وراح جنرال جرانت يتقـدم فى أراضى الجنوب ، فاستولى على قلعة هنرى فى ولاية تنسى ، وقلعة دنلسون فى كمبرلاند ، واستولى أسطول الاتحـاد على نيوأورليانز ، وزحف جرانت ليستولى على فيكسبرج آخر معقل للجنوبيين فى المسسبى . اذا سقطت فيكسبرج فى يده ، كان معنى ذلك أن الجنوب قد انقسم قسمين ، وأن الشماليين قد استولوا على منابع المياه فى الوادى الكبير .

كانت خسـائر جرانت فى تقدمه عظيمة ، حتى ان صحف الشمال طلبت من لنكولن أن يعزله .

وجاءت شخصية سياسية ملحوظة الى البيت الأبيض تطلب عزله ، راح الرجل يسرد أسباب طلب العزل ولنكولن صامت ، وانتهى الرجل من حديثه ، واستمر لنكولن فى صمته . ثم قام من على كرسيه قائلا فى حدة :

« لا أستطيع أن أستغنى عن ذلك الرجل . انه يحارب » .

ولم يستمع لنكولن الى ما يقال ، ولم يطرد جـرانت ، فقد كان يحارب ، وما أكثر القواد الذين يتكلمون ولا يحاربون !

وتألق نجم جرانت فى فيكسـبرج ، عبر المسسبى وحرك جيشه جنوب المدينة ، وراحت مدافع المراكب تصلى المدينـة نارا حامية ، ونجحت المغامرة ، وسلمت فيكسبرج فى ٤ يوليو سنة ١٨٦٣ .. وفى نفس اليوم انتصرت قوات الشمال على قوات الجنرال لى ، وصار ذلك اليوم عيدا لأنصار الاتحاد .

وقال قائل :

« أشرق الفجر ، ولم يعد للاتحاد الكنفدرالى مكان . سقط الرق ، وان السماء والأرض لتباركان هذا العمل . »

— ١٤ —

لم تنته الحرب ، ولم تطو شرورها ، ولكن الشمال تعلم أن الجنرال لى يمكن أن يهزم .

وانقضت أربعة شهور على معركة جتسبرج ، وأنشىء على جزء من أرض المعركة مقبرة عسكرية ، تخليدا لذكرى الشهداء ، الذين سقطوا فى المعركة التى كانت نقطة التحول فى سير الحرب الأهلية .. وألقيت كلمة طويلة بهذه المناسبة . ثم طلب من الرئيس لنكولن أن يلقى كلمة ، فوقف بقامته المهيبة يخطب ، واذا بخطبته تسطر فى سجل الخلود ، قال :

« منذ سبعة وثمانين عاما خلت ، أنشأ آباؤنا فى هذه القارة أمة جديدة ، قامت على الحرية ، وكرست نفسها للمبدأ القائل بأن الله خلق الناس جميعا متساوين .

وها نحن — الآن — منهمكون فى حرب أهلية عظمى ؛ تبلو هذه الأمة ، أو أية أمة أخرى مثلها قامت على أساس هذا المبدأ ذاته وكرست نفسها له ، لتظهر طول احتمالها .

ولقد اجتمعنا اليوم فى ميدان عظيم من ميادين هذه الحرب ،

وجئنا لنخصص جزءا منه ليكون المثوى الأخير لأولئك الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل أن تحيا هذه الأمة. وانه لجدير بنا ، ويحق علينا أن نفعل ذلك . »

— ١٥ —

وصـــار جرانت فى عام ١٨٦٤ قائدا عاما لقوات الولايات المتحدة كلها ، فأمكن تنسيق القتال بين الجبهة فى الغرب وجبهة كارولينـــا وراحت الأراضى تطوى تحت أقدام الجنوبيين ، والقوات الشمالية تهاجم قوات جنرال لى من كل جانب ..

وخسر جرانت فى ستة أسابيع خمسة وخمسين ألف مقاتل ، ولكنه لم يأبه لخسائره ، بل استمر فى زحفه على لى وجنوده ، فقد كان على يقين من أن لنكولن يستطيع أن يعوضه جنودا آخرين ، بينا لى لا يستطيع أن يعوض خسائره .

ومشى الدمار الى المدن ، والقرى ، والمزارع ، والحقـــول ، والطرق ، والسكك الحديدية ، والكبارى .

ووقع العبء الأكبر على عاتق لنكولن ، كان عليه أن يهيىء النـــاس لقبول فكرة استمرار الحرب حتى النصر الأخير ، كان يقول للذين يقاسون ويلات الحرب :

« ان هدفه الوحيد هو انقاذ الاتحاد أولا قبـــل أن يكون تحرير العبيد أو تأديب الثائرين » .

لم تنته الحرب بعـد ، وقام معارضون يعارضون سياسة لنكولن ، وكانت حجة بعضهم ، أن الرق ما زال سائدا فى أربع ولايات جنوبية دخلت فى حوزة الشماليين ، وكانت حجة البعض الآخر أن هذه الحرب حرب ظالمة ، ما كان لها أن تقوم .

واقترب موعد انتخاب الرئاسـة ، وفكر حزب الديمقراطيين فى ترشيح رجل يدعو الى السلام .

رأى لنكولن فى هذا الترشـيح نهاية الاتحاد ، فاستشعر مرارة ، وزاد فى مرارته أنه أيقن من الخذلان ، وأعاد ترشيح نفسـه

وأخذ جرانت يتقدم بجيوشـه ، وسقطت اتلنتـا فجأة ، واستمر جرانت فى تقدمه ، دون أن يلوى على شىء .

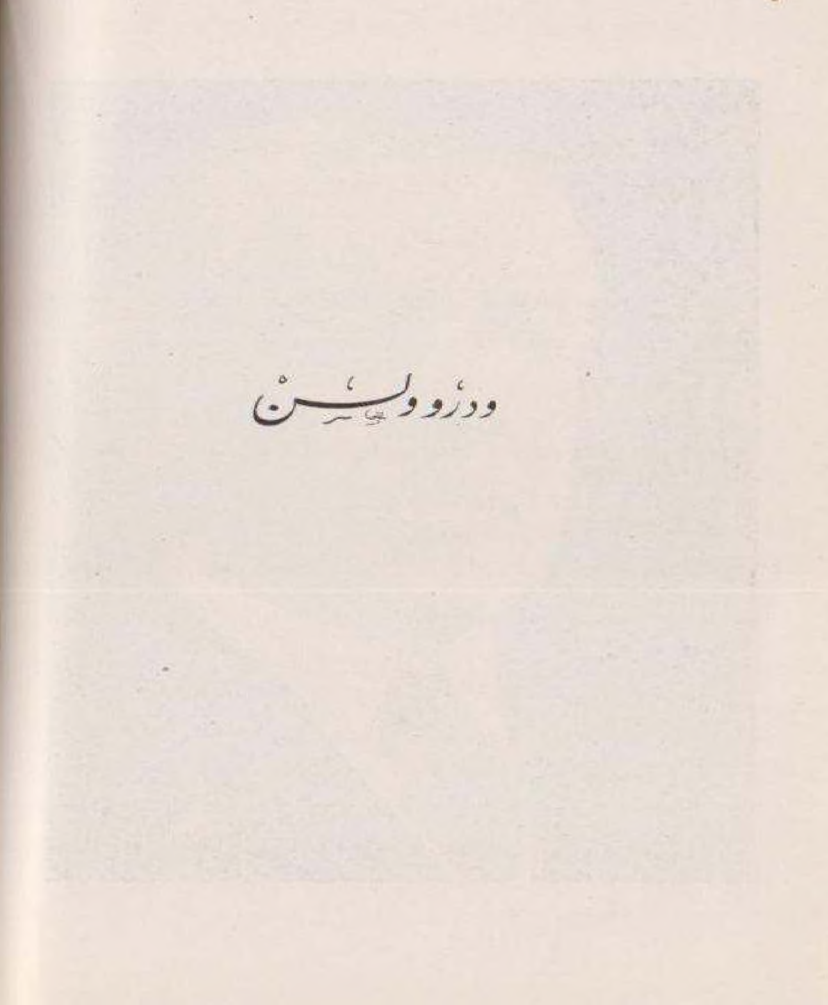
وجاء يوم الانتخـاب ، وفاز لنكولن ، ولاح أن الحـرب أوشكت على نهايتها .

وألقى الجنرال لى سلاحه ، وراح لنكولن يفكر فى أن يعيد الجنوب الى الاتحاد دون حاجة الى دعوة الكونجرس ؛ كان يبغى أن يصفح عن المنشقين ، على أنهم ثوار ثابوا الى رشدهم .

***

وفى مساء ١٤ ابريل عام ١٨٦٥ ذهب لنكولن الى المسرح ، وكان بادى البشر مسرورا . ودخـل جون ولكس بوث الى المسرح وراح يتلفت ، ثم انطلق الى مقصورة الرئيس .

وأطلق جون بضع رصاصات على لنكولن ، وهو يحسب أنه يؤدى للجنوب خدمة ، وما دار بخلده أنه وصمه وصمة أبدية .
وفى لحظات كان الرئيس العظيم ، الذى صان الاتحاد بالصبر والعرق والدموع ، فى ذمة التاريخ .





وودرو ولسن

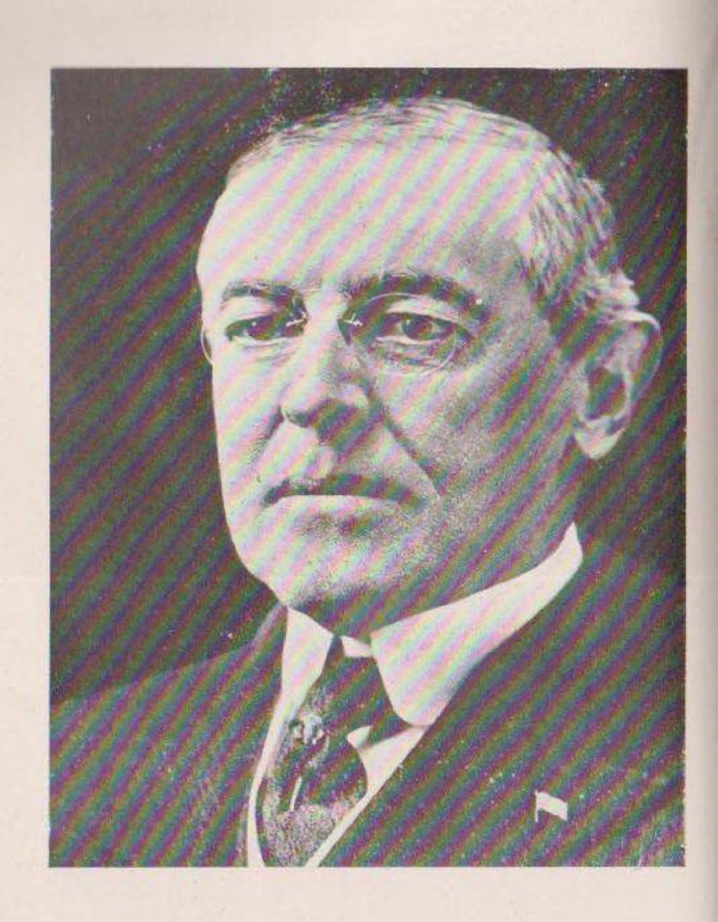
١٨٥٦ — ١٩٢٤

— ١ —

فى ذات يوم من شهر نوفمبر عام ١٨٦٠ ، كان الغلام توماس ولسون ، الذى لم يتخط الرابعة من عمره ، يسير فى كنيسة أوجستا بجورجيا ، وكان يسير فيها كأنما يسير فى داره . ولا غرو ، فقد كان والده القس جوزيف روجلز ولسون راعيها .

وقد نما فى شعوره منذ نعومة أظفاره ، من كثرة تردده على الكنيسة ، الاحساس فى ضميره بوجود الله ، وبقربه منه ، وأنه مستظل دائما بظله .

وكانت دار القس مكونة من ثلاث طبقات ، وكان توماس يعيش فى الغرف الباردة العليا مع أختيه ، وأمه الاسكتلندية ووالده .



كانت أسرة يربط بين قلوبها الايمان والحب الفياض لتوماس، الذى كان يعرف باسم تومى .

وخرج تومى الى الطريق ، واذا بصيحات الرجال تتعالى ، ودق الناقوس الكبير فى البرج الحديدى فى شارع جرين دقات فزع ، فهرع النـــاس من بيوتهم يتساءلون عن النبأ العظيم ، وقال قائل :

« انتخب لنكولن رئيسا للجمهورية » .

فقال آخر :

« هذا معناه الحرب » .

وراح تومى ولسون يدير عينيـــه فى الوجوه التى ارتسمت عليها أمارات القلق ، وفكر فيما اعترى أصحابها ، ولكن عقله الصغير لم يســعفه ، فعزم على أن يذهب الى والده يستجليه حقيقة الأمر .

ودخل على والده الدكتور ولسون فى مكتبه ، وقال :

« صاح صائح يا أبى بأن شخصا أصبح رئيسا للجمهورية ، وأن ذلك معناه الحرب ، فما هى الحرب يا أبت ؟ ! »

وعرف الغلام البرىء ــ فيما بعد ــ ما هى الحرب . كانت أول الأمر شيئا يدخل البهجة الى نفســـه .. فرسان على ظهور جيادهم يتألقون فى ثياب جميلة ، يسيرون فى الطرقات فى نظام بهيج ، ومدفعية تجر مدافعها ، وفرقة موسيقية تعزف لحنا جديدا مثيرا أطلق عليه « ديكسى » .

ثم تحولت أوجســـتا الى جحيم لا يطاق ... قطارات تصفر

ليل نهـار ، وأوامر تصدر ، وعرق يتصبب ، وجهود مضنية تبذل ؛ فقد كانت أوجستا أكبر مدينة صناعية فى هذه المنطقة الجنوبية .

وفى صباح يوم فى شـهر ابريل عام ١٨٦١ ، أمر الجنرال بوليجارد باطـلاق النـار على حصن سـومتر ، وكانت أول رصاصـة هى الشرارة التى أشعلت الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب .

— ٢ —

كان جوزيف ولسون من أصـل ايرلندى ، فكان يتعشق الحرية الفردية ، وقد علمته نشأته الدينية أن الانسان مسئول عن أعماله أمام الله وحده .

لم يكن يملك عبيـدا . وفى عام ١٨٦٠ افتتح مدرسة يوم الأحد للرقيق فى الكنيسة ، ولكنه كان يشعر بأن الرق مسألة ينبغى أن تترك لضمير الجنوبيين ، وأن التعصب ضدها ان هو الا نافذة تطل على الأسـباب الحقيقية للحرب التى كانت فى حقيقتها كفاحا بين الجنوب الزراعى ، والشمال الذى يسـتمد قوته الدافقة من الصناعة .

وكانت جانيت ودرو ولسون ـ أم تومى ـ اسـكتلندية ، نشأت نشأة دينية ؛ فوالدها كان من رجال الكنيسة البارزين ،

وكذلك كان جدها ، وكانت تحب الحرية ، وتميل الى الجنوبيين كزوجها .

واقضى أول صيف للحــرب فى يسر ... الحماسة للاتحــاد الكنفدرالى تملأ الصدور ، والجيوش تصب فى أوجستا من الجنوب البعيد ، وصار تومى معتادا على رؤية مشية الجنود العسكرية ، وسماع أوامر الضباط الصارمة .

وجاءت أنباء نصر قوات الاتحاد الكنفدرالى فى « ماناسا » ، فماجت الطرقات بالناس الذين ملأ النصر قلوبهم فرحا ، وأطلق من حناجرهم صيحات السرور . لقد عمت البهجة الأفئدة كأنما الحرب قد انتهت .

وأقبل يوم آخر كان تومى يذكره دائما ، كان يلعب مع رفقائه فى الحقل لعبة الحرب ، وأقبل قطار يتهــادى على الجسر ، ثم وقف عند الحقل ، فراح الأطفال ينظرون .

وفتحت عربات القطــار الخشبية القذرة ، واذا بجنــود قد ربطت رءوسهم وأذرعهم وأرجلهم بضمادات يخرجون من العربات زاحفين ، وقد لطخت الأربطة بالدماء الجافة والأقذار .

وحمل بعض الجنود الذين يئنــون من جراحهم ، وصفوا صفوفا فى الحقل ، ومد تومى بصره اليهم . . . فاذا بوجوههم صفراء ، واذا بعيونهم قد ابيضت ، واذا بهم يبدون كشيوخ محطمين .

والتفت طفل الى رفقائه ، وقال :

« ماذا سنفعل الآن . ؟ »

فقال تومى فى أسى :

ــ « كفى لعبا اليوم » .

— ٣ —

الحرب مستمرة ، وأوجستا فى حركة دائبة ، وأنباء الانتصارات تفد اليها ، والجرحى الوافدون اليها يتزايد عددهم يوما فيوما ، والدكتور ولسن عاكف على عمله ، ولكن الجنوب يعيش على استيراد أغلب حاجاته ، وقد توقف الاستيراد واختفت الأدوية . وحدث تضخم نقدى ؛ فارتفعت الأسعار ، وصارت المعيشة قاسية فى الجنوب !

وفى ٤ يوليو سنة ١٨٦٣ جاء نبآن الى أوجستا ؛ كان لهما أسوأ الأثر فى النفوس : سقوط فيكسبرج ــ آخر معقل حصين للجنوبيين ــ فى المسسبى ، وهزيمة جيش الجنرال روبرت لى هزيمة منكرة فى جيتسبرج .

وراحت أجراس كنيسة أوجستا تدق كل يوم ، لتدعو الناس للصلاة للاتحاد الكنفدرالى .

ووقف الدكتور ولسون على منبر الكنيسة ، أمام المذبح ، وقال : « ان معركة عظمى تدور الآن فى فرجينيا ، وتعانى قوات الاتحاد الكنفدرالى نقصا فى الذخيرة ، فعلى الرجال والنساء

هنا أن يقوموا بواجبهم ... أن يهرعوا الى الترسانة ، وأن يعاونوا اخواتهم هناك فى صنع الرصاص » .

وأسرع توم الى والده ، وقال :

« وماذا نحن فاعلون ؟ » .

« ستذهب بعض السيدات الى المنازل لتجهيز (ساندويتشات) خذ عربتى واجمع الطعام وأحضره الى الترسانة » .

وذهبت هذه الجهود سدى ، ولم تنقذ الجنوب من الهزيمة المقدرة .

— ٤ —

وراح تومى يتلقى دروسه فى البيت ، حتى اذا مابلغ الثانية عشرة ، وأسس بعضهم أكاديمية للبنين فى أوجستا ، وآى والده أن الأوان قد آن لالحاقه بها .

لم يكن عميد الاكاديمية راضيا عن تومى كل الرضا ، كان تومى ينظر الى التعليم على أنه وسيلة الى غاية ، لاعلى أنه غاية فى نفسه ، ولكن تومى أمكنه أن يكون ناديا رياضيا ثقافيا ، تولى هو رئاسته ، ومنذ نعومة أظفاره راح يمارس الرئاسة .

وفى سنة ١٨٧٠ انتقل تومى ولسن — مع أهله — الى كولومبيا بكارولينا الجنوبية .

وانطلق فى المدينة البائسة التى خربتها الحرب ، آنقاض فى

كل مكان ، آثار الحرائق فى الجدران المتهدمة ، الجسر قد تقوض ، منازل خربة ، أعمدة الرخام تناثرت هنا وهناك .. دمار .. دمار أينما وجهت البصر .

والتقى الدكتور ولسون بجيمس ودرو ، خال تومى ، وأخذ الرجلان يتحدثان ، وتومى يصغى . قص جيمس ودرو ماقاسته كولومبيا فى الحرب وما قاسته بعد الحرب ، عندما اعتبر الجنوب مغلوبا على أمره ، وأعطى للرقيق حق التصويت .

أغلقت جامعة كارولينا الجنوبية ، وعمت الفوضى ، وانتشر الجهل ، وحلت بكولومبيا محنة كبرى .

وجلس تومى ولسون يصغى الى الحديث الدائر ، وهو يستشعر أسى ، وتلقى الدرس الثانى . كان الدرس الأول معرفة ماهى الحرب ، وكان الدرس الثانى معرفة أهوالها .

— ٥ —

التحق تومى ولسون بكلية دافيدسن ، وراح يبذل كثيرا من الجهد ليصبح فى مستوى قرنائه . وجاء الربيع ، وذهب تومى ولسن ليلعب « البيسبول » لعبته المفضلة ، وقد أعجب به زملاؤه ، ولكن رئيس الفريق انتقد كسله .

وكان طلبة الكلية يعشقون الجدل ، وكانوا سرعان مايهاجمون

وينتقدون ، وكان ولسون اذا اعتلى منصـة الخطابة يستشعر قوة طاغية تسرى فى جسمه .

وفى عام ١٨٧٤ اضطر الى مغادرة الكلية ، وعاش فى داره بين كتبه وأحلامه ، وكان يذهب كثيرا الى مكتبة المدينة ، يعكف على القراءة حتى يسرى الفتور فى أعضائه .

وبدأ يستشعر حقيقة الدور الذى يميل الى لعبـه فى مسرح الحياة ، انه يريد أن يقود الآخرين ، أن يقود عقولهم كما يقود الجنرال أجسام جنوده .. انه يستطيع أن ينفذ الى ذلك بحديثه وبقوة منطقه ، وانه ليعتقد أن الحجة هى القوة التى ينبغى أن تسود بين الأحرار .

وراح يدرس خطب الخطباء من عهد الاغريق حتى جلادستون ، وأخذ يتدرب على القاء خطبهم ... كان يشحذ سلاحه .

واستمر يذهب كل يوم الى كنيسة والده ، ويقف فى القاعة الخالية ، ويملأها بأصداء صوته . وراحت الخطب التاريخية ترن فى أرجاء القاعة .

وكان طبيعيا أن يصبح ألمع خطيب فى برنستون . ولكن كان به عيب كمناظر ، لم يكن يستطيع أن يسـتمر فى الدفاع عن قضية لا يؤمن بها .

وطلب منه ناديه ــ يوما ــ أن يدافع عن الحماية الجمركية ، ولكنه رفض المناظرة ، وقال : « اننى أومن بالتجارة الحرة ، ولا أستطيع أن أجادل فى شىء لا أومن به » .

وراح يدرس أنظمـة الحكومات ، واقتنـع بأن النظـام

الديمقراطى فى انجلترا أفضل من ذلك النظـام فى أمريكا ، فما يقوله الأعضاء فى الكونجرس لا يؤخذ به .. انه بضاعة تستهلك محليا ، بينما يفعل رئيس الولايات المتحدة ماينصح به خلصاؤه . ووجد أن عادة ارسال رئيس الجمهورية رسالة الى الكونجرس ليقرأها كاتب فى المجلس عادة مرذولة ، وأنه ينبغى على الرئيس أن يخاطب الكونجرس بنفسه .

ان رئيس الوزراء ووزراءه فى بريطانيا ، مسئولون مباشرة أمام البرلمان ،ومقترحاتهم تناقش فى حضورهم لأنهم مسئولون عنها ، فاذا سحبت الثقة منهم كان عليهم أن يستقيلوا .. هذه ديمقراطية تفوق تلك الديمقراطية التى يمارسـونها فى أمريكا ، فرئيس الولايات قديكون رجلا عظيما ، ولكن تنقصه القدرة السياسية ، ولذا يحرك بعض الأذناب سياسة الدولة .

وانتهى ولسون الى أن الحياة الديمقراطية الحقة ، هى الحياة التى تتصارع فيها أفكار السياسيين فى حرية .

وكتب مقالا ضمنه آراءه فى الحكومة الأمريكية ، وبعث به الى « الانترناشيونال ريفيـو » ، وراح يرقب البريد كل يوم ينتظر عودة المقال اليه ، ولكنه تسلم يوما رسالة قصيرة ، جاء فيها « ان المقال سينشر » ، وأحس ولسـون فى أعماقه فرحة عظمى ، وأن نجمه قد بدأ يأتلق .

— ٦ —

ذهب تومى ولسون الى جامعة فرجينيا ليدرس الحقوق هناك ، وأحب حياة الجامعة ، وعادت اليه حيويته وسعادته . ولكن سرعان ما تبدل الحال ... لم تعد الدراسة متعة ، بل صارت حملا على عاتقه . فقد أصبح يرئ القانون مملا ، واضطر — مرة ثانية — الى أن يغادر الجامعة فى عام ١٨٨٠ وقد امتلأ يأسا .

ولم تذهب سنوات الجامعة هباء ، فقد برز فى مناظراته ، واشترك فى النوادى وكتب مقالتين قيمتين عن جون برايت ، ووليم جلادستون ، وكان أهم ما قام به فى تلك الفترة أن غير اسمه .

عندما بدأ النشر فى الصحف فكر فى أن يختار لنفسه اسما براقا ، ان اسم توماس لا يميز بينه وبين تومى القط ، أو تومى الجناينى ، أو أى تومى آخر ، فعزم على أن يهجره وأن يبحث عن آخر ، ووجده فى أسلافه ، فصار من ذلك الوقت ودرو ولسون .

واشترك ودرو ولسون مع آخر فى مكتب ، كتب على بابه « رنيك وولسون . اخصائيان فى القانون » . وما كان ذلك

صوابا كله ، فقد كان رنيك محاميا ، أما ولسون فماحصل على شهادة من مدرسة الحقوق ، ولا حصل على شهادة جامعية .

ومرت أسابيع ولم يطرق أحد باب المكتب . وعقد أجتماع فى كيمبول هاوس لمناقشة موضوع الحمـاية ، وجلس رئيس الغـرفة التجارية وبعض أصحاب المصـانع يصغون ، وقام ولسون خطيبا . وما أن تحدث حتى ظهر عدم الارتيـاح على الوجوه ، واستمر فى الخطابة. واذا بصيحات الاعتراض ترتفع ، ولم يأبه للاعتراضات بل استمر فى خطابه :

« ان الجنـوب سيصمم على جنى ثمار السـلام ، فعندما يكتشف الفلاح أنه يستطيع أن يشترى مطواة من صنع انجلترا بدولار واحد وثلاثة سنتات ، بينما عليه أن يشترى نفس المطواة من صنع أمريكا بدولارين ، فسرعان ما يصـبح هذا الأمر محل اهتمامه ، ويجد فى المشاركة فيه مصلحة شخصية . »

وراح ولسون يهاجم الحماية ، ويدعو الى حرية التجارة ! !

وسأله سائل :

« هل تقترح الغاء جميع قوانين الضرائب الجمركية ؟ »

« جميع قوانين الحماية الجمركية » .

وبلغ غضب أصحاب المصانع نهايته ، حتى ان ضربة سددت الى كتف ولسون وهو يغادر الغرفة .

— ٧ —

عام ١٨٨٢ : ولسون يجتاز الاختبار فى جورجيا ويصبح محاميا ، وراح يكتب بعض فصول من كتاب – عزم على اخراجه – عن « حكومة الكونجرس فى الولايات المتحدة » . وقرأ بعض الناشرين تلك الفصول ، فلم تصادف هوى فى أنفسهم ، وظن ولسون أنه فاشل ، وحتى ايمان والده الدكتور ولسون به قد تزعزع .

وراح ودرو ولسون يقطع الطريق الى السوق فى مدينة روما بجورجيا ، واذا بقامته الطويلة تجذب أنظار ايلى لو . ووقعت عيناها على شاربه الأصفر وعينيه الرماديتين ، فسألت زميلها :

« من هذا الرجل الأنيق ؟ »

« انه تومى ولسون . »

« أوه . لقد سمعت عنه !! »

ووجد ودرو ولسون أن أناسا كثيرين فى روما بجورجيا قد سمعوا عنه . فقد قرأوا المقالات التى نشرتها المجلات .

وذهب الى الكنيسة يوم الأحد ، وجذبت بصره فتاة جالسة فى الصف الأول ترتدى رداء أسود ، وعلى رأسها غلالة

سوداء ، لا تكاد تخفى شعرها الذهبى ، وكان فى صحبتها غلام صغير .

وسأل خاله جيمس ودرو :

« من هى هذه الفتاة ذات الثياب السود ؟ »

« انها ايلى لو اكسون ، ابنة وزيرنا . ماتت أمها منذ سنة خلت ، لعلك تذكرها ، لقد زارتنا مرة مع أهلها فى أوجستا »

فقال ولسون فى ابتهاج :

« أذكر ! انها ولا شك تلك الطفلة التى صممت على حملها حول الدار ! »

« هذا حق . لقد تغيرت كثيرا ! ! »

وفى الظهر ، تأهب ولسون لزيارة والدها الذى كان صديقا قديما لوالده .

وجلس ولسون ، وهو يمد بصره يبحث عنها . ولما لم يلمحها قال لأبيها :

«سمعت كثيرا عن ابنتك . أرجو أن تكون على خير مايرام»

فقال الوالد :

« انها على خير حال . شكرا لك . سأدعوها لتشاركنا مجلسنا » .

وأقبلت ايلى ، وراح ولسون يرمقها فى حب واعجاب وخرجا معا وتحدثا ، وفتن ولسون بذكائها ، وزاد فى تقديره لها أنها كانت تحفظ ــ عن ظهر قلب ــ الشعر الذى لم يكن قد قرأه .

وقاما برحلة مع بعض أقاربهما ، وراحا يحفـران قلبا على شجرة ، ويسيران وقد قبض كل منهما بيده على يد صاحبه ، ويهمسان ويتناجيان ، الجسر يطوى تحت أقدامهما ، والأرض الخضراء والنهر والطبيعة ، كل أولئك يؤجج نار الصـبابة فى قلبيهما .

وعاد بها الى دارها ، وكانت آخر ليلة له فى المدينة ، فضغط على يدها مودعا وانصرف ، وقد اسـتيقظ قلبه ، وبات أسير الصبابة والغرام .

ومرت أيام ، وكرت الأسـابيع والشـهور ، وجاء شـهر سبتمبر .. وأراد ولسـون أن يعود الى روما ليقـابل ايلين ، ولكنه علم أنها خرجت فى رحلة . ووقف عند آشيل فى كاروليناالشمالية ليزور صـديقا ، وفيما هو يهبط عن جواده ، لمح فى الشرفة وجها يعـرفه جيدا ، فخفق قلبه واضـطربت نفسه ، فربط حصانه بيد مرتجفة ، وراح يعـدو فى الدرج الخشبى ، وهو يهتف :

« ايلين . »

ومد كل منهما يده للآخر ، ووقفا صـامتين ينظر كل منهما الى صاحبه ، وان كانت العيون تتحدث .

ووجد لسانه أخيرا ، فلم يشأ أن يترك الفرصة التى هيأها الله له تفلت من يده ، فسأل ايلين أن تتزوج منه . ولم يتركها تتحدث ، بل راح يتدفق ويخطب أكثر من ساعة ، وهى تصغى اليه فى نشوة وهيام .

ثم راح يسألها مرة ثانية :

« هل تقبلينني زوجا لك يا ايلين ؟ »

فقالت فى صوت متهدج :

« بكل تأكيد ، يا عزيزى ودرو ! »

ولأول مرة طبع على شفتيها قبلة .

— ٨ —

حسب ولسون بعد اخفاقه فى اتلنتا ، أنه لا يصلح الا للحياة الأكاديمية ، فراح يكتب « دراسة فى السياسة الأمريكية » ، ليتقدم بها لنيل الدكتوراه فى الفلسفة .

وكان حنينه الى ايلين يجعله يفكر أحيانا فى آن يقطع دراسته وينطلق ليتزوج منها ، ولكنها كانت تنصحه — فى رفق — وتحثه على مواصلة دراسته .

وفى ٢٤ يوليو سنة ١٨٨٥ تزوج ولسون من ايلين ، وقالت ايلين ليلة زواجها :

« انه أعظم رجل فى الوجود . »

وظل ذلك رأيها فيه بعد زواجهما .

وعرضت على ولسون عروض كثيرة للتدريس ، بعد أن حصل على الدكتوراه ، واختار من بينها تدريس التاريخ فى كلية للبنات فى برن مور .

وذهب الزوجان الى برن مور. وراح ولسون يعد محاضراته فى عناية ، ويوزعها على طالباته ، ولكن الطالبات لم يلتفتن الى جهوده المبذولة فى المحاضرات .

وقال لزوجه :

« ماذا أفعل لأستحوذ على اهتمامهن ؟ »

« احلق شاربك . ستكون أجمل بدونه . »

ولم ينجح ولسون فى برن مور ، وقرر أن يهجر مهنة التدريس للفتيات ، وزاده ذلك الاخفاق اقتناعا بأنه لا يصلح للحياة العامة .

وذهب الى واشنطن ليعمل بها ، ودخل الكونجرس لأول مرة ، وراح يصغى الى الخطب التى ترن فى جنبات قاعة الشيوخ وهو مأخوذ ، وقد رأى نفسه — ولا شك — بعين خياله ، وهو يخطب والملأ يصغى اليه .

كانت مجرد أمنية !!

ونبتت فى نفسه الآمال لما انتخب جروفر كليفلند رئيسا للولايات المتحدة عام ١٨٨٤ ، فقد كان أول رئيس دمقراطى منذ قيام الحرب بين الولايات . الا أن حظ ولسون كان فى هبوط . فقد أخفق فى القاء خطبة فى نيويورك ، وماتت أمه فى عام ١٨٨٨ ، وكان فقدها خسارة فادحة ، فقد راح أبوه يهيم على وجهه بعد موتها ، وكان عليه أن يلازمه . وبدا أن ودرو ولسون قد شاخ . وبلغ جزر حظه نهاية هبوطه .

وفى نهاية عام ١٨٨٨ عرض عليه كرسى التــاريخ والاقتصاد السياسى فى جامعة وسليان . فقبل ولسون العرض ، فقد كان متعطشا الى فصل من الطلبة الذكور .

- ٩ -

أقبل الطلاب على ودرو اقبالا حسنا ، وأحبوه حبا عظيما ؛ حتى انهم انتخبوه أربع مرات « أحب شخصية فى الكلية » ، ولم يقف الأمر عنــد هذا بل أسر عقولهم ، ودمغهم بأفكاره ، وخرج جيلا من برنستون يؤمنون بآرائه .

كانت ايلين تغمره بحبها ، وكبرت بناته حتى أشرفن على أن يكن شـــابات ، وكن مصدر بهجة له ، وسار فى طريقه ، وجاء اليوم الذى أصبحت فيه كلية نيوجيرسى جامعة برنســتون .. كان ذلك عام ١٨٩٦ ، وقد اختير ليلقى خطبة عن « برنستون فى خدمة الوطن » .

وكانت فرصة طيبة لولسون يعبر فيها عن آرائه الجامعية ، ويظهر براعتــه الكامنة ، وكانت أول درجة فى طريق مجده ؛ فقد اختير عميدا لجامعة برنستون . وذهب الى ايلين وأخبرها الخبر ، فاذا بالفــرح يأتلق فى عينيها ، وكانت لحظة من أبهج لحظات حياته .

وذهب الى مجلس الجامعة يتلقى التهانى ، وسرى النبأ بين الطلاب ، فراحوا يهتفون :

« نريد ولسون ! نريد ولسون . »

وأطل عليهم ، فارتفعت صيحات التهليل ، وهتفوا :

« كلمة . نريد كلمة . »

ووقف ولسون يخطب فيهم ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع.

وأقيمت حفلة بهيجة بمناسبة تعيينه ، ثم راح يشرح ما سيدخله على الجامعة من اصلاحات ... ونجحت تجاربه ، وراحت الجامعات الأخرى تقتبس ما أدخله على جامعته من اصلاحات ، وذاع اسم ولسون ، وراح يتلقى الدعوات لالقاء محاضرات فى الشرق .

وكان كثير من المواطنين الأمريكيين لا يوافقون الرئيس تيودور روزفلت على آرائه ، وكانوا يبحثون عن قائد يقودهم.

وفى ٣ فبراير عام ١٩٠٦ كانت جماعة من الساخطين فى نادى لوتس بنيويورك يتناولون العشاء ، قال أحدهم :

« انى أرشح مديرجامعة برنستون ليكون رئيسا للولايات المتحدة . »

وكانت أول مرة اقترن فيها اسم ولسون برئاسة الولايات المتحدة .

— ١٠ —

ورشح ولسون ليكون حاكما لنيوجرسى ، وقال للذين اقترحوا ترشيحه :

« انه لن يتلقى الأوامر منهم ، وأنه سيعمل بوحى من ضميره فى حرية تامة . »

وانتخب ولسون ليكون حاكما ، واذا به يجد نفسه فجأة محاطا بالجماهير : هذا يصافحه ، وذاك يمسح على ظهره فى ملق ، وثالث يضمه الى صدره ، وأحاط به السياسيون احاطة السوار بالمعصم .

ووقف ولسون يخطب الجماهير .. جاءت اللحظة التى كان يرقبها طوال حياته ، اللحظة التى كان يتدرب لها فى قاعة الكنيسة الخاوية ، اللحظة التى كانت تتخايل له فى يقظته ومنامه ، وقال :

« اننا نشهد ميلادا جديدا لروح الشعب ، بداية عهد بناء متدبر ، يعود بأذهاننا الى ذلك العهد العظيم ، الذى أرسيت فيه قواعد الدمقراطية فى أمريكا .

سنبعث فى العهد الجديد روحا جديدا وثابا ، سنخدم العدالة والاستقامة وكل ما يقود الى الصراط المستقيم . أليس حزبنا القديم هو الحزب الذى هيأ نفسه للنهوض بهذه التبعات

الجسام ؟ فليكن هدفنا جميعا جعــل هذا الحزب أداة ماضية لاقامة صرح الحق فى الدولة والوطن . »

وأخذ النـــاس يصغون اليــه مأخوذين ، لعب بعقولهم ، واســتولى عليهم بســحر البيــان ، ورمقوه مذهولين كأنما يتلقون وحيا .

وقال قائل :

« شكرا لله ، لقد ظهر زعيم . »

وأخذ اسم ولسون فى الانتشـــار ، وعلا ذكره ، حتى انه حصل فى مجلس التشريع على أغلب أصوات الديمقراطيين. وكان أكثر الناس دهشة لذلك الديمقراطيون أنفسهم .

وراح يزور الشمال والجنوب والغرب ، ويلقى خطبا يشرح فيها أفكاره لاعادة القوة السياسية ، ونصيب عادل من المغانم المادية الى الشعب .

ذهب بنفسه الى الشعب ، وجاءه قادة الشعب .

وكان بريان القائد العظيم للتقدميين فى الحزب الديمقراطى ، وما كان ولسون يثق فيه كثيرا ، ولكن عند ما التقى الرجلان فى برنســتون عام ١٩١١ ، أعجب كل منهما بالآخر ، وصارا صديقين حميمين .

واجتمع زعماء الديمقراطيين ليرشحوا ممثلهم فى انتخـابات الرئاسة ، وقد رشح ولسون . وجلس ولسون فى بيته الريفى فى سيجرت بنيوجرسى ينتظر نتيجة معركة الرئاســة . وولى

النهار وانتصف الليل ، وفى الساعة الواحدة صباحا لمح صديقا مقبلا ، فسأله من النافذة :

« هل من أخبار ؟ »

« تحولت نيويورك الى كلارك ، وقد حصل على أغلبية . »

« شكرا لك . »

وذهب ولسون الى زوجه ايلين ، وقال لها :

« يبدو أننا خسرنا الانتخاب . »

فقالت ايلين :

« اننى آسفة للبلاد . »

وفكر ولسون فى الانسحاب قبل أن ينتهى الانتخاب ، ولكن بعض أصدقائه نصحوه أن يتريث ، وأكدوا له أنه سيكون رئيس الولايات المتحدة فى النهاية . »

وراح بريان يبذل كل جهد ليحصل على أصوات لولسون ، وضغط الشعب على ممثليه لينتخبوا الرجل الذى وعد بعهد جديد من الحرية والمساواة ، وبدأت كفة ولسون ترجح .

وخف مراسلو الصحف الى بيت ولسون مهنئين ، وامتلأت نفس ولسون غبطة ، وراح يهرول فى الدرج الخشبى ، وقد لفه السرور ، وفتح باب غرفة زوجه ، وزف اليها النبأ العظيم .

— ١١ —

ذهب ولسون الى البيت الأبيض ، فأخذت بناته يجسن فيه مدهوشات ، فقد عشن طوال حياتهن فى مدينة جامعية ، أو فى بيت متواضع ، واذا بهن ينتقلن — فى غمضة عين — الى قصر منيف .

ولم يكن ولسون نفسه أقل منهن دهشة . لم يدر بخلده ذلك الذى يراه ، لقد جلب معه دراجته ووضعها فى البيت الأبيض ، كان يحسب أنه يستطيع أن يجوس بها خلال واشنطن ، فما كان يملك سيارة !

وانتخب المجلس الذى سينفذ له سياسته ، ورشح دانيلز ليكون وزيرا للبحرية ، وقام جدل شديد حول هذا الترشيح ولكن الرئيس كان يثق به ، فأقر تعيينه وزيرا .

وطلب وزير البحرية مقابلة الرئيس ، فلما التقيا قال دانيلز :

« أريد أن أتحدث فى موضوع وكيل البحرية ، هل ترشح لهذا المنصب أحدا ؟ اذا لم تكن قد فكرت فى ذلك ، فعندى من أرشحه . »

فقال ولسون :

« عندى من يصلح للوظيفة ، ولكن قل لى أولا : من ترشح لها ؟ »

« لما كنت من الجنوب فقد رأيت أن يكون الوكيل من نيويورك أو من نيوانجلند ، والرجل الذى أفكر فى ترشيحه من نيويورك ... انه شاب ، ولكنه ممتلىء بالمثل والأفكار ، وقد درس دراسة واسعة فى الشئون البحرية . »

فقال ولسون وهو يبتسم :

« من هو ؟ »

« فرانكلين روزفلت !! »

« انه نفس الرجل الذى كنت أفكر فيه !! »

وقرر ولسون أن يذهب الى الكونجرس ، ليقرأ بنفسه رسالته اليه ... كان التقليد أن يبعث الرئيس بالرسالة ، ويقرأها كاتب على أعضاء المؤتمر ، فمنذ عام ١٨٠٠ عندما قرأ جون آدمز آخر رسالة له ، لم يحدث ــ قط ــ أن ذهب رئيس الولايات المتحدة بنفسه الى الكونجرس .

وقامت اعتراضات ، وحدثت ضجة ، ففى ذهابه الى المؤتمر تقويض لتقليد ظل محترما مائة عام أو أكثر .

ولم يأبه ولسون ، ولم تحل تلك الضجة بينه وبين ما عزم عليه ، فقد وطن النفس على أن يشترك فى التشريع ، وأن يتحمل المسئولية التى يتحملها رئيس الوزراء ، وأن يطبق ما كان تقول به منذ خمس وثلاثين سنة .

وفى ٨ ابريل عام ١٩١٣ غص مجلس النواب بالأعضاء : كانوا ينتظرون وصول الرئيس ولسون فى صمت وترقب .

احتل الشيوخ الصفين الأماميين ، وزخرت الشرفات بالدبلوماسيين والسياسيين ، وكان التوتر يسود الجو .

وأقبل الرئيس ، واذا بعاصفة من التصفيق تدوى فى المكان ، ووقف يتحدث الى المجلسين ، ويقول :

«انه انسان جاء يتعاون مع الآخرين لتحقيق مصلحة عامة» .

وبدأ التوتر يذوب ، وارتسمت ابتسامات على الشفاه ، وانبعث من الصدور زفير راحة ، فما جاء الرئيس ليسلب الكونجرس سلطاته التشريعية ، بل جاء ليقول ان رئيس الولايات المتحدة انسان يبغى أن يشارك الآخرين فى العمل على تحقيق مصلحة عامة .

— ١٢ —

وجاء عام ١٩١٤ ، وولسون يصدر القوانين الديمقراطية التى وعد بها : قانون التعريفة ، قانون ضريبة الدخل ، قانون تسجيل السفن ، انشاء مجلس اتحاد التجارة ، ومجلس التعريفة ، وعلى الرغم من سيل القوانين التى أصدرها فلم يتمكن من اتمام برنامج « الحرية الجديدة » .

كانت مؤتمرات السلام تعقد فى كل مكان ، وان كانت قعقعة السلاح تصك الآذان ، ورأى ولسون أن يبعث الى ملوك أوروبا

رسولا يقرب بين الشعوب ، ويعمل على تخفيض السلاح ، فاختار لذلك جنرال هاوس .

ذهب هاوس الى روسيا ، وحدث قيصر ولهلم ، ثم انطلق الى انجلترا وحدث وزير خارجيتها ، وقد شرحت المحادثات صدره ، فكتب الى ولسون ـ والأمل يقطر من رسالته ـ قائلا : ان قيصر روسيا يرحب بصداقة بريطانيا ، وأن الجميع يباركون التقرب المنشود ، ولم يذكر فى رسالته حادثة اغتيال الأرشيدوق فرنسيس
المنشود ، ولم يذكر فى رسالته حادثة اغتيال الأرشيدق فرنسيس
فردناند فى سيراجوفا فى ٢٨ يونيه ١٩١٤ ، تلك الحادثة التى كانت الشرارة التى أشعلت نار الحرب العالمية الأولى .

ثارت النمسا لمصرع الأرشيدوق ، وانطلقت لحرب الصرب انتقاما له ، وتحركت روسيا لنصرة حليفتها ، ووقفت ألمانيا فى صف النمسا ، وأعلنت فرنسا وانجلترا أنهما فى صف حليفتهما روسيا ، وامتدت نيران الحرب حتى اجتاحت أوروبا جميعها .

وقرر ولسون أن كل من اشترك فى تلك الحرب الطاحنة قد أخطأ ، ووقف هو على الحياد .

وعاد الى البيت الأبيض ، فاذا به صامت صمت القبور ، واذا بالحزن يخيم عليه ، واذا بالشجن يملأ فؤاد الرئيس ، فقد ماتت ايلين وخلفته وحده .

وجاء المساء ، وجلس ولسون ودكتور اكسون يتحدثان . قال ولسون : « اننى أتفق مع نابليون فى الرأى عندما يقول : « ان الحرب لا تنهى شيئا » ، ولكن هذه الحرب ستغير أشياء

كثيرة ، فاذا كانت أمريكا ستقوم بدور الداعية للسلام ، فعلينا أن نجعل ضرورات السلام واضحة فى رءوسنا » .

وقال دكتور اكسون :

« هل كونت فكرة عن ذلك ؟ »

— هناك أربعة أشياء ضرورية فى رأيى لاعادة بناء العالم عقب اقرار السلام . أولا : ألا يسمح لأية دولة بأن تحصل على بوصة من الأرض بالغزو . ثانيا : يجب أن تكون هناك مساواة فى الحقوق للأمم الصغيرة . ثالثا : يجب من الآن أن تتولى الحكومات صنع الذخائر الحربية ؛ فلا يترك ذلك للمصانع الخاصة ، التى تستفيد من الحروب ، وأخيرا ، وهو أهم ما فى الموضوع : يجب أن يكون هناك رابطة من الشعوب ، تقوم بحماية كل منها ، بحيث ان كل دولة تحاول أن تخرج على رأى الجماعة يحاربها الآخرون، بمعنى أن يكون العقاب أوتوماتيكيا »

فقال دكتور آكسون متسائلا :

« ولاية عالمية . برلمان البشر ؟ »

فقال ولسون :

« ليس ذلك تماما ، انى أتصور نوعا من العصبة ... عصبة الأمم ! ! » .

— ١٣ —

من السهل أن تقرر الحيـــاد ، ولكن ما أصعب تطبيقه ، فقد انتشرت جرائم ألمانيا ، وراح بعض الأمريكيين يطالبون بتأديبها . واكتسح الألمان جنود فرنسا ووقفوا يقرعون أبواب باريس ، واتضح أن انتصار الألمان معناه نكســة للديمقراطية ، وضربة قاضية للحرية .

وفى أول مايو من عام ١٩١٥ أطلق طوربيد على ناقلة الوقود الأمريكية « جولنليت » ، واجتمع مجلس المستشارين الأمريكى فى ٧ مايو ١٩١٥ . راح بعضهم يطلب ارسال احتجاج شديد الى المانيـــا ، وراح بريان ودانيلز وزير البحـرية يطلبان ارســال احتجاج شديد الى انجلترا فى نفس الوقت .

وتأهب ولسون ليعلن رأيه ويحسم الموضوع ، واذا برسالة تصل اليه ، فيقرأها ويكفهر وجهه ، ثم ينهض ، فينهض جميع الأعضاء ، وراح يقرأ وقد ترقرق الدمع فى عينيه خلف نظارته :

« تسلمت الآن تقريرا جاء فيه أن الباخرة « لوريتانيا » قد ضربت بالطوربيد ، وغرقت عند ساحل ايرلندا » .

وقطعت كل مناقشـــة ، وذهب الرئيس الى غرفتـــه ينتظر التفاصيل .

ثبت أن ألف راكب قد غرقوا ، وكان بينهم مائة أمريكى ،

بين رجل وامرأة وطفل، وقرر ولسون أن يبعث احتجاجا شديد اللهجـة لألمانيا ... وكتب الاحتجاج ، واسـتقال بريان ؛ لأنه حسب أن ذلك الاحتجـاج سيكون الشرارة التى تشـعل نار الحرب بين ألمانيا وأمريكا » .

وقبلت ألمانيا الاحتجاج ، ولم تقم الحرب بين أمريكا وألمانيا بسببه . وقابل ولسون فى البيت الأبيض مسز نورمان جالت مع احدى قريباته ، فأحس قلبه يخفق لأول مرة بعد موت زوجته، وأقبل يتحدث مع مسز جالت فى نشوة .

ودعيت مسز جالت الى البيت الأبيض مرارا ، وشغف الرئيس بها حبا ، وأخيرا عرض عليها أن تتزوجه .

وذهلت مسز جالت للعرض ، وطلبت من ولسون أن يمهلها لتتأكد من حقيقة شعورها نحوه ، وأخيرا قررا ألا يعلنا خطبتهما حتى تمر انتخابات الرئاسة .

ولكن ذاع السر ، وتحدث السياسيون عن العلاقة التى بين ولسون ومسز جالت ، ونصح أصدقاء الرئيس بقطع كل علاقة بينه وبينها حتى لا تثار فضائح مفتعلة بين الشعب .

ومرض الرئيس واشتد مرضه ، فأرسل طبيبه يستدعى مسز جالت ، وما ان جاءت ووضعت يدها فى يد ولسون ، حتى ذهب عنه المرض .

وفى السـابع من اكتوبر عام ١٩١٥ أعلنت خطبـة ولسون ومسز جالت .

— ١٤ —

وأعيد انتخاب ولسون للرئاسة ، لأنه جنب بلاده ويلات الحرب ، وراح ولسون يعمل للسلام ، فبعث الى المتحاربين يسألهم عن الشروط التى يقبلونها لوقف الحرب ونشر السلام .

ورفضت ألمانيا أن تبعث له بشروطها ، ولمح الحلفاء أن النصر الأخير هو غايتهم ، وأنهم لن يقبلوا الصلح قبل أن يخر عدوهم مهزوما تحت أقدامهم .

ورأى ولسون أن يخاطب الشعوب ، فذهب الى الكونجرس يخطب :

« .... يجب أن يسود السلام بلا نصر ، فالنصر معناه سلام فرض قسرا على مغلوب على أمره ، انها شروط المنتصر تملى على المهزوم ، فلا يمكن أن يدوم سلام الا بين متكافئين ... »

واستمر فى خطبه يتحدث عن السلام الذى تبغى أمريكا أن يسود الجميع ، وكان فى خطبه يعبر عن آمال الأمريكيين جميعا فى تلك اللحظة .

وأعلنت ألمانيا حرب الغواصات على جميع السفن التى تمخر المياه حول الشواطىء البريطانية ، ورأى أنصار الحرب أن يضغطوا على الرئيس ليعلن الحرب على ألمانيا ، ولكنه اكتفى بقطع العلاقات السياسية معها .

وساءت الأحوال بين أمريكا وألمانيا ، وراح الناس يطالبون بالحرب ، فقد أحس الجميع أن ألمـاتيا تحارب العالم وتحارب حريته ، واضطر ولسون الى اعلان الحرب وهو يقول :

« ان الحق أغلى من السلام » .

وراحت الغواصات الألمانية تفتـك بالسفن البريطانية فتكا ذريعا ، وباتت انجلترا فى حاجة الى سفن ، وأرسلت السفن الأمريكية تحمل جنود أمريكا وامداداتها . واشتركت أمريكا فى الحرب .

— ١٥ —

ودارت الحرب الطاحنة . . . الغواصات الألمانية مستمرة فى اغراق سفن الحلفاء ، والرجال فى الخنادق يقاسون قسوة الحياة ، وجثث القتلى تغطى ميادين القتـال . ورجحت كفة الحلفاء ، ولاح أن الحرب أوشكت على نهايتها .

وفى ٨ يناير عام ١٩١٨ اجتمع رجال الكونجرس ليسمعوا خطبة الرئيس ، وجاء ولسـون ووقف يتحدث عن برنامج السـلام :

« ... ان قادة الامبراطوريات الوسـطى بأوروبا أظهروا رغبتهم مرة أخرى فى التحدث عن أهداف الحرب ، والأسس الممكنة للسلام العام . ان برنامج السلام العالمى هو برنامجنا ..»

ومضى ولســـون يسرد على أعضـــاء الكونجرس البرنامج الذى أعده لاقرار الســـلم الدائم فى العـــالم . وهو البرنامج الذى يتضمن النقط الأربع عشرة المشهورة .

انطبعت صور الحرب البشعة التى رآها فى طفولته فى ذهنه فكرس حياته ليجنب البشر ويلات الحرب .

وأيد الأمريكيون الرئيس فى نقــاطه الأربع عشرة كما لم يؤيدوا رئيسا من قبل . ورأت فيها الشعوب بزوغ عهد جديد من التعـــاون الدولى ، وظنت أن الأيام الســـود الماضية قد ذهبت الى الأبد .

— ١٦ —

الحرب ماتزال دائرة ، وأمريكا ترمى فى أتونها زهرة شبابها وكادت الدائرة تدور على الألمان ، فأعلنوا أنهم يقبلون الصلح بشروط ولسون .

استشعر ولسون غبطة ، فقد وجدت شروطه أذنا واعية ، ولكن بعض ســـاسة أمريكا كانوا يرون تسليم ألمانيا بلا قيد ولا شرط ، فبعثوا الى ولســـون يحذرونه من أن يسقط فى المصيدة الألمانية .

وأرســـل ولسون الى الألمـــان يطلب منهم أن يحلوا عن

الأراضى التى استولوا عليها ،وقبل الألمان ذلك ، فما كانت فى أيديهم أية أراض ، بعد أن انسحبوا الى حدود بلادهم .

ورفض الحلفاء شروط ولسون ... كانوا يريدون أن يملوا شروط المنتصر على ألمانيا المهزومة ، وهدد ولسون بسحب قوات أمريكا ، فقبل الحلفاء الصلح .

وامتلأ ولسون بهجة . حسب أن العالم قبل شروطه ، وأن يوم وقف القتال سيكون بداية عهد جديد فى العالم .

وسافر الى باريس ليشترك فى الصلح واقرار السلام ، وفى الثانى عشر من شهر يناير سنة ١٩١٩ اجتمع مؤتمر الصلح : ولسون ، وكلمنصو ، ولويد جورج ، وفيتريو أورلاندو ، ثم وزراء خارجيــة الدول المشتركة فى المؤتمر ، وقواد الجيوش المظفرة : « فوش » ، ومارشال « بيتان » ، وجنرال بلبس ، والسير هنرى ولسون .

وكان أول عمل المؤتمر مناقشة مسألة « عصبة الأمم » ، على أن تناقش المسائل الأخرى بعد ذلك . وقرر المؤتمر أن تكون « عصبة الأمم » جزءا من كيان المعاهدة ، وأن يكون ولسون رئيسا لها .

وكانت اجتماعات هيئة عصبة الأمم تتم فى الأمسيات حتى لاتتأخر مناقشة مابقى من بنود المعاهدة ، وبذلك كان ولسون يعمل ثمانى عشرة ساعة فى اليوم : كان يقابل الناس فى الصباح ويهذب معاهدة الصلح مع مجلس العشرة فى الظهر ، ويعمل فى اعداد تفاصيل « عصبة الأمم » حتى منتصف الليل .

وعاد ولسون الى أمريكا يحمل اتفاق عصبة الأمم ، ورأى بعض الشيوخ عدم الموافقة على اتفاق العصبة مالم يدرج فى معاهدة الصلح . وقفل عائدا الى باريس وبدأت مناقشة باقى شروط ولسون ، واذا بالأقنعة تسقط عن وجوه الزعماء ، والملامح الاستعمارية تظهر بوضوح .

ورأى ولسون أن يعود الى أمريكا بعد أن تحطم قلبه ، رأى آماله العراض تذوب أمام طمع الاستعماريين ، وتوسل كلمنصو ولويد جورج اليه أن يبقى ، فبقى حتى انتهت معاهدة الصلح .

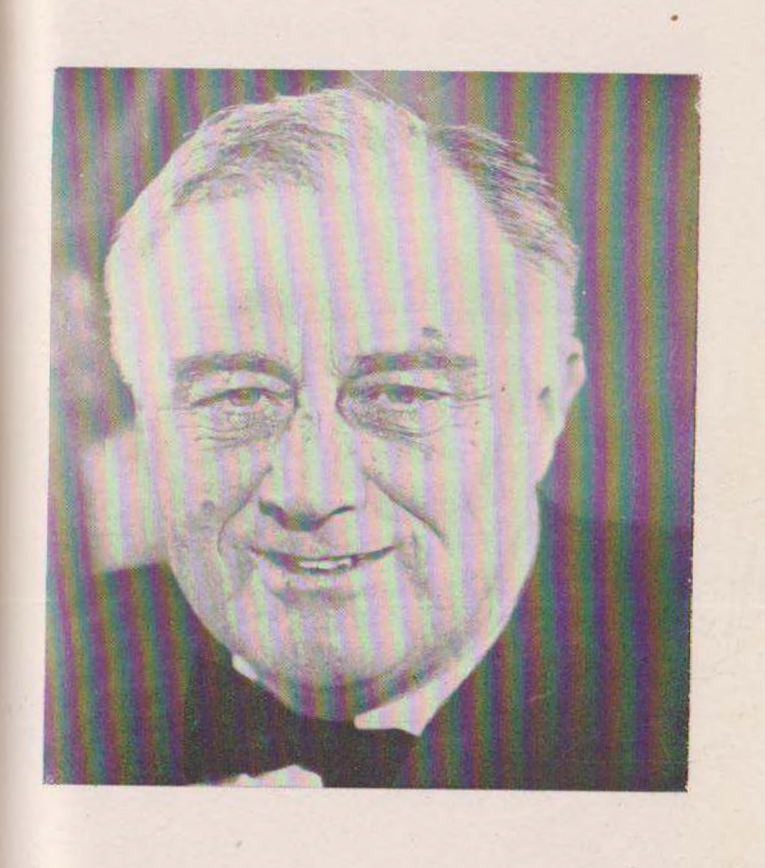
***

وكانت معاهدة الصلح بعيدة عما كان يهدف اليه ولسون ، كانت ظالمة فى بعض بنودها . ووقعت هذه المعاهدة فى فرساى .

وراح بعض الشيوخ يهاجمون « عصبة الأمم » ، ويطلبون قتلها فى مهدها ، وعزم ولسون على أن يدافع عنها حتى آخر رمق .

وسقط ولسون مريضا ، ثم فاضت روحه قبل أن يتمكن من أن يحقق ما كان يصبو الى تحقيقه لنفع البشرية .

فرانکلین رُوزفلیٹ



فرانكلين روزفلت

١٨٨٢ — ١٩٤٥

— ١ —

دار ريفية جميلة ، الأثاث فاخر ، اللوحات المعلقة على الجدران تنم عن ذوق سليم ، العبيد السود الغادون الرائحون يدل مظهرهم على، أن أهل الدار الأغنياء يرقبون حدثا .

كانت ساره دلانو ، زوجة جيمس روزفلت ، تضع مولودا ، وارتفع صياح الوليد ، وأشرقت الوجوه المكفهرة ، وطافت بالدار موجة من البشر ، فقد كان الوليد غلاما .

وشاء الوالد أن يطلق على الغلام اسم جده ، ولكن الأم كانت تحب عمها الوسيم الذى قضى نحبه ، فرأت أن تطلق اسمه على ابنها ؛ حتى يبقى اسمه فى الوجود ، وأطلق على الطفل اسم روزفلت .

وانقضى يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٢ ، وقد زاد عدد سكان الدار الريفية الموسرة واحدا . ولم يكن واحدا من الذين يأتون

الى الدنيا ويغادرونها دون أن يحس بهم أحد ، بل كان واحدا من صناع التاريخ .

شب روزفلت فى هيدبارك بأعالى ولاية نيويورك ، وما ان شب عن الطوق حتى راح والده يعلمه ركوب الخيل ، والرماية والصـــيد . وقد هام بصيد العصافير وتحنيطها ، حتى بلغت المجموعة التى يقتنيها ــ ولما يتجاوز الحادية عشرة ــ ثلاثمائة أو يزيد .

وأحب الفتى ملازمة والده ، فكان يخرج معه منذ الصباح يجوس خلال الحقول ، وكان الأب ينتهز هذه الفرصـــة ليزيد معارف ابنـــه ويوسع ادراكه .. كان يحدثه عن الزرع والجو واختلاف الفصول والحصاد والجنى ، وقد جمع روزفلت من والديه كثيرا من المعارف قبل أن يذهب الى المدرسة .

ونفحه أبوه يوما مبلغا من المـــال ، فهرع روزفلت وأنفقه جميعا ، فلم يغضب أبوه لذلك ، ولم يلق عليه موعظة طويلة ، بل أخذه الى الحقل ، وجعله يرقب السنجاب وهو ينقل الى عشه ما يزيد على حاجته ، والتفت الأب الى الابن ، وقال :

« انه يخزن فى صيفه ما يحتاج اليه فى شتائه . »

وفهمها روزفلت ، ووقرت فى نفسه .

- ٢ -

كان روزفلت يمشى على شاطىء نهر الهدسون يرصد الطيور التى تستحم فى مياهه ، وتلك التى تضرب بأجنحتها لتجفف ما علق بها من ماء ، وكان كلما مد بصره الى النهر استشعر تفتحا ، ولمحه والده وهو يمد بصره الى الماء ، فوعده بهدية لطيفة .

وسافرت الأسرة للاصطياف فى كامبو بلو ، وأهدى اليه والده زورقا شراعيا ، فامتلأ قلب الفتى بالغبطة ، وراح يشق بزورقه عباب الماء ، فى الليل والنهار ، فى الجو الهادىء والأنواء ، حتى أسلس الماء له قياده ، وقد ظل شغوفا بالبحر طوال حياته .

وبلغ روزفلت الرابعة عشرة . حان أوان انتهاء تربيته الخاصة ، وذهابه الى مدرسة عامة ، فألحق بمدرسة جروتون .

نشأ الفتى فى عزلة ، لم يختلط بالأولاد من سنه ، ولم ترتطم شخصينه بشخصيتهم ، ولم تتكون فيه بعد حاسة كشف طبائع الناس ، ولكن كل ذلك لم يحرمه من الاختلاط بأقرانه الجدد ، لم يعش فى قوقعة نفسه ، بل راح يختار أصدقاءه ، ويعوض ما فاته .

وقام برحلات الى أوروبا مع والديه ، ومع أستاذه ، فزاد

ذلك فى معارفه ، وعاونه على اجادة الفرنسية والألمانية . انه يرى فى انجلترا الحرية ، وفى المانيا الطاعة العسكرية ، وانه ليفرق بين الحياة فى لندن والحياة فى باريس ، فوسعت تلك الرحلات آفاقه ، وأمدته بثقافة تفوق تلك التى يحصلها من الكتب .

وشاء الفتى أن يعمل فى البحر ، ولكن والده رفض ذلك ، وأذعن روزفلت لذلك القرار على مضض .

ونشبت الحرب الاسبانية الأمريكية ، وراح حلم العمل بالبحرية يراود خيال الفتى ، فمال على صديق من أصدقاء المدرسة ، وأفضى اليه برغبته ، فتحمس لها الفتى ، وقررا الفرار من المدرسة والالتحاق بالبحرية .

لم يبق على الموعد المضروب للفرار الا يوم واحد ، واذا بالصديقين يسقطان فريسة المرض ، وفحصهما طبيب المدرسة فاتضح أنهما مصابان بالتهاب فى الحنجرة ، وأمر بارسالهما الى المستشفى .

وقبل أن يغادرا فراشهما كانت الحرب قد انتهت .

- ٣ -

سنة ١٩٠٠ ، الفتى روزفلت فى جامعة هارفارد ، انه فتى وسيم موسر ، يهتم بالسياسة ، وينتمى الى حزب الديمقراطيين ، انه يهتم بالسياسة لأنه يقتفى آثار ابن عمه تيودور روزفلت ، المرشح نائبا للرئيس عن الحزب الجمهورى .

كان غنيا ولكنه كان ينضم الى الطلبة الفقراء ، وما كان يهتم بمصالح طبقته ، بل غالبا ما كان يعمل على تحطيمها .

ان جامعة هارفارد تؤيد البريطانيين فى حرب البوير ، ولكن روزفلت يعطف على الشعب المنافح عن حريته واستقلاله .

رأى الأندية تفتح فى وجوه الطلبة الأغنياء ، فانضم فى الانتخابات الى الطلبة الفقراء ، وقادهم الى الفوز ، وفتح أمامهم نوادى الكلية . انه يستشعر فى قرارة نفسه نفورا من الجور ، وميلا الى الأخذ بيد الطبقات المظلومة .

وقرر أبناء طبقته ان ما يفعله خيانة لهم ، ولكنه لم يأبه بهم ، فقد عزم على أن يكون مخلصا لمبادئه ، أمينا مع نفسه .

كان فى الثامنة عشرة ، وكان صاحب فلسفة سياسية .

وتخرج فى جامعة هارفارد فى سنة ١٩٠٤ ، وتلفت يفكر فيما يفعله . لقد ورث عن أبيه وأمه مزارع وأملاكا ، تحتاج ادارتها الى خبرة خاصة ، فعزم على أن يدرس القانون ليكون

أهلا لذلك من ناحيـــة ، لكى يستطيع من باب القـــانون أن ينفذ الى الحياة العامة من ناحية أخرى .
والتحق بكلية الحقوق بجامعة كولومبيا .

— ٤ —

والتقى يوما بقريبته اليانور روزفلت . كانت فتاة عادية ، لم تكن بارعة الحسن ، بينا كان هو جميلا جذابا . ولم تكن ذات شخصية قوية ، بينا كان هو ذا شخصية آسرة جذابة . وكانت منطوية على نفســها ، بينا كان هو رجل مجتمعـــات وأندية. وكما ينجذب السالب الى الموجب ويكونا تيارا كهربيا متحدا ، فقد انجذب روزفلت الى اليانور .
وأقيم حفل الزواج ، وأقبل تيودور روزفلت عم العروس ، ورئيس الولايات المتحدة ، فاذا بالعيون تتعلق به ، وان كانت العروس متكئة على ذراعه ، واذا بالشاب روزفلت يستشعر غبطة غامرة ، فقد كان معجبـــا برئيس الجمهورية ، وان كان ينتمى الى الحزب الآخر .
واتنهى الحفـــل وقد بهر نور تيـــودور روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، نور العروسين .
وانطلق العروسان الى المنزل الريفى فى هايدبارك ، ليقضيا معا أمتع لحظات العمر .

— ٥ —

الانتخابات على الأبواب ، والحزب الديمقراطى يفكر فيمن يرشحه لمجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك . ان هذه الدائرة حصن الجمهوريين الحصين ، وما من مرشح ديمقراطى رشح فيها الا سقط فى الانتخاب سقوطا ذريعا .

ورأى أحد أقطاب الديمقراطيين أن يرشح الحزب الشاب روزفلت لمجلس الشيوخ ، وفى ذلك ترضية للشاب الديمقراطى المتحمس ، ودرء لهزيمة قطب من أقطاب الحزب .

وقبل روزفلت الترشيح ولما يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره ، قبله وقد عزم على أن يعمل حتى ينجح ، ولماذا لاينجح وقد نجح قبله تيودور روزفلت ؟!

كان يتأجج حماسة ، ودم الشباب يتدفق حارا فى عروقه ، والأفكار الجديدة تنبت فى ذهنه المتحرر ، فرسم لنفسه خطة لم يسبق أن انتهجها أحد ممن رشحوا قبله .

كان المرشح يطوف بالمدن الكبرى يلقى فيها بعض خطبه ، وقلما يهتم بالأرياف ، ولكن روزفلت وطن العزم على أن يطوف بالريف ، يتحدث الى أهله ، يصغى الى آلامهم ويبثهم آماله .

وكان المرشح اذا زارالريف ذهب فى ثياب رثة حتى لايجرح

شعور أهل الريف ، ولكن روزفلت قرر أن يذهب اليهم وهو يتألق فى اناقته ، ليبرهن لهم أن تلك الاناقة لاتحول بينه وبينهم.

وكان المرشـــح ينطلق الى الفلاحين فى عربة يجرها جوادان أعجفان هزيلان ، ليقنعهم بأن حاله من حالهم ، ولكن روزفلت قرر أن يذهب اليهم فى سيارة ، ليقنعهم بأن راكب الســيارة منهم لا يفترق عنهم .

وراح روزفلت يجوب الحقول ، يتحدث الى الشيخ المسن ، والشاب القوى ، ومدرس القرية وأصحاب الحوانيت ، ويخطب فى المجامع والمدارس ، واذا بالأهالى يعيرونه سمعهم ، وتتفتح له قلوبهم .

وجاءت الانتخـــابات ، ووقعت المعجزة ونجح روزفلت ، وكان فضل نجاحه للريفيين الذين غزا قلوبهم فى عقر دورهم .

— ٦ —

وأصبح رجلا سياسيا ، رجلا له دور هام فى الحياة العامة ، انه ممثل نيويورك فى مجلس الشـيوخ ، شـيخ فى الثامنة والعشرين !

وكان عليه أن يعمل فى همة لا تعرف الكلل ، فقد صار أحد أعضاء حزب فاز بأكثرية لم تكن متوقعة .

وأدار الفوز رأس مورفى زعيم الحزب الدعقراطى فى ولاية

نيويورك ، فأراد أن يرشح «شيهن» عضوا فى مجلس الشيوخ عن ولاية واشنطن .

كان شيهن ثريا ، كانت الشركات فى قبضة يمينه ، والأموال تتدفق من خزائنـه الى خزائن الحزب ، وديونه تطوق أعناق رجالات الحزب ، وسلطانه ناشر ألويته على الجميع .

فكر روزفلت فى هذا الترشيح فألفاه بعيدا عن المصلحة العامة ، فشيهن شخصية بغيضة الى قلوب الناس ، فهو لا يعطف على الفقراء ، ويده مغلولة الى عنقه ، يدير دفة الشركات ويكدس الأموال ، لتمده بقوة وسلطان .

وخطر لروزفلت أن يناهض هذا الترشيح ، لمصلحة الحزب ، ولتدعيم العناصر الصالحة والاطاحة بالعناصر الفاسدة التى تنخر فى كيان الحزب نخر السوس .

ولكن لماذا يبدأ حياته السياسية بهذه العداوة ؟ ! لماذا يقبل على هذه المغامرة ؟

انه حر النفس ، لايقبل أن يرى الخطأ ويسكت عليه ، لقد رسم لذاته منهجا فى الحياة · أن يقاوم الضلال ، وأن يعمل ماترضى عنه نفسه وان أغضب أصحاب الجاه .

وعارض قرار ترشيح شيهن ، وراح يجمع المعارضين حوله ، حتى بلغوا ثمانية عشر عضوا ، وكتبوا بيانا قالوا فيه :

« انهم لن يرشحوا شيهن أبدا » .

استخف مورفى بهذه المعارضة ، حسبها زوبعة فى فنجان ،

ثورة جامحة من ثورات الشباب سرعان ماتخمد . ولكن روزفلت راح يؤجج نار تلك الثورة .

وراح المال يعمل عمله فى تفرقة عصبة الثائرين ، البنوك تطالب المدينين منهم بتسديد ديونهم ، وروزفلت يبذل قصارى جهده لجمع المال لسداد تلك الديون ، والصحف تسخر منهم ، ولكن السخرية ما كانت قادرة على زعزعة ايمانهم .

واستشعر مورفى خطورة المعارضة ، انها تزعزع مكانته تحت قدميه ، وراح يحاول أن يقوض تلك المعارضة بكل ما أوتى من جهد ، ولكنه أخفق ، فاضطر الى الاقرار بالحقيقة الواقعة ، وسحب اسم شيهن .

وكان نصرا مؤزرا لروزفلت فى أول معركة سياسية حقيقية خاض غمارها .

— ٧ —

كان ولسون مدير جامعة برنستون ، رجلا قضى حياته بين الكتب ، صقلته الثقافة ، وأضاءت أمامه السبل ، ومكنته من أن يكون لنفسه مبادىء واضحة .

وولج ولسون باب السياسة عام ١٩١٠ ؛ يوم انتخب حاكما لولاية نيوجرسى ، وراح يعلن آراءه ، ومن بينها أن الثروة

طاغية القرن العشرين ، ولا بد أن تخضع لسيطرة الدولة ، والا استعبدت الملايين .

وصـادفت آراء ولسـون هوى فى نفس روزفلت ، وتاقت نفسه الى أن يجد ذلك المصلح الاجتمـاعى على رأس الحزب الدمقراطى . ولكن شيوخ الحزب ـ أصحاب الثروات والمصالح ـ فزعوا من ذلك ، خشوا على شركاتهم الضـخمة ، ونفوذهم المتغلغل فى البلاد ، فراحوا يرشحون رجلا آخر .

آمن روزفلت بولسون، فراح يدعو له ليكون رئيساً للولايات المتحدة فى الانتخابات القادمة ، ووضع كل قدرته فى خدمته ، ولم يهدأ له بال حتى فاز ولسون ، وصار رئيسا فى نوفمبر من عام ١٩١٢ .

وعرض على روزفلت أكثر من منصب فى الحكومة الجديدة ، ولكنه رفضها جميعا ، وعرض عليه وزير البحرية أن يكون وكيلا لوزارة البحـرية فقبل ، كانت أمنيتـه وهو طالب أن يعمل فى البحرية ، وهاهى ذى أمنيته تتحقق بعد أن أصبح رجلا سياسيا .

ورأى روزفلت بثاقب فكره سحب السياسة تتلبـد ، وأن العاصفة ـ عما قريب ـ يشتد هبوبها ، وأن العالم مقبل على حرب ، فراح يسعى لتقوية الأسطول .

وراح يجوب البحار ، ويزور الموانىء ... وحدث وهو على ظهر مدمرة تشق المياه التى امتطاها بزورقه الشراعى لأول عهده بالبحر ، أيام كان يمضى صيفه مع والديه فى كامبوبلو ، أن قرر ضباطها عجزها عن سلوك مضيق هناك .

وتقدم روزفلت ليقود المدمرة ، انه ليعرف مسالك تلك المنطقة في الليل والنهار ، في المياه المضطربة الصاخبة ، في الجو المكفهر ، وفي أي ظرف كان .

ونجح روزفلت وسلك المضيق .

— ٨ —

٤ أغسطس ١٩١٤ ، بريطانيا تعلن الحرب على ألمانيا . لا بد من تقوية الأسطول الأمريكي ، ولا بد من أن تجهز قواعده البحرية تجهيزا ييسر ابحار البوارج والمدمرات دون تأخير ، حتى تتم أعمال التموين والاصلاح والترميم على وجه السرعة .

الحرب بين ألمانيا وانجلترا دائرة ، وأمريكا على الحياد ، وبعض قطع الأسطول الألماني في ميناء نيويورك تتأهب لمغادرتها والانقضاض على أساطيل أعدائها .

وهرع الملحق البحري البريطاني الى وزارة الخارجية ، يلتمس عدم السماح لقطع الأسطول الألماني بمغادرة الميناء ، ولكنه عاد خائبا ، فقد كان وزير خارجية أمريكا من دعاة السلام .

وخف الملحق البحري الى روزفلت يلتمس عونه ، انقاذا للسفن والمؤن وأرواح البحارة .

وأطرق روزفلت يفكر ، ثم مد يده الى التليفون ، وراح يحدث مدير ميناء نيويورك :

« هالو مالون . فرانكلين روزفلت يتكلم ، فى الميناء سفن ألمانية . هل تستطيع أن تمنع خروجها بطريقة قانونية ؟ » .

« لا أظن أن هنـــاك طريقة قانونية لمنعها ، ولكنى سألتمس سبيلا لمنعها من الخروج » .

وتحايل مدير الميناء على منع السفن ، وما أكثر الأسباب ، على الرغم من ثورة القباطنة الألمان ، والملحق البحرى الألمانى .

وبقيت قطع الأسطول الألمانى فى ميناء نيويورك .

وفى عام ١٩١٦ ، دعى روزفلت لمقابلة ولسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، فاغتنم الفرصـــة وراح يعرض على الرئيس ضرورة تعزيز الأســـطول ، حتى اذا ما اضـــطرت أمريكا الى خوض غمار الحرب كانت على أهبة الاســـتعداد ، ولم يوافق الرئيس على ذلك ، فقد كان من رأيه ألا تتأهب أمريكا للحرب الا اذا أرغمت على خوض غمارها .

وفى ابريل عام ١٩١٧ دخلت أمريكا الحرب ، واتضـــح أن أســـطولها كان فى حاجة الى أشهر ليبلغ أقصى قوته ، وأصبح روزفلت هدفا لسهام النقد ، اتهم بالتقصير .

وكتمها روزفلت فى نفسه ، فما كان بقادر على أن يبوح بالسر وأن يقول انه نصح الرئيس ، وان الرئيس لم يقبل نصحه .

— ٩ —

الحرب دائرة ، والشباب فى ميادين فرنسا يخوضون غمارها ، وروزفلت جالس فى مكتبه على بعد آلاف الأميال منها ، فكر فى كل ذلك ... فعزم على أن يشارك أبناء جلدته فى كفاحهم ؛ فقرر التطوع فى صفوف الجيش .

ورفض وزير البحرية هـذا التطوع ؛ فروزفلت فى وكالة الوزارة يسدى الى القوات المحاربة أجل خدمة .

وأصر روزفلت على رأيه ، وأخـيرا قبل أن يخرج فى رحلة بحرية تفتيشية ، يجوب خلالها موانى الحرب فى أوروبا .

وشاهد المعارك عن كثب ، فازداد اصرارا على خوض غمار الحرب بنفسه ولكنه عاد الى نيويورك مجهدا مريضا ، فحمل من السفينة الى المستشفى .

وغادر المسـتشفى ، وقدم تقريرا عن رحلته ، ولكن كانت الحرب قد انتهت وأعلنت الهدنة .

وعاد روزفلت الى باريس ، أثناء اجتماع مؤتمر الصـلح ، ليشرف على تصفية منشآت الأسـطول الأمريكى فى فرنسا ، وعند عودته الى الوطن ، عاد على السفينة «جورج واشنطن» مع الرئيس ولسـون ، وأتيحت له الفرصة ليصغى الى الرئيس وهو يتحدث فى حماسة عن « عصبة الأمم » .

تفتحت روح روزفلت لآراء ولسون ، وصار يصغى مأخوذا كأنما كان يصغى الى وحى يوحى .

ووقر فى نفسه أن الأمم الحرة تستطيع أن تمنع الحروب بالعمل المشترك .

واقتربت انتخابات الرئاسة فى سنة ١٩٢٠ ،ورأى الساسة الديمقراطيون أن يبتعدوا عن ولسون وآرائه، ان أرادوا النجاح، فاختاروا رجلا آخر ورشحوه ، اختاروا كوكس للرئاسة وروزفلت للوكالة .

ناضل ولسون فى سبيل عصبة الأمم نضال الأبطال ، وقد أعجب كوكس وروزفلت بنضال الرئيس ، فعزما على أن يستمرا فى الدعوة للعصبة وان كانت جمهرة الناخبين لا تميل اليها .

وخسرا الانتخاب ، كان تأييدهما للعصبة انتحارا سياسيا ، ففضلا ذلك الانتحار على خذلان الرأى الذى يعتقدان أنه الصواب .

— ١٠ —

اختير روزفلت عقب اخفاقه ، مديرا لاحدى شركات التأمين الكبرى ... وفى ذات يوم من عام ١٩٢١ خرج فى يخت يجوب المياه الحبيبة ، مياه كامبو بلو !!

وراح يجمع أدوات الصيد ، واذا بقدمه تزل ويسقط فى

الماء . كان الماء باردا غاية البرودة ، فأحس كأن أطرافه تتجمد ، وتمكن أخيرا من أن يتسلق جدار اليخت .

وفى اليوم التالى نزل الى الجزيرة ، فألفى النار مشبوبة فى بعض غاباتها ، فراح يكافح النار ، حتى اذا ما تعب من الكفاح ذهب الى بركة يغتسل .

وعاد الى الدار ، واذا بقشعريرة تسرى فيه من رأسه الى أخمص القدم ، وبقى فى سريره حتى الصباح ، وأراد أن ينهض من فراشه ولكنه عجز ، ألفى ثقلا فى ساقه اليسرى ، ولكنه تحامل على نفسه وقام يغتسل .

وعاد الى فراشه ، واذا بساقيه تتيبسان . وانقضت ثلاثة أيام، واذا بالحقيقةالمرة تواجهه : أصيب روزفلت بشلل الأطفال، وذاع هذا النبأ ، فتيقن السياسيون أن روزفلت قد أقصى نهائيا عن الحياة العامة .

اعتقد الجميع أن روزفلت قد انتهى ، ولكن روزفلت نفسه لم يتسرب اليأس الى قلبه ، فقد عزم على مكافحة مرضه ، وعلى أن ينجح فى مكافحة هذا المرض كما نجح فى مكافحة خصومه .

واستمر الكفاح المرير حتى نجح فى استعمال ذراعيه ، وفى أن يتنقل على عكازين

وحكم عليه المرض أن يبقى فى بيته ، فراح يشرف على الحياة السياسية من عل دون أن يندمج فيها.. ان المشاهد المتأمل يرى

الأخطاء ويحصيها ، وقد يهتدى الى علاج لها ما دام تيار الحوادث لا يجرفه فى طريقه .

وتعلم من مرضه أشياء كثيرة : تعلم العطف على المصابين ، وحاجة الضعفاء والمحرومين الى المواساة ، والمتألمين الى يد حنون تمسح آلامهم . كان مرضه الحلقة التى ربطت بينه وبين اخوانه الذين يقاسون الظلم والضعف والهوان ، وما أكثرهم فى كل أمة !!

— ١١ —

الانتخاب يقرع الأبواب ، ورجال الحزب الدمقراطى يفكرون فى ترشيح الفرد سميث لرئاسة الجمهورية ، ويفكرون فى دعوة روزفلت المقعد الى تولى هيئة الدعاية لسميث .

كانت دعوة مجاملة ، فما كان أحد ليعتقد أن الرجل المقعد يستطيع أن ينهض بأعباء هذا العمل الذى ينوء به السليم ، ولكن روزفلت نهض بالعمل ، واستمر يعمل شهورا دون ملل أو كلل .

وأجرى الانتخاب فلم يفز سميث ولا منافسة ، وأعيد الاقتراع أكثر من مائة مرة دون جدوى ، وأخيرا قر رأى الحزبين على التخلى عن المرشحين وترشيح غيرهما .

وأبعد سميث . ولكن روزفلت كان يؤمن بالرجل ، فراح يدعو له على أمل أن يكون الرئيس المقبل ، اذا كانت الرئاسة قد فاتته هذه المرة .

ومرت السنوات الأربع ، وعاد روزفلت يطلب ترشيح سميث ، ورشح سميث للرئاسة ، وطلب سميث من روزفلت أن يرشح نفسه لمنصب حاكم ولاية نيويورك .

وأجرى الانتخاب ، وأخفق سميث ، ونجح روزفلت وصار حاكم ولاية نيويورك .

الولاية غاصة بالمصانع والمزارع ورجال الأعمال والجامعات ، تموج بالقضايا والمشكلات، وروزفلت يتسم بالجرأة ، انه ليؤمن بأن حكومة الشعب للشعب ، ولكنه يرى أن الدولة تعمل لمصلحة حفنة من أصحاب النفوذ .

وعزم على أن يعيد الأعمال المالية الكبيرة الى الجادة ، أن تكون فى خدمة الشعب ، لا فى خدمة أنفسها على حساب الشعب .

وراح يكافح الاحتكار التجارى والمالى والمضاربة ، وأعمال البنوك المتهورة والاستغلال والجفاء بين الطبقات ، ووضع نصب عينيه أن يجعل المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، وأن يسخر القانون فى تحقيق ذلك .

وفزعت الشركات الكبيرة من آرائه ، وراحت تنفق الأموال فى محاربته . قالت : « ان مشاريعه أوهام » . ولكنه أثبت — فى كل مرة — أن مشاريعه حقيقة واقعة ، واتهموه بالشيوعية وبأنه ألعوبة فى يد زوجته ، وقال بعضهم : « انه يستحق الشنق » ، ولكنه استمر فى طريقه .

القافلة تسير ، والكلاب تنبح .

- ١٢ -

واهتم روزفلت بالأراضى الزراعيــة فى ولايته وبمشــاكل الفلاحين ، واقترح أن تشترى الحكومة الأراضى غير الصالحة وتحولها الى أحراش ، وأن تمد الطرق والكهرباء الى الأراضى الصالحة ليزيد فى غلتها ، وقد صاح أعداؤه : « هذا شـيوعى مستتر » ، ولكن روزفلت استمر فى طريقه ، وأثبت أن ما يدعو اليه فى مصلحة الفرد والمجتمع والدولة .

وكان المجلسان التشريعيان فى الولاية فى جانب ، وروزفلت فى الجانب الآخر ، فكانت اللجنة التشريعية التى تضع ميزانية الولاية تجعــل نصب عينيها عدم تمكين روزفلت من تنفيــذ مشروعاته ؛ فكانت تضع ميزانية هزيلة .

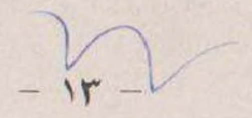
ورأى روزفلت أن يكلف الهيئة التنفيــذية بوضع مشروع الميزانيــة ، ثم يقدم الى المجلسين لمناقشــته واقراره ، ولكن المجلسين رفضــا ذلك ، فلم يسكت روزفلت ؛ بل طلب الى المحكمة العليا أن تفصل بينه وبين المجلسين ، وحكمت المحكمة بأن ما فعله الحاكم لا اعتراض عليه .

وانتصر روزفلت ، وهزم المجلسان التشريعيان .

خسر الحاكم تأييد أصحاب الأعمال الضخمة ، ولكنه كسب ثقة الجمهور ، فأعيد انتخابه حاكما فى سنة ١٩٣٠ .

وتألق نجم روزفلت ، وصار قوة فى الحزب ، حتى انه كان مرموقا بين المقترحين للترشيخ فى انتخاب الرئاسة القادم .

وجاء أوان الانتخاب فى عام ١٩٣٢ ، ولكن روزفلت لم يرشح ، فقد كان رجال الحزب من رجال المال ، الذين يمقتون روزفلت ، عدوهم اللدود !!



- ١٣ -

راح روزفلت يستعين بالأساتذة ويستشيرهم فى مشاكله الاقتصادية ، فأوغر ذلك صدر رجال حزبه الذين ينتظرون المغانم ، وراح يناوىء السياسيين النفعيين ويعلن الحرب عليهم ، فزاد ذلك فى خصومه ، ولكن أصحاب الآراء الحرة انضموا اليه ، واعتبروه زعيما لهم .

واجتمع مؤتمر الحزب الديمقراطى فى مدينة شيكاغو لاختيار مرشح الديمقراطيين ، ونال روزفلت ٦٦٦ صوتا . ولكن هذا العدد لم يكن كافيا لترشيحه ، لأنه لم ينل ثلثى الأصوات .

وكان لابد من اعادة الانتخاب ، وراح أصحاب روزفلت وأحرار الحزب يبذلون كل جهد لانجاح روزفلت ، وتم الاقتراع الثانى دون جدوى .

جهود تبذل .. اتصالات هنا وهناك .. قدح ومدح .. خطب

التى .. أموال تنفق لاقصاء روزفلت ، وتم الاقتراع الثالث دون أن ينال أحد المرشحين ثلثى الأصوات .

عرق آخر يتصبب .. جهود أخرى تبذل .. جذب وشد .. اجتماعات ومداولات .. واجتماعات ووعود .. المصلحة العامة والمصلحة الخاصة تتصارعان ، وتم الاقتراع الرابع ، واذا بروزفلت يفوز بالأغلبية .

وسمع روزفلت بنتيجة الانتخابات فلم يتريث ، بل ركب طائرة وانطلق الى المؤتمر فى شيكاجو ليشكر من تفضلوا بترشيحه .

وفرح الأحرار بذلك الترشيح ، واغتمت الفئة التى لا هم لها الا تكديس الأموال ، ولو كان ذلك على حساب العامة .

ومضت معركة الانتخاب حامية الوطيس .. روزفلت يخطب فى كل مكان ، ويتحدث عن « التوزيع الجديد » ، ويعالج فى خطبه مشاكل الولايات ؛ كان يعرض على ناخبيه برنامجه الاصلاحى الذى يبغى تنفيذه لو قدر له أن يكون رئيسا للولايات المتحدة .

وجاء اليوم الفاصل ، يوم ٨ نوفمبر عام ١٩٣٢ ، وانتخب روزفلت رئيسا . قام الشعب بما عليه ، وحمل روزفلت الى البيت الأبيض ليقوم بتحقيق وعوده .

— ١٤ —

الضائقة المالية تشتد.. بنوك توصد أبوابها.. أموال التوفير تتبخر .. الثقة بالمستقبل تتزعزع .. الدور تنزع من أيدى أصحابها .. عمال بغير عمل ، وعمال آخرون يطردون من مصانعهم ليزيدوا أزمة البطالة تفاقما .

عجز الفلاحون عن بيع محصولاتهم .. لم تجتح البلاد حرب ، ولكن أمسكت البنوك يدها وغلتها الى عنقها .

وهرع الناس الى البنوك يستردون ودائعهم ، وساد الذعر العام المدن ، وأقبل أصحاب الأموال على اقتناء الذهب .

فى هذا الخضم المتلاطم ، ووسط هذا الكساد الذى عم العالم كله ، تقلد روزفلت رئاسة الولايات المتحدة . ووقف ليلقى أول خطاب له ، قال :

« الأمة تبحث عن عمل ، وستجد هذا العمل » .

ونزل هذا القول على قلوب المترقبين للعمل بردا وسلاما .

وتكتلت الأمة خلفه تؤازره للخروج بها من هذه الأزمة الطاحنة .

أعلن اجازة عامة للبنوك مدتها أربعة أيام ، وحظر سحب الذهب والفضة ، وراح يذيع على الأمة الأمريكية ارشاداته ونصائحه ، فكان حديثه ينفذ الى قلوب سامعيه .

وراح يسن القوانين التى تعاونه على اجتياز هذه الأزمة ؛ فوضـــع : قانون البنـــوك ، وقانون التنظيم الزراعى ، وقانون الأوراق المالية ، وقانون قروض ملاك البيوت ، وقرار الخروج من قاعـــدة الذهب ... وبهذه القوانين وضع برنامج « التوزيع الجديد » لتحقيق الانعاش والاصلاح .

ونسى الديمقراطيون والجمهوريون أمام هذه الأزمة ما كان بينهما من خـــلافات ، فتضافرت الجهـــود جميعا للسير بسفينة الولايات المتحدة الى بر الأمان .

وفتحت البنوك ، وخفض سعر الفائدة ، وسهل عقد القروض على أصحاب الصناعات ، وبذلت كل الجهود لزيادة دخل العامل والفلاح ، وحـــدث تحول فكرى فى عقلية الأمريكيين ؛ صاروا يؤمنون بضرورة تدخل الحكومة الاتحادية فى الشئون الاقتصادية لعون التجار والفلاحين والعمال ، ولحماية حملة السندات ومودعى ودائعهم فى البنوك ، وايجاد عمل للمتعطلين .

— ١٥ —

وأعيد انتخاب روزفلت للرئاسة عام ١٩٣٦ ، واستمر فى اصلاحاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفى سنة ١٩٣٨ تلبدت غيوم الحرب فوق أوروبا ، وسرعان ما تشبت الحرب بين ألمانيا وفرنسا وانجلترا .

وسقطت فرنسا ، واعتدت اليابان على الولايات المتحدة فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ ، وهاجمت الأسطول الأمريكى ، فى بيرل هاربر، وبذلك أصبحت الولايات المتحدة مشتركة فى الحرب العالمية الثانية .

ودافعت ستالنجراد عن حياضها دفاع الأبطال ، وعجز هتلر عن أن يخضد شوكة الروس ، وراحت دول المحور بذل قصارى جهدها لتكسب الحرب فى عام ١٩٤٢ ، ولكنها عجزت عن ذلك . كان الحلفاء يدمرون ما تعجز مصانع المحور عن تعويضه .

ومالت كفة الميزان ، ولاح أن النصر للحلفاء .

واستمرت المجازر البشرية فى كل مكان ، وبذلت أمريكا غاية البذل لتحوز النصر للحلفاء ... وأخيرا جاء اليوم الذى كان العالم كله يعيش من أجله ؛ وقفت الحرب ، وتم النصر للحلفاء ! !

ووضع روزفلت مبادئه التى تكفل للبشر السعادة والرفاهية.

كانت مبادىء تنبع من قلبه الكبير ، مبادىء لا يستهدف من ورائها الا تحرير الناس ، ومنحهم الأمن والطمأنينة ، وقد عرفت هذه المبادىء بالحريات الأربع .

كان يقول :

« فى الأيام المقبلة ، التى ننوى أن نقيم حولها سياجا من الأمن ، نحسب أن العالم سيقوم على أربع حريات انسانية أساسية :

أولا : حرية الرأى ، حرية الكلام والتعبير فى كل مكان .

ثانيا : حرية العبادة فى كل بقعة من بقاع الأرض .

ثالثا : التحرر من الفقر .

رابعا : التحرر من الخوف .... »

— ١٦ —

كان روزفلت يفكر فى ربط العالم بعضه ببعض فى ميثاق واحد ، وكان متأثرا بولسون وحلمه الذى عمل له ، وقد دافع روزفلت نفسه عن عصبة الأمم ، وأخفق مرة فى الانتخاب بسبب تلك العصبة .

وكان ماثلا فى ذهنه ما فعله شيوخ الولايات المتحدة قبل العصبة ، وكيف أنهم لم يوافقوا عليها ، فكان ذلك سببا فى أن امريكا لم تشترك فيها ، لذلك قر عزمه على أن يعمل على اتحاد العالم ، دون أن يقع فى أخطاء الماضى .

انه ليذكر أنه قابل تشرشل على ظهر سفينة حربية ـ فى مكان ما ـ فى الأطلنطى فى أغسطس عام ١٩٤١ ، وكان من ثمار هذه المقابلة أن ارتبطت الولايات المتحـدة بالحلفاء ، وأعلن ميثـاق الأطلنطى ، ولكن ما كان ذلك ليحقق حلم روزفلت الكبير .

واجتمع بعد اعلان أمريكا الحرب فى واشنطن ، ستة وعشرون مندوبا ، يمثل كل منهم بلدا من البلاد الحرة ، ووقعوا اعلانا أيدوا فيه ميثـاق الأطلنطى ، وأطلقوا على أنفسهم فى فخـار « الأمم المتحدة » .

تعاونوا جميعا فى قتال العدو المشترك ، وراحوا يفكرون فيما يفعلونه بعد الحرب لاقرار السلام الدائم .

ورأى روزفلت الفرصة سانحة لاخراج فكرة «الأمم المتحدة» التى تداعب خياله الى الوجود .

اجتمع وزراء خارجية الولايات المتحـدة وبريطانيا والصين والاتحاد السوفييتى فى موسكو ، لتحقيق الفكرة ، وكان ذلك فى أكتوبر عام ١٩٤٣ .

عين روزفلت لجنـة من مجلس الكونجرس لتضع مشروعا لتنظيم العالم . ومرت شهور ، وانتهى المشروع ، وأرسلت صور منه الى انجلترا والصين والاتحاد السوفييتى ، وكانت تلك البلاد قد كونت لجانا لنفس الغرض ، فتبودلت المشروعات .

وأصبح هناك أربعـة مشروعات ، فكانت الخطـوة التالية ، وضعها جميعا فى مشروع واحد .

وفى ٢١ أغسطس من عام ١٩٤٤ ، اجتمـع مؤتمر فى مزرعـة

أوكس دامبرتون ، بالقرب من واشنطن . حضره مندوبون عن الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين ، وراح الجميع يعملون على وضع مشروع واحد ، يقبلونه جميعا ، كان روزفلت يخشى أن تعارض دولة من الدول بعد وضع المشروع ، فيكون مصيره مصير « عصبة الأمم » .

واتهى المؤتمر من وضع المشروع ، وأطلق عليه « مقترحات أوكس دامبرتون » .

وطبعت ملايين النسخ من المشروع ، ووزع على الناس ليقولوا رأيهم فيه .

وتلقت الدول الأربع آلاف الاقتراحات لتحسين المشروع .

وفى آخر شتاء للحرب العالمية الثانية ، عند ما رجحت كفة الحلفاء ، وبدا أن المحور يترنح ، اجتمع الرئيس روزفلت ورئيس وزراء انجلترا تشرشل ، والمارشال ستالين رئيس الاتحاد السوفييتى فى « يالتا » ، فى الجزء الجنوبى من روسيا ، واتفقوا على ما تفعله الأمم الكبيرة لتأييد « الأمم المتحدة » ، وأضيف ما اتفقوا عليه الى مقترحات أوكس دامبرتون .

ودعت الدول الأربع جميع الدول التى وقعت اعلان الولايات المتحدة ، وبعثت تلك الدول مندوبيها الى مؤتمر سان فرنسسكو لوضع الخطوط النهائية لخطة تنظيم العالم ، واقرار السلام الدائم .

وعند ما ذاع أن الدعوة لن توجه الا الى الدول التى أعلنت الحرب على ألمانيا وايطاليا واليابان ، أسرعت دول جنوب

أمريكا والشرق الأدنى الى اعلان الحرب ، ليكون لها حظ المساهمة فى بناء العالم الجديد .

ووقع واحد وخمسون مندوبا على الميثاق الذى تم فى سان فرنسسكو .

***

وانطفأت روح روزفلت عام ١٩٤٥ ، بعد أن حقق النصر لبلاده ، ولكن المشعل الذى وضعه فى طريق البشرية ظل يشع نوره ، وقد انعقد أول اجتماع عام « للأمم المتحدة » فى ١٠ يناير سنة ١٩٤٦ فى لندن ، ولم يشهد روزفلت ذلك الاجتماع ، ولكن روحه كانت ترفرف فوقه وتباركه .

دَوایت اُثیر نخچاوز



دوايت أيزنهاور

١٨٩٠ — ؟؟

— ١ —

كان آل أيزنهاور يعيشون فى ألمانيا ، وكان مذهبهم الدينى يحرم عليهم الجندية والحرب . وقد اضطروا أثناء الحرب الدينية الوحشية التى نشبت بين عامى ١٦١٨ و ١٦٤٨ ، الى أن يفروا من الاضطهاد الى سويسرا ، حيث مكثوا بها ما يقرب من قرن من الزمان ، هاجروا بعده الى هولنده .

وحوالى عام ١٧٣٢ هاجروا الى الدنيا الجديدة ، واستقروا بالقرب من سسكيهانا ، وقد حملوا معهم اسم أيزنهاور الألمانى ، ومعناه : « طارق الحديد » .

وكانوا كأغلب الهولنديين الذين هاجروا الى أمريكا فلاحين مهرة ، يميلون الى الصناعة والاناقة وحياة الهدوء والسلم .

كانوا أمنـاء ، يحبون التملك الخاص ويعملون على زيادته

بالجد والعمل والزواج ، وكانوا متدينين ؛ يجتمعون يوم الأحد ليسمعوا المواعظ ، ويؤدوا الصلاة .

وكانوا معتادين على التعاون للمصلحة العامة . وقد انحرف بعض آل أيزنهاور عن السلم الذى يؤمنون به ، واشترك بعض هؤلاء المنحرفين فى حرب التحرير والحرب الأهلية .

وكان أظهر ما يميز آل أيزنهاور أنهم قوم محافظون .

شب يعقـوب أيزنهاور مغـرما بالاطلاع ، وقد تمكن من الالتحاق بخدمة الحكومة دون أن يؤثر ذلك فى حياته الزراعية . كان راهبا ، أقام مبنى من طبقتين فى ايزابيتفيل ، ببنسلفانيا ، يجتمع فيه الناس يوم الأحد ليستمعوا الى المواعظ الدينية ، وليقيموا فيه حفلاتهم فى الأيام الأخرى ، أو ليجدوا فيه مكانا يبيتون فيه ليلة أو ليلتين اذا كانوا من المسافرين .

وفتحت الحرب الأهلية باب الهجرة الى الغرب أمام المغامرين ، ففكر بعض أهالى بنسلفانيا فى انتهاز هذه الفرصـة ليقوموا بمغامرة قد تعود عليهـم بالخير العميم ، فانطلقوا الى الغرب ، وأرسل آل أيزنهاور بعض خبرائهم ليفحصوا أرض كنساس ، وعاد الخبراء يتحدثون الأرض الواقعة حول « أبلين » ، وخرج آل أيزنهاور الى الأرض الجديدة ، وخرج يعقوب معهم ، وكان فى رفقته ابنه دافيد ، وكان فى الخامسة عشرة من عمره .

- ٢ -

استقر آل أيزنهاور حول أبلين ، فى وادى نهر كانساس ، وبدأ يعقوب يعمل ، فأقبل سعده ، وصار غنيا ، حتى انه قدم لكل ابن من أبنائه مزرعة خاصة به .

وكان دافيد على عكس أهله لايميل الى الفلاحة ، كان يهوى الآلات ، وكان يرغب فى أن يكون مهندسا ، وما ان بلغ العشرين حتى طلب من والده أن يرسله الى كلية صغيرة تدعى « جامعة البين » فى ليكومبتون بكانساس .

ذهب الى الكلية ، وهناك التقى بايدا اليزابيث ستوفر ، كانت ممتلئة حيوية ، محبوبة جذابة ، ذات شخصية آسرة قوية ، فعبثت بأوتار قلب الفتى .

وأوشكت سنته الثانية فى الكلية على الانتهاء ، واذا بحبه تتأجج ناره ، واذا به يقرر أن الزواج بفاتنته أهم من اتمام دراسته .

وتقدم لخطبتها ، ووافق أهلها على أن يزوجوها له ، وراح دافيد يفكر فى الوسيلة التى يكسب بها معاشه ، انه يكره الفلاحة ، لذلك قرر أن يشتغل بالتجارة .

ووجد شريكا ، ولكى يمول مشروعه رهن مزرعته بموافقة والده يعقوب ، وراح هو وشريكه يمارسان عملهما فى قرية

صغيرة جنوب أبلين . وتزوج دافيد أيزنهاور ممن شغف بها حبا .

وسارت الأحوال على غاية ما يرام عاما واحدا ، ولكن دافيد لم يكن رجل أعمال ، كان يثق فى الناس ، وكان شريكه لا يقل عنه عدم خبرة ، فأخذ الزبائن منهما على الحساب ، ولم يسددوا ماعليهم ، فكانت الكارثة الكبرى...أفلسا ، وضاعت المزرعة ، واضطر دافيد الى أن يترك أبلين هو وزوجه وابنه الجنين الذى لا يزال فى بطن أمه ، ليبحث عن عمل ، واستقروا فى تكساس .

ووضعت ايدا دوايت ابنها الثالث ، وراحت ترعاه وترعى ابنيها الآخرين وزوجها ، كانت تحمل أغلب أعباء الأسرة .

كانت ايدا من أسرة دينية ، لا تؤمن بالحرب ، ولا باقتناء العبيد ، وزاد فى كرهها للحروب ما قاسته شوتند.واه بلدها من ويلات الحرب الأهلية . ماتت أمها وهى صغيرة ، وأرسلت لتعيش مع عم لها صار ولى أمرها بعد موت أبيها .

وذهب أخوان لها الى كنساس ــ وهى ما تزال طفلة ــ وقررت أن تلحق بها عندما تستطيع ذلك . كان عليها أن تنتظر حتى تبلغ الواحدة والعشرين ، وأن تحصل على ميراثها الصغير .

وتمكنت بذلك الميراث من الذهاب عام ١٨٨٣ الى كوبيكا برفقة بعض أقاربها ، ولما كانت تطمع فى أن تتلقى قسطا من التعليم فقدالتحقت بكلية ليكومبتون ، حيث شغفت بدافيدحبا .

— ٣ —

شاء يعقوب أن يعيد ابنه الى أبلين ، ووجد أن مصنعا قدأقيم بها . كان مصنع كريس زوج أخت دافيـد ، فطلب يعقوب من كريس أن يلحق دافيد بمصنعه ، فعرض كريس على دافيد أن يدير آلات المصنع .

كان العمل على هوى دافيد فقبل ، وحمل زوجه وأبناءه : آرثر ، وادجار ، ودوايت الصغير وانطلق الى ابلين .

وأنجب دافيد فى ابلين ثلاثة أبنـاء آخرين ، وشب الأولاد جميعا يتحلون بالحكمة ، مهرة فى التنظيم ، زاخرين بالحيوية والنشاط ، وقد ورثوا كل تلك الصفات من أمهم ، فقد كانت مثال المدبرة الشجاعة ، كانت امرأة عظيمة !!

استـقروا فى منزل صغير ، ضاق بالأسرة التى كان يتزايد عددها ، وكم كان سرور ايدا عظيما عنـدما تحسنت الظروف بعد سنوات وانتقلت الأسرة الى منزل أوسع . كان به فنـاء يمكن أن يلعب الأولاد فيه ، وكانت حوله أرض يمكن أن تزرع بالخضر والفاكهة ، فتحصـل الأسرة على حاجتها منها ، وتبيع الفائض للجيران .

وشب الأولاد ، وذهبوا الى المدرسة ، وكانوا يذهبون يوم الأحد الى مدرسة يوم الأحد ، وكانوا طوال الأسبوع يعاونون

أمهم فى أعمال الدار ، يحلبون البقر ، ويجلبون الحطب ، ويزرعون الحديقة ويروونها ، ويبيعون منتجات الحديقة حول المدينة .

تعلموا تحت رعاية أمهم القادرة أن يقوموا بالعمل المطلوب فى أحسن حالة وأسرع وقت ، واذا لم يقوموا به على ماينبغى ، كانوا يكلفون بعمله مرة أخرى ، وكانت تسمح للمجد باللعب، فتعلم الأولاد منذ نعومة أظفارهم أن الجوائز تكسب ، وأنه لا يمكن الحصول على شىء دون بذل الجهود .

وكانت تنشب معارك منزلية بين ادجار ودوايت : كان ادجار يفوز فيها ، ويلصق رأس أخيه الصغير بالأرض ، ولكن كان دوايت على استعداد دائما لجولة أخرى . وكانت ايدا ترقب الشجار الناشب بين ابنيها فى هدوء ، دون أن تتدخل بينهما ، كانت تفهم أن الأولاد ينفسون عن طاقاتهم البدنية ، وما كانت تأبه باحتمال حدوث خسائر فى محتويات الدار ، أو وقوع اصابات بين أبنائها .

وكان دوايت ممتلئا حيوية ، وقد برهن وهو صغير على شجاعته البدنية فى بيئة تعجب كثيرا بهذه الصفة ، وكانت أشهر معركة له مع زميل فى المدرسة اعتاد أن يتيه على أقرانه بقوته ، وأن يضرب خصومه حتى يهزمهم . التقى الاثنان عقب انتهاء اليوم الدراسى حسب الموعد الذى اتفقا عليه ، وضربت حولهما

حلقة من المشاهدين ، وراحا يتصارعان صراعا عنيفا لمدة طويلة، وسالت الدماء منهما ولكن لم يسلم أحدهما . وكانت نتيجة ذلك أن صارا صديقين حميمين .

— ٤ —

نزع دوايت جلد ركبته ، فتسمم دمه ، ولم يكن يدرى خطورة ما فعل حتى ورمت رجله . وجاء طبيب الأسرة وفحص عنه ، وهز رأسه ، ونصح ببتر الساق .

ورفض دوايت ، وفضل الموت على ذلك ، وأنذر الطبيب الأسرة بأنه كلما طال الانتظار زاد طول القطعة التى ستبتر من الساق ، واذا وصل السم الى عظام الحوض كان معنى ذلك الموت المحقق .

ولم يستطع والداه أن يقررا شيئا ، وبدأت الحمى تنتابه ، وخشى أن تجرى له العملية فى غيبوبته ، فاستدعى أخاه ادجار وأمره بأن يقف الى جواره وأن يحول بينه وبين اجراء البتر . وبقى ادجار الى جوار أخيه يومين وليلتين ، وأقبلت الأزمة واشتدت ، ثم مرت بمعجزة ، وقد عاونه على سرعة الشفاء قوته البدنية الخارقة .

فضل الموت على أن يقضى طول حياته يقاسى من عاهته . وكان ذلك خلقه دواما ، يفضل الموت على الهوان .

وكانت أبلين نهـاية الخط الحديدى شيسهولم ، وكان بها سوق الأبقار ومجازرها ، فكان يفد اليها رعاة البقر ، وجيوبهم ممتلئة بالمال ، فيلعبون الميسر ، ويتشاجرون ويتبادلون اطلاق الرصاص . وقد قام بعض أبنـاء أبلين بفرض القانون ورعاية النظام ، وقد اشتهر من بينهم ويلد بيـل هيكوك ، فقد كان حازما سريع الرماية .

وقد ذاع صيت هيكوك وبيـلى ذاكيد وآخرين من أبطال الحرب الأهلية فى الغـرب بين فتيـان أبلين ، وتركوا أثرا فى أخلاقهم . وقد تأثر دوايت ايزنهاور ورفقاؤه بهؤلاء الرجال ، حتى انهم شبوا يفضلون قراءة روايات المغامرة .

ويمتاز سكان الحدود بسرعة الخاطر ، فغالبا ما ينقذ حياتهم قرار سريع يتخذونه ، لذلك شب دوايت سريع الخاطر ، يقرر — فى مثل لمح البصر — ما ينبغى عليه أن يفعله اذا وجد نفسه أمام الخطر وجها لوجه .

وهم فرديون ، وعلى قـدر ثقتهم بأنفسهم يستمرون فى كفاحهم ، أو يسلمون ، وقد جعلت هذه الفـردية من دوايت ايزنهاور عاشـقا للحرية ، عدوا للدكتاتورية ، سـواء أكانت دكتاتورية فردية أم دكتاتورية جماعية .

وشـب معتمدا على حكمه على الأشـياء ، يحقق غاياته بوسائله ، وما كان رجل تهويم وأحلام ، بل رجل أفعال . وكان متفائلا دائما ، يعتقد أنه يستطيع أن يكون مصيره بنفسه

وطبع بطابع رجال الحدود ، فلم يكن فيلسـوفا ، ولم يكن

ملما بمشاكل البشر ، وكان من حظه أنه لم يشغل رأسه بمشاكل العالم وهو صغير .

وذهب الى مدرسة عليا ، ولعب كرة القدم والبيسبول بحماسة ومهارة ، وأظهر براعة فى الزعامة ، وكان مثال الأمريكى سليم البدن ، وبدت قدرته التنظيمية عند ما عاون فى تشكيل جمعية رياضية ونظم شراء المعدات ، وحافظ على تلك الجمعية رغم معارضة السلطات فى المدرسة العليا .

لم يكن طالبا ممتازا حتى ذلك الوقت ، وكان متفوقا فى اللغة الانجليزية ، يستطيع أن يعبر عن آرائه وما يدور فى خلده فى يسر ، كتابة والقاء . ودلت سجلاته فى المدرسة على أنه يستطيع أن يكون طالبا ممتازا لو عكف على دروسه ، ولكنه كان قلما يقبل عليها ، وظهر أنه يمتاز بقدرة عجيبة على امتصاص الحقائق أو المعلومات التى يؤمن بنفعها .

ولما تخرج فى المدرسة العليا عام ١٩٠٩ ، وقف حائرا — برهة — لا يدرى ماذا يفعل . قام بأعمال جسمانية صعبة ، كما كان يعمل بمصنع الألبان ليلا ، ليكسب ما يمكنه من مواصلة دراسته ، ومعاونة أخيه ادجار على الاستمرار فى الدراسة .

وجاءت اللحظة التى سيتقرر فيها مستقبله .. كان أحد أصدقائه يصبو الى الذهاب الى « وست بوينت » ، ولكنه لم يوفق الا الى الالتحاق بأنابوليس ، وطلب من دوايت أن يلتحق بها .

وتقدم دوايت الى «وست بوينت» وأنابوليس ، ولم يعارض

والداه فى ذلك ، على الرغم من أنهما لم يكونا يحبان الحيـاة العسكرية .

وكان عليه أن يجتاز اختبارا قاسيا ، فراح يستعير الكتب ، واستطاع عقله القادر أن يمتص فى أسابيع قليلة معلومات كثيرة ، ودخل الامتحان ونجح ، وكان من سوء حظ صديقه أن دوايت قبل فى « ويست بونيت » .

وكانت أول خطوة فى طريق مجد دوايت ايزنهاور .

— ٥ —

١٤ يونيه ١٩١١ . الشـاب دوايت ايزنهـاور من سهول كنساس ، يقف أمام مبنى « ويست بونيت » يتطلع اليه خافق القلب ، انه أشبه بقلعة على صخرة عالية تطل على نهر الهدسون.

ودخل الكلية الحربية ، وأقسم « أن يطيع أوامر رؤسـائه الضبـاط ، والقوانين والتعليمات الخاصـة بجيوش الولايات المتحـدة » . التحق بالكلية التى كان شعـارها : الواجب ، والشرف ، والوطن .

كان طالبا عاديا فى الكلية ، لم يكن خارق الذكاء ، وما كان بارزا ، وكان ترتيبه عند تخرجه الحادى والستين ، وعدد المتخرجين مائة وأربعة وستين ، ولكنه أبرز كفاية فى القيـادة ، فقد التف

الأصدقاء حوله ، وصار شخصية معروفة محببة منذ أول التحاقه بالكلية .

كان ماهرا فى الألعاب الرياضية ، وكان حبه لكرة القدم يجعله يبذل جهودا فى الملعب أكثر من الجهود التى يبذلها فى غرف الدرس . وفى سنة ١٩١٢ كتب النقاد الرياضيون يتنبئون له بأنه سيكون من النجوم البارزين .

وأصيب فى ركبته اصابة منعته من اللعب ، فراح يقود فرقة الهتافة .

وتخرج الملازم الثانى دوايت ايزنهاور من الكلية الحربية ، وألحق بفرقة المشاة التاسعة عشرة بحصن سام هوستن فى سان انطونيو بتكساس .

كان ذلك فى عام ١٩١٥ ، وكانت الجيوش تحارب منذ سنة فى أوروبا ، فى تلك الحرب التى سميت فيما بعد بالحرب العالمية الأولى ، وكانت المتاعب مع المكسيك فى الوطن على وشك أن تنفجر ، فراح الملازم الثانى يطبق فى الحصن ما تعلمه فى الكلية .

وقابل فى الحصن فتاة جميلة من دنفر ، انها مامى دود ، اعتاد والداها أن يمضيا الشتاء فى سان انطونيو ، وكان الضباط يفكرون فيها كثيرا ويدعونها للرقص .

قرر دوايت أن يفوز بها ، فاندمج فى دائرة أسرة دود . أحب أسرة دود ، وأحبته الأسرة . وهام دوايت بمامى وشغفت مامى بدوايت حبا . وفى اليوم الذى ارتقى فيه دوايت الى رتبة ملازم أول ، تم عقد قرانهما .

وفى مارس عام ١٩١٨ عين قائدا لمعسكر كولت ، وكان مركزا للتدريب على استخدام الدبابات فى جيتسبرج بينسلفانيا .

وسر الكابتن أيزنهاور بذلك التعيين ، فقد كان من أكثر المتحمسين للدبابات ، وكان يرى فيها الضربة القاضية للحرب الأوروبية . وظهرت عبقريته فى التنظيم فى معسكر كولت ، حتى ان ما قام به لفت نظر رؤسائه العسكريين اليه .

كان على رأس ستة آلاف رجل ، ولم تكن الاستعدادات كافية لمثل ذلك العدد ، ولم يكن هناك عدد كاف من الدبابات لتدريبهم ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان هذا المعسكر من أكثر المعسكرات كفاية . وقد ظهرت آثار مجهوداته فى المعارك الأخيرة للحرب العالمية الأولى .

ورقى ايزنهاور الى رتبة ماجور ، ثم الى رتبة بكباشى وقتى ، ومنح بعد عشر سنوات وسام الخدمة الممتازة على ما أداه من خدمات فى معسكر كولت .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد حز فى نفسه أن يرى رفقاء الكلية يحاربون فى ميادين أوروبا ، بينا هو فى معسكره ، فطلب من القيادة أن ترسله الى ميادين القتال ، ولكن القيادة رفضت ، فقد كان من الخطأ أن ينقل من العمل الذى كان يؤديه على أكمل وجه .

وتغيرت الأوضاع ، وصدرت اليه الأوامر بالذهاب الى أوروبا على رأس وحدة من الدبابات ، ولكن القتال كان قد

توقف فى ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ ، ولم يعد هناك حاجة لارسال وحدات جديدة ، فبقى آيزنهاور فى معسكره .

— ٦ —

وضعت الحرب أوزارها ، وفتح أيزنهاور منزله لأصدقائه الكثيرين ، فصار المنزل نابضا بالحياة الاجتماعية ، وكان البريجادير جنرال فوكس كونر من المترددين على منزل أيزنهاور؛ كان من أقدر ضباط الجيش الأمريكى ، يمتاز بنظرة ثاقبة للأمور ، وكان ملما بالتاريخ ، فكان من رأيه أن الحرب العالمية الأولى ان هى الا بداية فى سلسلة المصادمات العالمية . وقد أثرت أفكاره كثيرا فى أيزنهاور ، حتى جعلته يتأهب للأحداث المقبلة ، ويظل فى الجيش يعد نفسه ليكون أهلا لتولى مناصب القيادة العليا . وكان كونر يرى فى أيزنهاور — اخصائى الدبابات الشاب — الصفات العسكرية التى لا بد أن يتحلى بها القادة العسكريون . تلك الصفات التى قد يحتاج اليها الوطن يوما ما .

وصار كونر قائدا لمنطقة قناة بناما ، وكان فى حاجة الى معاون له ذى كفاية ، فكتب الى صديقه الشاب ايزنهاور فى يناير عام ١٩٢٢ يعرض عليه الوظيفة .

وعمل ماجور ايزنهاور فى منطقة قناة بناما حتى عام ١٩٢٤ .

وفى هذه المدة وضعت ماجى ابنها الثانى ، وهناك أتيحت الفرصة له ليقرأ التاريخ الحربى ، وليعد نفسه للمستقبل .

وخدم أيزنهاور بعد بنـــاما فى حصن لوجان وكولورادو ، والتحق بكليـــة أركان الحرب فى عام ١٩٢٥ ، وقد عكف على دروسه بما لم يعهد فيه من قبل ، وكانت ثمرة جهاده أن كان أول دفعته .

وسافر الى فرنســـا ليدرس على الطبيعة ما قرأه فى الكتب ، وقد عرف كثيرا عن أرض فرنسا وطرقها ، ثم عاد الى الولايات المتحدة فى سبتمبر عام ١٩٢٩ .

وظهرت نتائج هذه الزيارة بعد تسعة عشر عاما ، عندما قاد جيوش الحلفاء فى المناطق التى زارها .

وراح يدرس بعـــد ذلك كفاية المصـــانع الأمريكية فى زمن الحرب ، وتعلم مشاكل الصناعة الحربية .

وأقبلت عليه بعـــد ذلك فرصة كتابة تقارير رسمية للجنرال ماك آرثر ، فقد كان ايزنهاور على اتصال دائم بذلك الضـــابط العظيم مدة سنتين ، وقد أعجب ماك آرثر بايزنهاور ، حتى انه عندما عين مستشارا عسكريا للفلبين فى عام ١٩٣٥ ، اختـــار ايزنهاور مساعدا له .

ومكث ايزنهاور فى الفلبين أربع ســـنوات ، عارس خلالها وسائل الدفاع المختلفة عن الجزر. وقد عاون فى تأسيس أكادمية الفلبين العسكرية .

وكان مسئولا عن تنظيم سلاح الفلبين الجوى ، فكان يطير

من جزيرة الى جزيرة ليشرف على الأعمال المختلفة ، لذلك قرر أن يتعلم قيادة الطائرات ، وراح يتلقى الدروس حتى نجح فى أن يصبح طيارا فى سن متقدمة يتعذر فيها تعلم الطيران .

وفى عام ١٩٣٩ صدرت اليه الأوامر بالعودة الى الولايات المتحدة ، وقد قابل تلك الأوامر بارتياح ، كانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت باكتساح هتلر لبولندا ، وقد تركزت العيون على أوروبا ، لا على الشرق الأقصى .

وفى يناير عام ١٩٤٠ وصل الى سان فرنسيسكو ، وخدم فى وظائف كثيرة ، وفى نوفمبر — من نفس العام — عين قائد الفرقة الثالثة . وفى مارس ١٩٤١ عين قائد الجيش التاسع فى فورت لويس بواشنطن ، وراح ينتظر مستقبله .

— ٧ —

المناقشات حول الحرب العالمية الثانية دائرة على أشدها فى أمريكا : فريق يدعو الى الحرب ، وفريق يطلب التريث ، وان كان الجميع يؤيدون انجلترا وفرنسا فى كفاحهما ضد المحور .

وفى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والخمسين ، فى يوم مشرق من أيام جزر الهاواى سقطت أول قنبلة يابانية على سفن أمريكا الراسية فى بيرل هاربور .

كان وزير الحربية كوردل هال فى مكتبه ينتظر رد اليابان على

نداء السلام الأخير الذى بعثه الرئيس روزفلت ، وكان ايزنهاور قد غادر قلعة سـام هوستن فى سان انطونيو ، ليستريح من الأعمال المضنية التى قام بها طوال الأسبوع ، وطلب ألا يقلق راحته أحد .

ولقد أقلقت الأنباء راحته ، وعاد الى قلعته ، وجمع رجاله ، وقال لهم : « حانت الساعة المرتقبة » .

وراح يلقى على الضباط التعليمات الجديدة ، وهو يحسب أن الفرصة قد واتته أخيرا ليقود الجيوش فى المعـارك . لكنه طلب بعد خمسة أيام الى واشنطن ليجلس خلف مكتبه ، فقد عرف عنه أنه « عقل يعمل » ، وأن مهارته كامنة فى تفكيره السليم وسلامة أسلوبه فى الكتابة ، وقدرته على وضع خطة تنفيـذ العمليات الحربية المركبة .

وسافر الى واشنطن ، وقد عزم على أن يقدم اسـتقالته اذا كلف بعمل بعيد عن الميدان . وعلم فى العاصمة أنه سـيكون مساعد رئيس فرقة لوضع الخطط الحربية لهيئة أركان الحرب ، فقبل الوظيفة ، وراح يعمل فى همة ونشاط .

كان يعتقد أن أوروبا هى ميدان الحرب الرئيسى ، وأنهـا ستظل كذلك ما دام هتلر لم يهزم . ان المانيا هى العدو الأول ، ولكن ما كان اعتقاده ليفعل شيئا ، وكان عليه أن يدبر ارسال الامدادات الى الجنرال ماك آرثر من واشنطن .

وراح جنرال مارشال يرقب ايزنهاور فى اهتمام ، ويزن كفاياته

فى دقة ، فوجد فيه رجلا غاية فى الكفاية ، له شخصية قوية فذة ، يتحلى بالصفات اللازمة لقائد عظيم .

كانت الجيوش فى حاجة الى قائد محنك محبوب ، فقد كان الموقف الحربى سيئا ، وكان الظلام الحالك يسود الميادين .. اليابانيون يكتسحون جنوب شرقى آسيا والباسفيك الجنوبى ، وفى روسيا يقرع النازيون أبواب موسكو ، وكان هتلر واثقا من تحطيم الجيش الأحمر فى الربيع ، وبريطانيا واقفة وحدها فى الغرب . ولن تتمكن أمريكا من الاشتراك فى الكفاح قبل شهور .

وفى هذه الفترة الحالكة ، تكون فى واشنطن أول مؤتمر لتقريب وجهات نظر المتحالفين ، جاء ونستون تشرشل وأركان الحرب البريطانيون الى أمريكا ، واجتمعوا بالرئيس روزفلت وواضعى خططه العسكرية ، وتقرر فى هذا المؤتمر العمل على هزيمة المانيا أولا .

واشترك ايزنهاور فى كثير من هذه المؤتمرات التى عقد بعضها فى البيت الأبيض ، وكان يتحدث عن التعاون بين قوات الحلفاء حتى أعجب به الرئيس وونستون تشرشل ، وأحبه الضباط البريطانيون .

وفى منتصف فبراير أعيد تنظيم ادارة الحرب ، وعين ايزنهاور مساعدا لمارشال فيما يختص بخطط الحرب .

ووضع ايزنهاور وزملاؤه أصحاب العقول الحربية خطة

غزو أوروبا ، ونزول القوات الغازية فى نورماندیا ، ووافق الرئيس على الخطة ، ووافقت بريطانيا على أسسها .

وفى مايو عام ١٩٤٢ ، أرسل ايزنهاور الى لندن لتنفيذ الخطة ، وأمضى عشرة أيام فى انجلترا ، وكانت لشخصيته الفذة ، وبداهته وحبه لعمله وتفانيه فيه أفضل الأثر فى الحلفاء البريطانيين .

وعاد ايزنهاور الى واشنطن ، وتقرر فتح الجبهة الثانية فى أوروبا ، ولم يبق الا تعيين القائد . وسأل الجنرال مارشال ، ايزنهاور عمن يوليه قيادة الجيوش المنطلقة الى أوروبا ؟ فرشح ايزنهاور الماجور جنرال ماكنارنى ؛ لأن ماكنارنى كان يرى أن القوات الجوية يمكنها أن تنهى الحرب الأوربية ، ولكن مارشال رفض ذلك الترشيح ، لأنه كان يحتاج الى ماك نارنى القدير فى هيئة أركان الحرب .

وقدم ايزنهاور الى مارشال التعليمات الموضوعة للقائد المنتظر ليقرأها ، ولكن مارشال قال : « قد لا يكون هناك ضرورة لأن أقرأها ، فقد تكون أنت الرجل الذى سيكلف بتنفيذها » .

ثم نظر اليه ، وقال :

ـ متى تستطيع أن تذهب ؟

كان كل ما يحلم به أن يذهب على رأس فيلق فى الحرب الأوروبية ، وما دار بخلده قط أن يذهب على رأس جيش .
ومضت ثلاثة أيام على هذه المحادثة ، وأخبر مارشال ايزنهاور

بأنه قائد الجيش الخارج الى أوروبا ... وفى ٢٣ يونيه طار الى انجلترا ليقوم بأعظم عمل قام به فى حياته .

- ٨ -

أنشأ ايزنهاور قيادة له فى لندن ، فى الوقت الذى أحرزت فيه ألمانيا انتصاراتها الكبرى فى جنوب روسيا ، وكانت تتقدم نحو حقول الزيت فى القوقاز ، وفى الوقت الذى سقطت فيه طبرق فى شمال افريقيا ، وتقدمت قوات المحور تهدد مصر ، وشاعت فيه موجة التشاؤم .

وبدأ أيزنهـاور عمله مع مندوبى دول مختلفين فى المشـارب والأهواء ، مختلفين فى الوسائل والغايات ، وقد أطلقت نكتة تقول: ان أيزنهاور ١/١٢ أمريكى ؛ لأنه لايخضع للولايات المتحدة ، ولكن لمجلس مكون من ١٢ دولة مختلفة .

وكانت هذه النكتة صادقة فى التعبير عن حقيقة الموقف ؛ لم يكن ايزنهاور يعمل لتحقيق مصلحة أمريكية ، ولكنه كان يعمل لتحقيق هدف عالمى ، ألا وهو القضاء على الطغيان ، لقيام عالم أفضـل .

ولم يكن عمله فى قيادته الجديدة عملا سهلا ميسرا ، بل كان عملا معقدا يحتاج الى شخصية فذة للسـير به ؛ فالجيوش التى ستعمل تحت قيادته مختلفة الأجناس : فيها الفرنسى بحساسيته ،

والبريطانى باعتزازه ، والبلجيكى والهولندى . وقد استطاع أيزنهاور بكياسته أن يوفق بين هذه العناصر المختلفة ، المتنافرة أحيانا ، المتباينة دائما ، والمعتز كل منها بجنسيته ، وأن يجعلها كالبنيان المرصوص تقاتل من أجل هدف واحد .

قامت فى وجه أيزنهاور صعوبات فى التموين ، وصعوبات فى التدريب ، وصعوبات فى وضع الخطط ، وقد تغلب على كل تلك الصعاب ، ولكن توفيقه بين العناصر التى تعمل تحت قيادته ، كان أروع أعماله ، وقد دل على أنه دبلوماسى من طراز نادر .

واتضح لروزفلت وتشرشل ضرورة قيام الحلفاء بعمل حربى حاسم فى سنة ١٩٤٣ ، وكان السؤال الذى يبحث عن جواب : « أين يستطيع الحلفاء أن يضربوا ضربتهم بالوسائل التى فى أيديهم ؟ وقد اتفق الحلفاء على أن يكون ذلك فى شمال افريقيا .

كان تشرشل يرقب ايزنهاور فى عناية ، فخرج بنفس النتيجة التى خرج بها مارشال من ستة شهور ، وجد فيه قائدا عظيما يدخر للأحداث الكبار ، ووافق على أن يكون ايزنهاور قائد المغامرة الجديدة .

كان الموقف حرجا ... فرنسيو شمال أفريقيا لا يؤمنون بدى جول الذى انضم الى الحلفاء بعد سقوط فرنسا ، وكان لابد من كسب هؤلاء الفرنسيين ، فبدأت الاتصالات السرية بهم ، وسافر اليهم فى غواصة جنرال كلارك ، واجتمع بهم فى الجزائر .

وطار ايزنهاور الى جبل طارق سرا ليقود العمليات .

وجد أيزنهاور أن الأميرال الفرنسى دارلان ، الموجود فى

الجزائر ، والممثل لحكومة فيشى التى تعاونت مع المحور يمكن استمالته وتعيينه زعيما لفرنسا الحرة . وعرض الفكرة على من حوله ، فاذا بها تقابل بمعارضة شديدة . فدارلان عقت بريطانيا . وعارضت أمريكا وانجلترا الفكرة ، وبدا أن أيزنهاور سيحارب حربا عسكريةوحربا سياسية . وقتل دارلان ، وماتت الاعتراضات بموته .

ونزل أيزنهاور فى شمال افريقيا ، وكان موقفه دقيقا غاية الدقة، كان عليه أن يصدر أوامر الى قواد أعلى منه رتبة ، فقد كان فى شمال افريقيا جنرال الكسندر وجنرال مونتجومرى وتيدر وكانتجهام قواد بريطانيا العظام ، ولكن شخصية أيزنهاور الساحرة تغلبت على ذلك الحرج .. وتمكن أيزنهاور بدبلوماسيته أن ينجح فى مهمته ، وألا يجرح شعور هؤلاء القواد الكبار .

ودارت الحرب فى شمال أفريقيا ، وهزم روميل ، ونزل أيزنهاور فى صقلية ، ثم ضيق الحصار على ايطاليا حتى سلمت ، وتدفق الرجال والامدادات عبر الأطلنطى من أمريكا .

وجاء أوان فتح الجبهة الأوروبية ، واقتربت سنة ١٩٤٣ من نهايتها ، وعين الجنرال أيزنهاور قائداً لقوات الحلفاء فى الغرب .

وأقبل اليوم الرهيب ، اليوم الذى ستنطلق فيه قوات الحلفاء الى نورماندى : لفتح الجبهة التى سمع الناس عنها طويلا ، اليوم الذى سيتقرر فيه مصير الأمم المتحالفة .

واقتربت السفن من الساحل الأوروبى تحمل الأمل المرتقب ،

ومرت أسابيع شاهدت شجاعة نادرة ، وصبرا وعزما ، واستقرت القوات المتحالفة على الشاطىء ، وبدأت فى تقدمها المظفر .

تحررت فرنسا ، وبدأ ظل النازى يتقلص عن بلجيكا ، ودك الريخ الذى كان هتلر يعتقد أنه سيبقى شامخا لألف سنة ، والتقى الأمريكيون بالروس فى الألب ، وجن هتلر وانتحر هملر ، وسلم الألمان لقائد الجيوش المتحالفة بلا قيد ولا شرط فى مبنى مدرسة فى الريمز .

ورفع هذا النصر منزلة أيزنهاور ، وجلب له الشرف العظيم ، حتى ان مارشال زوكوف ، أعظم قائد روسى ، قدم اليه نوط النصر الروسى ، الذى لم يمنح لأجنبى من قبل ، وكان دور أيزنهاور فى هذا الغزو عظيما ، حتى ان أحد الضباط قال :

« لولا أيزنهاور ، لما كان هناك جبهة ثانية » .

— ٩ —

وخطب فى روسيا ، وخطب فى لندن ، وأقيمت له حفلات تكريم أينما حل ، ثم جاء اليوم الذى يعود فيه الى بلاده ، تحيط به أكاليل النصر .

وتأهبت أمريكا لاستقبال ابنها المظفر ، وخرجت واشنطن كلها لاستقباله ، وذهب الى الكونجرس وألقى خطبة على النواب والشيوخ الذين قابلوه بحماسة بالغة .

وركب فى نيويورك فى سيارة مكشوفة ، وانطلق أميالا بين صفين من الناس ؛ الذين راحوا يهتفون له ... كان استقبالا حارا ليس له نظير . واستقبل فى ابلين استقبالا عسكريا فاخرا ، وكان الناس مزهوين بابن مدينتهم الذى أحرز النصر للحلفاء .

وبدأ الناس يتحدثون عن أيزنهاور والرئاسة ، وسأله صحفى عما اذا كان ينوى ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة ، فقال له أيزنهاور فى عزم : « انه ليس له أى طموح سياسى » .

وعقد مؤتمر بوتسدام فى يوليو وأغسطس من عام ١٩٤٥ ... كان أيزنهاور الى جوار الرئيس ترومان ، وراح ترومان يحدثه قائلا :

« ما من شىء تريده يا جنرال الا وأنا على استعداد لمعاونتك على الحصول عليه ، حتى الرئاسة فى عام ١٩٤٨ » .

ودهش ايزنهاور ، وقال وهو يضحك :

« اننى لاأدرى ، أيها الرئيس ، من يكون خلفك فى الرئاسة ، ولكنه لن يكون أنا ! ! » .

كان جاداً فى قوله ، ولكن كثرت عليه العروض ، وأخذت فى التكاثر كلما دنا موعد انتخاب الرئاسة ، ولكنه كان يقول :

« أنا جندى ، وواجبى قيادة الجيش » .

قال انه رجل عسكرى ، وراح أناس يناقشون هذا القول ، ويبرهنون على أنه لا يوجد شىء اسمه العقلية العسكرية ، فالرجال العسكريون الذين كانوا رؤساء للولايات المتحدة قد

نجحوا فى سياستهم أو أخفقوا فيها تبعا لمؤهلاتهم فى الزعامة ، لا للصفات التى اكتسبوها من حياتهم العسكرية .

قد يكون هذا القول صحيحا بالنسبة لبعض القواد العسكريين الأوائل الذين صاروا رؤساء للولايات المتحدة ، لأنهم كانوا على وجه العموم عسكريين غير اخصائيين ، كانوا زعماء طبيعيين ، وصاروا قوادا تحت ضغط الظروف فى زمن حرب ديمقراطية ، وغالبا ما كانوا قوادا على متطوعين .

ولكن على مر الزمن أصبح هناك عقلية عسكرية ، من طول التدريب والتخصص ، وانها عقول مدبرة مثمرة فى حقلها المخصوص ، ولكنها عقول تخضع للنظام والأوامر ، تميل الى الصرامة والضيق أحيانا . انها صالحة لعملها .

ولكن هذه الصفات كانت محدودة فى الجنرال أيزنهاور ، فقد بدا فى معاملاته مع قوات الحلفاء أنه دبلوماسى ، وقائد سياسى ليس له نظير ، وعلى الرغم من ذلك أصر على أنه قائد عسكرى وحسب .

وعلى الرغم من كل ذلك ظل الناس يتحدثون عن أيزنهاور والرئاسة ، ويقرنون بينهما ، وظهر فى عام ١٩٤٧ ، أنه يستطيع أن يحظى بترشيح الديمقراطيين والجمهوريين .

وكان شيئا عجيبا فى تاريخ الولايات المتحدة . الناس يطلبون رجلا لم يظهر أية براعة فى السياسة أو الاقتصاد أو المشكلات الاجتماعية ، ولكنهم يصرون على ترشيحه . كانوا يحسون حاجتهم الى رئيس من نوعه ، كانوا يثقون فيه .

وظل على رفضه ، وقال : « ان السياسة حرفة تحتاج الى خبرة طويلة ، وهى من أقبل الحرف ، وهو لا يصلح لهذه الحرفة . »

كان يريد أن يكون على رأس معهد ، حيث يتمكن من أن يثقف شباب أمريكا ويعهدهم لمعترك الحياة ، وقد تحققت رغبته ، فقد صار عميدا لجامعة كولومبيا .

— ١٠ —

وحدثت أحداث عظيمة فى العالم قبل انتخاب الرئاسة عام ١٩٥٢ ، وقعت حوادث خلف الستار الحديدى جعلت الأمريكيين يلحون على أيزنهاور لكى يقبل الترشيح للرئاسة ، وألا يصر على الرفض كما فعل أول مرة .

دارت الحرب فى كوريا بين الشماليين الشيوعيين والجنوبيين ، ورأت أمريكا أن تشد أزر الرجال الأحرار فى آسيا ، وأن تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ضد الشيوعيين .

وكاد التقارب بين الدول الأوربية أن يؤتى ثمره ، وأن تتكون جبهة عسكرية متحدة للدفاع عن القارة ، وأن يقوم بينها تعاون اقتصادى ، وأن يتحقق حلم أوروبا القوية المتحدة .

كانت الأحداث كلها تشير الى أيزنهاور عميد جامعة كولومبيا ، وقبل دوايت أخيرا أن ينزل على رغبة الشعب ، وأن يقبل الترشيح .

ورشح عن الحزب الجمهورى ، ونزل الى معركة جديدة فى الحياة ،

معركة تختلف عن جميع المعارك التى خاض غمارها ، حتى تلك التى حقق النصر فيها للحلفاء .

ورشح الديمقراطيون ستيفنسون ، ولم يصمد ستيفنسون طويلا أمام شخصية أيزنهاور الجبارة المحبوبة ، فقد ظهر بوضوح أن أيزنهاور هو رئيس الولايات المتحدة المقبل .

وانتخب أيزنهاور رئيسا للولايات المتحدة ، وطار الى كوريا ، وراح يعمل على تأمين السلام للعالم ، ويضمن الحرية لجميع البشر ، ويترك للناس حرية اختيار شكل الحكومة التى يسلمون لها قيادهم .

ورأى تسابق الدول فى التسليح ، وسمع انفجارات القنابل الذرية المدمرة التى تنفجر هنا وهناك ، فى تجارب تجرى ، فأشفق على الحضارة ، وخشى أن يساء استعمالها فيكون الخراب والدمار .

عاش جنديا طوال حياته ، ولكنه ظل يؤمن بالسلام ، انه ليرى بشاعة الحروب بعين خياله ، أنين ودماء وأرامل وثكالى ، وخراب ودمار ، وشقاء للبشرية جمعاء .

وانه ليذكر الهلع الأكبر الذى عم الناس يوم ألقيت أول قنبلة ذرية على هيروشيما ، وذلك الفناء الذى ساد المدينة المنكوبة ، وما كانت القنبلة الذرية قد وصلت الى ماوصلت اليه الآن ، وما كانت القنابل الهيدروجينية قد اخترعت بعد .

ان قيام حرب أخرى معناه تقويض الحضارة ، والعودة بالانسانية الى عصورها البدائية الأولى ، وان من يقدح زناد

هذه الحرب لهو عدو البشرية الأول ، وما كان أيزنهاور ـ رجل السلام ، وان ارتدى الثياب العسكرية ـ ليقبل أن تمحق الحضارة من الأرض ، وأن تباد البشرية ، وهو الذى حارب من أجل رفاهية الناس وضمان حرياتهم ، لذلك كرس حياته للعمل على تدعيم السلام ، ونشر ألويته .

وفى ديسمبر عام ١٩٥٣ ، ألقى خطابا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، اقترح فيه على الدول الكبرى أن تدخل فى مباحثات، تهدف الى انشاء بنك للمواد الذرية وغيرها من المواد الشديدة الانفجار ، تتيح لجميع الأمم ـ صغيرها وكبيرها ـ أن تفيد من الأبحاث التى تجرى على هذه المواد ، وأن تساهم فى السير بها قدما تحت اشراف الأمم المتحدة .

وقد قال :

« ان الولايات المتحدة ترمى الى البناء لا الهدم ، والى الاتفاق بين الأمم لا الحرب . . انها ترغب فى العيش فى ظل الحرية ، على ثقة من أن كافة الشعوب الأخرى تتمتع ـ على قدم المساواة ـ بحقها فى اختيار أسلوب الحياة الذى يحلو لها .

ان الولايات المتحدة تعلم انه اذا أمكن وقف بناء التسلح الذرى المخيف ، فان هذا السلاح الأكبر من أسلحة الدمار ، يمكن أن يستحيل الى نعمة كبرى تفيد منها البشرية جمعاء .

وتعلم الولايات المتحدة أن القوى السلمية المستمدة من الطاقة الذرية ليست حلما من الأحلام . وأن هذا الاحتمال قد ثبت الآن بالفعل ، ولو أتيح لسائر علماء العالم ومهندسيه الكميات الكافية

من المواد الذرية ، كى يجربوا نظرياتهم ويحققوها ، فمنذا يشك عندئذ فى امكان الاتجاه بهذه الطاقة الى استخدامها على أساس اقتصادى عالمى نافع ؟ ...

... وان الولايات المتحدة لتقطع على نفسها - أمامكم وأمام العالم أجمع - عهدا بأن يكون رائدها المساعدة على حل المأساة الذرية المخيفة ، وأن تكرس قلبها وفكرها للوصول الى الوسيلة التى تحول دون استخدام الانسان هذا الاختراع المعجز فى فنائه ، ويكرسه فى سبيل حياته . »

ووقف أيزنهاور فى ثيابه العسكرية ، يحمى السلام ، ويدعو له !

— ١١ —

وفى عام ١٩٥٦ ، وقف أيزنهاور وقفته المشهودة ، عندما غزت القوات البريطانية الفرنسية الاسرائيلية الأراضى المصرية ، فى شهر نوفمبر من ذلك العام ، فقد استنكر ذلك العدوان وقاومه فى داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وأصر على خروج القوات المعتدية من مصر .

فأثبت أيزنهاور - بذلك - أن الولايات المتحدة لا تقر العدوان ، حتى لو صدر من حليفاتها ... وبفضل ذلك الموقف الرائع ، أمكن تجنب وقوع حرب عالمية ...

نصوص الوثائق الواردة ذكرها في الكتاب

وثيقة إعلان استقلال الولايات المتحدة

٤ يولية ١٧٧٦

حين تقضى الضرورة فى سير الأحداث البشرية ، أن يقوم أحد الشعوب بحل الروابط السياسية التى تربطه بشعب آخر ، وأن يتبوأ بين دول الأرض المكان المنفصل المتساوى الذى تخوله اياه نواميس الطبيعة وسنة الله ، حينئذ يقتضى احترام آراء البشرية أن يعلن هذا الشعب الأسباب التى تحمله على الانفصال .

وفيما يلى حقائق واضحة من نفسها : ان الناس جميعا خلقوا متساوين ، وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا تؤخذ منهم . وأن من بين هذه الحقوق الحياة والحرية والبحث عن السعادة . ولكفالة هذه الحقوق اقيمت الحكومات بين الناس ، مستمدة قوتها العادلة من رضا المحكومين . وانه متى أصبح أى نوع من الحكومة هادما لهذه الغايات ، كان من حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها ، وأن ينشىء حكومة جديدة تقوم على أساس من المبادىء ، وتنظم سلطاتها ، بالطريقة التى يرى الشعب انها أكثر احتمالا لتحقيق امنه وسعادته وستملى الحكمة الا تتغير الحكومات التى استقرت منذ زمن طويل لأسباب هينة عابرة . وعلى هذا فقد دلت جميع التجارب ، على أن البشر أقدر على تحمل الآلام ــ عند ما تكون الشرور محتملة ــ منهم على تقويم انفســهم بالغاء الأوضاع التى اعتادوها . ولكن عندما تقوم سلسلة من الاساءات والاغتصابات التى تسير نحو هدف واحد لا يتغير ، دليلا على خطة لاخضاعهم لعبودية مطلقة .

يكون من حقهم ، ويكون واجبا عليهم ، أن يخلعوا مثل هذه الحكومة ، وأن يقيموا حراسا جددا على امنهم فى المستقبل . هذا هو ماتحملته المستعمرات فى صبر . وهذه هى الآن الضرورة التى ترغمهم على تغيير الاساليب القديمة لحكومتهم . فان تاريخ ملك بريطانيا العظمى الحالى ، تاريخ حافل بالأضرار والاغتصابات المتكررة ، هدفها المباشر اقرار طغيان مطلق على هذه الولايات . وللتدليل على هذا نطرح الحقائق ذاتها على العالم النزيه :

فهو قد رفض الموافقة على القوانين ، اصح الأمور والزمها للخير العام . وحرم على حكامه اقرار القوانين ذات الأهمية العاجلة الا بعد الحصول على موافقته . وبعد الحصول على هذه الموافقة اهمل مراعاتها كل الاهمال .

وهو قد رفض اقرار قوانين اخرى لاسكان أعداد كبيرة من الناس الا اذا تخلى هؤلاء الناس عن حق التمثيل فى السلطة التشريعية ، ذلك الحق الذى لا يقدر بثمن فى نظرهم ، والذى يعتبر خطيرا فى نظر الطغاة وحدهم .

وهو قد دعا الى عقد هيئات تشريعية فى اماكن غير عادية ، وغير مريحة ، وبعيدة عن الأماكن التى تحفظ فيها سجلاتها العامة ، لا لشىء الا لارهاقهم طبقا للاجراءات التى اتخذها .

وهو قد قام بحل المجالس النيابية مرارا ، لأنها عارضت فى رجولة حازمة ، اعتداءاته على حقوق الشعب .

وهو قد رفض بعد زمن طويل من هذا الحل ، اجراء انتخابات لمجالس اخرى ، وبذلك عاد حق ممارسة السلطات التشريعية — وهى عصية على الفناء — الى سواد الشعب . بينما بقيت الولايات عرضة لكل اخطار الغزو من الخارج والقلاقل فى الداخل .

وهو قد سعى الى منع اسكان هذه الولايات ، وذلك بعرقلة

قوانين تجنس الأجانب ، ورفض اقرار قوانين اخرى لتشجيع مهاجرتهم الى هنا ، ورفض شروط اخرى على تملك اراض جديدة .

وهو قد عرقل سير العدالة برفضه الموافقة على القوانين الخاصة باقرار السلطات القضائية .

وهو قد جعل القضاة خاضعين لارادته وحده فيما يتعلق بمدة خدمتهم ومقدار مرتباتهم وطريقة دفعها .

وهو قد انشأ عديدا من الادارات الجديدة ، واوفد الى هنا حشودا من الموظفين لمضايقة شعبنا والتهام زاده .

وهو قد جعل بيننا فى أوقات السلم جيوشا دائمة دون موافقة هيئاتنا التشريعية .

وهو قد جعل السلطة العسكرية فوق السلطة المدنية ومستقلة عنها .

وهو قد اشترك مع آخرين فى اخضاعنا لتشريع غريب عن دستورنا ، ولا تعترف به قوانيننا ، كما وافق على قوانين التشريع المزعوم : لاقامة اعداد كبيرة من الجنود المسلحين بيننا :لحمايتهم — باجراء محاكمات مزيفة — من العقاب على اية جريمة قتل يرتكبونها بين سكان هذه الولايات : لقطع تجارتنا مع جميع انحاء العالم : لفرض ضرائب علينا بدون موافقتنا ، لتجريدنا فى احوال كثيرة من مزايا المحاكمة بوساطة المحلفين : لترحيلنا الى ما وراء البحار للمحاكمة بتهم مزعومة : لالغاء القوانين الانجليزية الحرة فى احدى المقاطعات المجاورة ، منشئا فيها حكومة تعسفية وموسعا حدودها لكى يجعل منها على الفور مثلا وأداة مناسبة لادخال الحكم المطلق نفسه الى هذه المستعمرات : لاستيلائه على مواثيقنا ، والغائه أثمن قوانيننا وتغييره أوضاع حكوماتنا تغييرا جوهريا : لتعطيله هيئاتنا التشريعية واعلانه نفسه صاحب السلطة فى التشريع لنا فى جميع الأحوال مهما تكن .

وهو قدتنازل عن الحكم هنا باعلانه خروجنا على حمايته وشنه الحرب ضدنا .

وهو قدنهب بحارنا ، وسلب شواطئنا ، واحرق مدننا ، وقضى على حياة شعبنا .

وهو يقوم الآن بنقل جيوش كبيرة من المرتزقة الأجانب ، ليكملوا أعمال القتل والخراب والطغيان ، التى بدأت بالفعل فى ظروف من القسوة والنذالة قل ان كان لها مثيل فى اكثر العصور ، ولاتليق ابدا براس امة متمدنة .

لقد ارغم مواطنينا الذين أخذوا اسرى فى اعالى البحار على حمل السلاح ضد بلدهم ، ليقتلوا اصدقاءهم واخوانهم ، او لكى يسقطوا هم صرعى بأيديهم .

وهو قد أثار بيننا فتنا داخلية ، وسعى الى أن يطلق على سكان حدودنا ، المتوحشين الهنود الذين لا رحمة لهم ، والمعروف عن سجلهم الحربى انه موصوم بالقضاء على الناس من جميع الأعمار والأجناس وفى كل الظروف . وفى كل مرحلة من هذه المظالم تقدمنا بالتماس فى اشد حالات التواضع ، لتصحيح هذه الأوضاع . ولم يكن الجواب على التماساتنا المتكررة الا اضرارا متكررة . فان اميرا تتميز اخلاقه بكل ما يحدد اوصاف طاغية لايصلح حاكما لشعب حر . كما أننا لم نقصر فى لفت نظر اخواننا البريطانيين . فقد حذرناهم من آن لآخر ، من المحاولات التى تبذلها هيئتهم التشريعية ، لتفرض علينا تشريعا لا يمكن الموافقة عليه . وذكرناهم بظروف هجرتنا واستقرارنا هنا . وناشدنا عدالتهم ومروءتهم الفطريتين ، واستحلفناهم بأواصر القربى المشتركة بيننا أن يستنكروا هذه الاغتصابات التى ستفصم لا محالة اتصالاتنا ومراسلاتنا . فاصموا هم كذلك آذانهم عن صوت العدالة والقربى . فعلينا اذن أن نخضع للضرورة التى

تقضى باعلان انفصالنا وان نعدهم ـ كما نعد سائر البشر ـ أعداء لنا عند الحرب ، وعند السلم أصدقاء .

بناء على هذا ، فاننا نحن ممثلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مؤتمر عام ، مجتمعين ، سائلين الله القاضى الأعلى سداد نياتنا ، نعلن وننشر باسم شعب هذه المستعمرات الطيب وبتخويل منه ؛ أن المستعمرات المتحدة هى ، ومن حقها ان تكون ، ولايات حرة مستقلة ، وانها طليقة من كل تبعية للتاج البريطانى ، وأن كل صلة سياسية بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى هى ، وينبغى ان تكون ، منحلة تماما . وان لها ، بوصفها ولايات حرة مستقلة ، كامل السلطة فى اعلان الحرب ، وابرام الصلح ، وعقد المعاهدات ، واقامة التجارة ، والقيام بكل الأعمال والأمور التى يحق للدول المستقلة أن تقوم بها . وفى سبيل تأييد هذا الاعلان ، مع اتكالنا الوثيق على رعاية العناية الالهية ، نتبادل فيما بيننا العهد ببذل ارواحنا ، وأموالنا ، وشرفنا المقدس .

دستور الولايات المتحدة الأمريكية

١٧ سبتمبر ١٧٨٧

نحن ، شعب الولايات المتحدة ، رغبة منا فى تأليف اتحاد اكمل، وفى اقامة العدالة ، وكفالة الطمانينة الداخلية ، وتهيئة وسائل الدفاع المشتركة ، ورعاية الخير العام ، وضمان بركات الحرية ، لنا ولذريتنا ، رسمنا وقررنا هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية .

المادة الأولى

الفقرة الأولى : جميع السلطات التشريعية الممنوحة هنا ، تخول لكونجرس للولايات المتحدة يتألف من مجلس للشيوخ وآخر للنواب .

الفقرة الثانية : يتألف مجلس النواب من اعضاء ينتخبون كل عامين من قبل أهالى الولايات المختلفة ، ويتمتع الناخبون فى كل ولاية بالمؤهلات التى يجب توافرها فى ناخبى اكثر الفروع التشريعية عددا .

ولا يصبح أحد نائبا ، مالم يكن قد بلغ سن الخامسة والعشرين، وما لم يكن مواطنا بالولايات المتحدة سبع سنين ، وما لم يكن ، عند انتخابه ، ساكنا فى الولاية التى ينتخب فيها . وعدد النواب والضرائب المباشرة يوزع بين الولايات المختلفة التى قد تنضم الى الاتحاد بنسبة عدد سكان كل منها . وسيقدر بأن يضاف الى مجموع عدد السكان الأحرار — ومنهم المرتبطون بالخدمة العسكرية لعدد من السنين مع استثناء الهنود غير الخاضعين للضرائب — ثلاثة اخماس جميع الأشخاص الآخرين . وسيتم الاحصاء الفعلى فى

غضون ثلاث سنين بعد عقد الاجتماع الأول لكونجرس الولايات المتحدة ، ثم فى غضون كل عشر سنوات لاحقة بالكيفية التى يقررها القانون . ولا يزيد عدد النواب على نائب واحد لكل ثلاثين الف نسمة ، ولكن يجب ان يكون لكل ولاية نائب واحد على الأقل ، والى ان يتم مثل هذا الاحصاء ، يحق لولاية نيوهامشير أن تختار ثلاثة نواب ، وولاية ماساتشوستس ثمانية ، وورود آيلند وبروفيدنس بلانتيشنز واحدا ، وكونكتيكت خمسة ، ونيويورك ستة ، ونيوجرسى أربعة ، وبنسلفانيا ثمانية ، وديلاوير واحدا ، وماريلند ستة ، وفرجينيا عشرة ، ونورث كارولينا خمسة ، وساوث كارولينا خمسة ، وجورجيا ثلاثة .

واذا خلا مقعد لنائب من نواب ولاية ما ، تصدر السلطة التنفيذية للولاية اعلانا بالانتخاب لملء هذا الفراغ .

ويختار مجلس النواب رئيسه ، وسائر موظفيه ، وتكون له وحده سلطة المحاكمة البرلمانية .

الفقرة الثالثة : يتألف مجلس الشيوخ الأمريكى من شيخين عن كل ولاية تختارهما هيئتها التشريعية لمدة ست سنين ، ويكون لكل شيخ صوت واحد .

وعقب اجتماع الشيوخ مباشرة بعد الانتخاب الأول ، يقسمون بالتساوى على قدر المستطاع الى ثلاث فئات ، فمقاعد شيوخ الفئة الأولى تخلو من شاغليها بعد مضى العام الثانى ، ومقاعد شيوخ الفئة الثانية تخلو بعد انتهاء السنة الرابعة ، ومقاعد الفئة الثالثة تخلو عقب انتهاء السنة السادسة ، بحيث يمكن انتخاب ثلث الأعضاء كل عامين . واذا خلا مقعد بسبب استقالة او سواها من الأسباب فى اثناء عطلة الهيئة التشريعية لولاية ما ، جاز للسلطات التنفيذية فى الولاية أن تجرى تعيينا مؤقتا ريثما

يعقد الاجتماع التالى للمجلس التشريعى فتملأ هذه المقاعد الشاغرة .

ولا يغدو أحد شيخا ما لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره ، وأمضى تسع سنين مواطنا للولايات المتحدة ، وما لم يكن ، عند انتخابه ، من اهل الولاية التى تختاره . ويكون نائب رئيس الولايات المتحدة رئيسا لمجلس الشيوخ ، ولكن لا صوت له الا اذا تعادلت كفتا المقترعين .

ويختار مجلس الشيوخ موظفيه الآخرين ، كما يختار رئيسا وقتيا يخلف نائب رئيس الجمهورية فى منصبه عند غيابه او عند مباشرته لمهام رئيس الولايات المتحدة .

ولمجلس الشيوخ السلطة الوحيدة للمحاكمة فى جميع الاتهامات الخاصة بعدم الولاء . وعند اجتماعه لهذا الغرض يجب ان يقسم اعضاؤه اليمين او يعطوا كلمة الشرف . وعندما يحاكم رئيس الولايات المتحدة يرأس الجلسة كبير القضاة ، ولا يدان احد بدون موافقة ثلثى الأعضاء الحاضرين .

والأحكام التى تصدر فى الاتهامات الخاصة بعدم الولاء لا ينبغى ان تتجاوز حد الاقصاء عن المنصب ، وتقرير عدم الأهلية لتولى منصب رفيع أو للتمتع بمنصب يقتضى ثقة او يدر ربحا فى الولايات المتحدة ، ولكن الشخص المدان يكون الى جانب ذلك عرضة للاتهام فالمحاكمة فالحكم ثم العقاب طبقا للقانون .

الفقرة الرابعة : مواعيد اجراء انتخابات الشيوخ والنواب ، ومكانها ، وأساليبها ، تضع قواعدها فى كل ولاية هيئتها التشريعية ، ولكن الكونجرس يستطيع فى اى وقت ان يصدر قانونا يعدل هذه النظم ، الا فيما يتعلق بدوائر اختيار الشيوخ .

ويجتمع الكونجرس مرة واحدة على الأقل كل عام ، ويكون

هذا الاجتماع فى يوم الاثنين الأول من شهر ديسمبر ، الا اذا صدر قانون بتعيين يوم آخر .

الفقرة الخامسة : كل من المجلسين صاحب الحكم فى انتخابات اعضائه ونتائجها وفى مؤهلاتهم . والاغلبية فى كل من المجلسين تعد النصاب القانونى الذى يمكن المجلس من مباشرة عمله . ولكن ، اذا كان عدد الحاضرين صغيرا ، فقد يرجأ الاجتماع يوما بعد يوم ، وقد يخول كل من المجلسين حق اكراه الأعضاء المتغيبين على الحضور متوسلا بالوسيلة اللازمة ، ومتخذا العقوبات التى يراها .

ولكل من المجلسين أن يقرر لائحة اجراءاته ، ويقرر معاقبة اعضائه على سلوكهم غير النظامى ، وله عند الظفر بأغلبية الثلثين أن يقصى عضوا عن عضويته .

ويحتفظ كل من المجلسين بمضابط مناقشاته ، على أن تنشر من حين الى آخر باستثناء الأجزاء التى يرى انها تقتضى الكتمان . كما أن موافقة اعضاء كل من المجلسين أو معارضتهم فى أى مسألة يمكن بناء على رغبة خمس عدد الحاضرين ادراجها فى المضابط .

لا يحق لمجلس من المجلسين فى اثناء دورة الكونجرس أن يعمد بدون موافقة المجلس الآخر الى ارجاء جلساته الى ما يزيد على ثلاثة ايام ، او الى الانتقال الى مكان عدا الذى يلتئم فيه المجلسان .

الفقرة السادسة : يتقاضى الشيوخ والنواب مكافأة عن خدماتهم يؤكدها القانون وتدفع لهم من خزانة الولايات المتحدة . ولهم فى جميع الأحوال ــ الا فى حالات الخيانة والجنايات الكبرى وخرق السلام ــ أن يتمتعوا بامتياز عدم اعتقالهم سواء فى أثناء حضورهم اجتماعات المجلس الذى يمثلون فيه ، او فى الذهاب الى المجلس

والعودة منه ، كما أن كل خطبة او مناقشـــة فى اى من المجلسـين لا يسالون عنها فى اى مكان آخر .

لا يحل لشيخ أو نائب فى الفترة التى انتخب لهـا ان يعين فى منصب مدنى خاضع لسلطان الولايات المتحدة يكون قد انشىء ، او يكون مرتب ذلك المنصب قد زيد ، فى ذلك الوقت . كما انه لا يحل لأحد يشغل منصبا خاضعا لسلطان الولايات المتحدة ان يكون عضوا فى أى من المجلسين ما دام شاغلا لمنصبه .

الفقرة السابعة : جميع مشروعات القوانين الخاصـة بتحصيل الايراد تصدر من مجلس النواب ، ولكن لمجلس الشيوخ ان يقترح ادخال تعديلات كما فى سائر مشروعات القوانين ، وله ان يوافق على هذه التعديلات .

وكل مشروع قانون يصدق عليه مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، يجب قبل أن يصبح قانونا ان يقدم الى رئيس الولايات المتحدة ، فاذا أقره امضاه ، واذا لم يقره ، اعاده مع اعتراضاته الى المجلس الذى صـدر منه ، وعلى المجلس ان يدرج هـذه الاعتراضات بجملتها فى مضابطه ، ثم يباشر اعادة بحث المشروع ــ واذا حدث بعد اعادة البحث ان ثلثى أعضاء المجلس وافقوا على المشروع ، ارسـل المشروع مع الاعتراضات الى المجلس الآخر حيث يعـاد بحثه ، فاذا أقره ثلثا الأعضـاء أصبح قانونا . ولكن فى جميـع هذه الأحوال يجب ان تتخذ الأصـوات فى كل من المجلسين بلا ونعم ، وتدرج أسماء المؤيدين للمشروع والمعارضين له فى مضابط كل من المجلسين على حدة . واذا لم يعد الرئيس مشروع القانون فى غضـون عشرة أيام من تقـديمه له (مع استثناء أيام الأحد) أصـبح المشروع قانونا كما لو كان امضـاه ، الا اذا حالت عطلة الكونجرس دون هذه الاعادة ، فحينئذ لا يغدو المشروع قانونا .

وكل امر او قرار او اقتراع يقتضى موافقة مجلس الشيوخ ومجلس النواب (باستثناء موضوع ارجاء الجلسات) يجب أن يقدم لرئيس الولايات المتحدة ، ويجب موافقة الرئيس عليه قبل ان يصبح نافذا . اما اذا لم يوافق الرئيس عليه ، وجب اعادة اقراره من جانب ثلثي اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب طبقا للقواعد والقيود الخاصة بمشروعات القوانين .

الفقرة الثامنة : للكونجرس سلطة فرض الضرائب والغرامات والرسوم والمكوس وجبايتها ، وعليه أن يدفع الديون، وأن يتأهب للدفاع العام ولصون المصلحة العامة للولايات المتحدة . ولكن جميع الغرامات والرسوم والمكوس ، يجب أن تكون على نمط واحد فى جميع أنحاء الولايات المتحدة .

وللكونجرس أن يقترض مالا لحساب الولايات المتحدة ، وان ينظم التجارة مع الأمم الأجنبية ، وبين جميع الولايات ومع قبائل الهنود . وأن يضع قاعدة موحدة للتجنس ، وان يسن قوانين منسقة بشأن التفليسات فى جميع انحاء الولايات المتحدة . وان يسك النقود ، ويحدد قيمها وقيم العملات الأجنبية ، ويعين قواعد الموازين والمقاييس .

وأن يسن القوانين لمعاقبة تزوير الأوراق المالية والعملات المتداولة فى الولايات المتحدة . وأن ينشىء مكاتب وطرقا للبريد .

وأن يعمل على ترقية العلوم والفنون النافعة ، بأن يحفظ لآجال معينة جميع حقوق المؤلفين والمخترعين فى مايؤلفونه ويكتشفونه .

وأن ينشىء محاكم تقل فى مرتبتها عن المحكمة العليا .

وأن يحدد جرائم القرصنة والجنايات المرتكبة فى عرض البحر والجرائم الموجهة ضد قوانين الشعوب ، مع المعاقبة عليها .

وأن يشهر الحرب ، ويفوض فى رد الاعتداء على السفن او الأخذ بالثأر ويضع القواعد الخاصة بالاستيلاء فى الأرض وفى البحر .

وان يؤلف الجيوش ويتكفل بها ، ولكن الاعتمادات المالية التى ترصد لهذا الفرض يجب ان لا تزيد فترتها على عامين .

وان ينشىء اسطولا ويتكفل به . وان يضع قواعد لادارة القوات البرية والبحرية وتنظيمها .

وان يدعو المليشيا لتنفيذ قوانين الاتحاد ، وقمع الفتن ورد الغزوات وان يراعى تنظيم وتسليح وتدريب المليشيا ، وادارة اقسامها التى قد تكون عاملة فى خدمة الولايات المتحدة ، مع الاحتفاظ لكل ولاية على حدة بحق تعيين الضباط وتدريب المليشيا طبقا للنظام الذى يضعه الكونجرس .

وان يستأثر وحده بحق التشريع فى جميع الأحوال ، فى منطقة لا تتجاوز مساحتها عشرة اميال مربعة ، قد تتنازل عنها ولايات معينة ، بموافقة الكونجرس ، لتصبح مقرا لحكومة الولايات المتحدة . وان يباشر مثل هذه السلطة على جميع البقاع التى تشترى بموافقة المجلس التشريعى للولاية لكى تقام فى الولاية نفسها الحصون ومخازن السلاح والترسانات واحواض السفن والمنشئات التى تدعو الضرورة اليها .

وان يسن جميع القوانين الضرورية والمناسبة ، لممارسة السلطات السالفة الذكر وجميع السلطات الأخرى التى يخولها هذا الدستور لحكومة الولايات المتحدة أو لأى ادارة او موظف رسمى تابع لها .

الفقرة التاسعة : لا يحظر الكونجرس ، قبل عام الف وثمانمائة وثمانية ، هجرة اشخاص أو وفودهم اذا ارتأت ولاية من الولايات الحالية السماح بذلك ، ولكن يمكن فرض ضريبة على مثل هذه الوفود بحيث لا تزيد القيمة على عشرة دولارات عن الشخص الواحد .

لا يوقف امتياز الاعلام القضائى بالتحقيق قبل السجن الا اذا اقتضى الأمن العام ذلك فى حالات العصيان أو الغزو .

لا يسن قانون للادانة او الاعدام أو التجريد من الحقوق المدنية استنادا الى مخالفات لشرائع سابقة أو مخالفة سابقة لشريعة لاحقة.
لا تفرض ضرائب شخصية او سواها من الضرائب المباشرة الا بنسبة التعداد الذى سلف النص على ضرورة اجرائه .
لا تفرض ضريبة أو وسم على مواد صادرة من ولاية ما .
لا تمنح افضلية ، سواء بنظم تجارية او متعلقة بالدخل ، لميناء ولاية على موانىء ولاية اخرى ، ولا تكره سفينة قاصدة ولاية ، أو قادمة منها على أن تدخل ولاية أخرى او تفرغ حمولتها فيها او تدفع رسما لها .
لاتسحب اموال من الخزانة الا بناء على اعتمادات تصدر بقانون، وينشر من حين الى حين بيان دورى عن حساب الواردات والمصروفات لجميع الأموال العامة .
لا تمنح الولايات المتحدة لقبا من القاب النبلاء ، ولا يحل لأحد يشغل منصبا يدر ربحا او يقتضى ثقة فى الولايات المتحدة ان يقبل هدية او راتبا او منصبا او لقبا من أى نوع كان ، من اى ملك او امير فى دولة اجنبية ، بدون موافقة الكونجرس .

الفقرة العاشرة : لا تشترك ولاية ما فى معاهدة أو حلف أو اتحاد ما . ولا يحل لها ان تفوض بالاعتداء على السفن او بأخذ الثأر ، او ان تسك نقودا أو ان تصدر رخصا مالية ، او ان تتخذ قاعدة لدفع الديون غير قاعدة العملة الذهبية والفضية او ان تجيز مشروعا بالتجريد من الحقوق المدنية واعتبار المحكوم عليه ميتا قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه او قانونا يشمل الماضى او قانونا يسىء الى التزامات العقود ، او أن تمنح لقبا من القاب النبلاء .
لا تفرض ولاية ما بدون موافقة الكونجرس رسوما أو ضرائب على الواردات أو الصادرات ، الا ما كانت الضرورة القصوى تدعو اليه لتنفيذ قوانين التفتيش . والايراد الصافى من جمع الضرائب

او الرسوم التى تفرضها ولاية ما على الواردات او الصادرات يكون لمنفعة خزانة الولايات المتحدة ، وجميع امثال هذه القوانين تكون خاضعة لتعديل الكونجرس واشرافه .

لا تفرض ولاية بدون موافقة الكونجرس ضريبة ما على حمولة السفن او تحتفظ بالجند او بالسفن الحربية فى اثناء السلام ، ولا تعقد اتفاقا او عهدا مع ولاية اخرى او مع دولة اخرى او تشترك فى حرب الا اذا غزيت فعلا او اذا كان هناك خطر ملح لا يسمح بالتاجيل والتسويف .

المادة الثانية

الفقرة الأولى : تخول السلطة التنفيذية لرئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وهو يشغل منصبه مدة اربع سنين ، وينتخب مع نائب الرئيس الذى يختار للمدة عينها طبقا للنظام التالى :

تعين كل ولاية ، بالكيفية التى يشير بها نظامها التشريعى ، عددا من الناخبين معادلا لمجموع عدد الشيوخ والنواب الذين يحق للولاية ان يمثلوها فى الكونجرس ، ولكن لا يعين ناخبا احد من الشيوخ او النواب ــ او من الذين يشغلون مناصب تقتضى الثقة او تدر ربحا فى الولايات المتحدة .

ويجتمع الناخبون فى ولاياتهم الخاصة ، ويقترعون بالاقتراع السرى لانتخاب اثنين يكون أحدهما على الأقل غير ساكن فى الولاية نفسها معهم . وهم يعدون قائمة باسماء جميع الذين اقترع لهم ، وبعدد الأصوات التى ظفر بها كل منهم ، ثم تمضى القائمة بعد التثبت منها ، وترسل مختومة الى مقر حكومة الولايات المتحدة بعنوان رئيس مجلس الشيوخ ، وبمشهد من اعضاء مجلسى الشيوخ والنواب يفض رئيس مجلس الشيوخ جميع القوائم ، ثم يحصى عدد الأصوات . والشخص الذى يظفر باكبر عدد من الأصوات

يصبح رئيس الولايات المتحدة . هذا اذا كان عدد الأصوات أغلبية لعدد جميع الناخبين المعينين . واذا كان هناك غير واحد ظفروا بأغلبية ولهم عدد متعادل من الأصـــوات ، فحينئذ يبادر مجلس النواب الى أن يختار بالاقتراع السرى واحدا منهم رئيسا . واذا لم يظفر أحد بالأغلبية ، يختـــار مجلس النواب الرئيس بالـكيفية عينها ، من الخمســة الفائزين بأكبر عدد من الأصوات فى القـــائمة . ولكن عند اختيار الرئيس ، تؤخذ الأصوات بحسب الولايات على أن يكون لممثلى كل ولاية صوت واحد ، ويتألف النصاب القانونى اللازم لهذا الغـــرض من عضو او من اعضاء عن ثلثى الولايات ، واغلبية جميع الولايات ضرورية للاختيار . وبعد اختيار الرئيس عادة يصبح الشخص الذى يظفر بأكبر عدد من أصوات الناخبين نائبا للرئيس . ولكن اذا اصبح لاثنين أو اكثر عدد متســـاو من الاصـــوات ، تعين على مجلس الشـــيوخ أن يختـــار منهم نائب الرئيس بالاقتراع السرى .

والـــكونجرس ان يقرر موعد الناخبين ، ويعين اليوم الذى فيه يقترعون وهو يوم يجب أن يـــكون واحـــدا فى جميـــع الولايات المتحدة .

ولا يحل لأحد ان يشـــغل منصب الرئيس الا اذا كان مواطنا مولودا فى الولايات المتحدة ، أوكان عند اقرار هذا الدستور مواطنا للبلاد . ولا يحل لأحد أن يشغل هذا المنصب ما لم يكن قد بلغ الخامســة والثلاثين من عمره ، وما لم يكن قد أقام بالولايات المتحدة اربعة عشر عاما .

وفى حالة نقل الرئيس من منصبه أو فى حالة وفاته او استقالته أو عجزه عن النهوض بسلطات منصبه وتبعاته ، ينتقل تصريف هذه الأمور الى نائب الرئيس . وللكونجرس ان يصدر قانونا ينص على الأحوال الخاصة بنقل الرئيس ونائبه أو وفاتهما او استقالتهما

أوعجزهما ، ثم يقرر من من الموظفين يعمل حينذاك رئيسا . ولهذا الموظف أن يتصرف تصرف الرئيس حتى يزول العجز أو ينتخب رئيس آخر .

وللرئيس أن يتقاضى فى مواعيد معينة مكافأة لقاء خدماته لاتزيد ولا تنقص فى أثناء الفترة التى ينتخب لها ، ولايتلقى فى أثناء هذه الفترة مرتبا آخر من الولايات المتحدة أو من أية ولاية من الولايات .

وقبل أن يشرع فى تقلد منصبه ، يجب عليه ان يقسم القسم التالى : «أقسم جازما اننى سأنفذ باخلاص تبعات منصب رئيس الولايات المتحدة ، وسأعمل غاية جهدى لأصون دستور الولايات المتحدة واحميه واذود عنه » .

الفقرة الثانية : يكون الرئيس قائدا أعلى لجيش الولايات المتحدة وبحريتها ولميليشيا جميع الولايات المتحدة عند دعوتها الى العمل فى خدمة الولايات المتحدة . وله أن يطلب كتابة رأى الموظف الرئيسى فى كل من الادارات التنفيذية فى كل موضوع يتعلق بالمهام الخاصة بادارة كل منهم . وتكون له سلطة تنفيذ الأحكام واصدار عفو عام عن الجرائم المقترفة فى حق الولايات المتحدة الا فى حالات الاتهام بعدم الولاء .

وتكون له السلطة ، مستعينا بمشورة مجلس الشيوخ وموافقته ، فى أن يعقد معاهدات بشرط أن يوافق عليها ثلثا عدد الشيوخ الحاضرين ، وله أن يرشح ، ثم أن يعين ، مستعينا بمشورة مجلس الشيوخ وموافقته ، سفراء ووزراء عموميين آخرين ، وقناصل وقضاة للمحكمة العليا ، وجميع الموظفين الآخرين فى الولايات المتحدة الذين لم ترد فى هذا الدستور نصوص خاصة بتعيينهم ، على ان يقرر ذلك بقانون ، ولكن للكونجرس أن يستعين بقانون على جعل حق تعيين مثل هؤلاء الموظفين المرءوسين مخولا اما

للرئيس وحده اوللمحاكم ، او لمديرى الادارات حسبما يتراءى له .

وتكون للرئيس سلطة شغل جميع المناصب الشاغرة فى أثناء عطلة مجلس الشيوخ بأن يمنح تفويضات تنتهى فى ختام الدورة التالية .

الفقرة الثالثة : للرئيس من وقت لآخر ان يبلغ الكونجرس معلومات عن حالة الاتحاد ويوصيه بأن يبحث الاجراءات التى يراها ضرورية ناجعة . وله فى ظروف استثنائية ان يعقد المجلسين او احدهما ، واذا نشب بينهما خلاف فيما يتعلق بموعد ارجاء الجلسات ، فله أن يرجئها الى الموعد الذى يراه ملائما . وله أن يستقبل السفراء وسواهم من الوزراء العموميين ، وان يراعى تنفيذ القوانين تنفيذا صادقا وان يشمل بتكليفه جميع موظفى الولايات المتحدة .

الفقرة الرابعة : يعزل الرئيس ونائب الرئيس وجميع الموظفين المدنيين للولايات المتحدة من مناصبهم عند اتهامهم وادانتهم بعدم الولاء او الخيانة او الرشوة أو سواها من الجنايات والجنح الخطيرة .

المادة الثالثة

الفقرة الأولى : تودع السلطة القضائية للولايات المتحدة فى محكمة عليا واحدة ، وفى محاكم تقل عنها مرتبة قد يأمر الكونجرس من وقت الى آخر بانشائها . والقضاة ، سواء فى المحكمة العليا ، او فى المحاكم الأخرى ، يشغلون مناصبهم ما داموا حسنى السلوك ، وهم يتقاضون فى مواعيد معينة لقاء خدماتهم مكافآت لا تنقص فى أثناء استمرارهم فى مناصبهم .

الفقرة الثانية : تشمل السلطة القضائية جميع الأحوال المتعلقة بالقانون والعدل الناشئة بمقتضى هذا الدستور ، وقوانين الولايات المتحدة ، والمعاهدات المبرمة او التى ستبرم تحت سلطانها ،

وتشمل كذلك جميع الأحوال المتعلقة بالسفراء والوزراء العموميين الآخرين والقناصل ، وجميع الاحوال الداخلة فى اختصاص قيادة السفن العسكرية والمدنية والمنازعات التى تكون الولايات المتحدة طرفا فيها ، والمنازعات التى تنشب بين ولايتين أو أكثر ، وبين ولاية ومواطنى ولاية أخرى وبين مواطنين لولايات مختلفة ، وبين مواطنين فى نفس الولاية يدعون ملكية اراضى بموجب منح من ولايات مختلفة ، وبين ولاية او مواطنيها وولايات اجنبية او مواطنين اجانب او رعويات اجنبية .

وفى جميع الحالات المتعلقة بالسفراء والوزراء العموميين الآخرين والقناصل والمتعلقة باهل ولاية تعد فريقا فى النزاع ، فان الاختصاص الرئيسى يكون للمحكمة العليا . وفى جميع الأحوال الأخرى التى سلفت الاشارة اليها يكون للمحكمة العليا اختصاص الاستئناف سواء من ناحية القانون او من ناحية الواقع، مع مراعاة ما قد يبديه الكونجرس من استثناءات أو قواعد .

تنظر جميع الجرائم باستثناء حالات الاتهام بعدم الولاء ، امام المحلفين وتجرى مثل هذه المحاكمات فى الولاية التى ارتكبت فيها تلك الجريمة ، اما اذا لم تكن هذه الجريمة قد ارتكبت فى ولاية ما ، فللكونجرس ان يعين المكان أو الأماكن التى تجرى فيها مثل هذه المحاكمة .

الفقرة الثالثة : خيانة الولايات المتحدة تكون بمجرد شن حرب عليها ، أو بالانضمام الى صفوف أعدائها ، أو بتقديم مساعدة أو تسهيلات لهم . ولا يدان أحد بتهمة الخيانة الا بشهادة شاهدين رايا اقتراف هذا الجرم العلنى ، او بناء على اعتراف فى محكمة علنية .

وللكونجرس سلطة اعلان العقاب على الخيانة ، ولكن لا يجوز

الاقتصاص من النسل او الأقارب ، ولا يجوز مصادرة الأملاك أو اسقاط حقوق المتهم الا فى اثناء حياته .

المادة الرابعة

الفقرة الأولى : تثق كل ولاية ثقة تامة وتقدر تقديرا كاملا القوانين العامة والسجلات والاجراءات القضائية لكل ولاية أخرى. وللكونجرس أن يعين بمقتضى القوانين العامة ، الكيفية التى بها يمكن اثبات تلك القوانين والسجلات والاجراءات مع نتائجها .

الفقرة الثانية : يحق لمواطنى كل ولاية ان يتمتعوا بجميع المزايا والحصانات التى يتمتع بها المواطنون فى الولايات الأخرى .

وكل من يتهم فى ولاية ما بالخيانة أو باقتراف جناية كبيرة او جريمة اخرى ، ويفر من وجه العدالة ، ثم يهتدى اليه فى ولاية اخرى ، يجب بناء على طلب السلطة التنفيذية للولاية التى فر منها ، ان يسلم ليحال الى الولاية ذات الاختصاص فى محاسبته على جرمه .

ولا يجوز لشخص ملزم بالخدمة او العمل فى ولاية بمقتضى قوانينها ، أن يعفى ، اذا فر الى ولاية أخرى ، من خدمته أو عمله تطبيقا لقوانين الولاية الأخرى او نظمها . بل يجب تسليمه بناء على طلب الولاية الى الجانب الذى يجب ان يؤدى فيه عمله أو خدمته .

الفقرة الثالثة : يسمح الكونجرس لولاية اخرى بالانضمام الى الاتحاد ، ولكن لا تؤلف او تنشأ ولاية جديدة فى داخل حدود ولاية أخرى ، ولا تؤلف ولاية ما بادماج ولايتين او اكثر ، أو يضم اجزاء من ولايات بدون موافقة المجالس التشريعية للولايات صاحبة الشأن وكذلك موافقة الكونجرس .

وتكون للكونجرس سلطة التصرف فى أراضى الولايات المتحدة والممتلكات الأخرى التابعة لها ، واصدار جميع القواعد الضرورية والنظم الخاصة بصونها ، ولا يفسر نص فى هذا الدستور بكيفية تؤثر فى حقوق الولايات المتحدة او اى ولاية معينة .

الفقرة الرابعة : تضمن الولايات المتحدة لكل ولاية فى هذا الاتحاد نظاما جمهوريا للحكومة ، وتحمى كلا منها من الاعتداء ، وتلجأ عند طلب المجلس التشريعى أو عند طلب السلطة التنفيذية (حين يتعذر عقد المجلس التشريعى) لمقاومة العنف المحلى .

المادة الخامسة

للكونجرس ان يقترح ، كلما رأى ثلثا أعضاء المجلسين ضرورة لذلك، تعديل هذا الدستور، أو ان يدعو بناء على رغبة ثلثى المجالس التشريعية للولايات المختلفة الى عقد مؤتمر لاقتراح تعديلات تصبح فى كلتا الحالتين جزءا قانونيا من هذا الدستور ، من حيث جميع الأهداف والغايات ، عندما توافق عليها المجالس التشريعية لثلاثة أرباع الولايات المختلفة، أو عندما يوافق عليها مؤتمرات عقدت فى ثلاثة أرباع الولايات ، أيا كانت وسيلة التعديل التى يقترحها الكونجرس، بشرط الا يتم قبل عام الف وثمانمائة وثمانية تعديل يؤثر بكيفية ما فى العبارتين الأولى والرابعة من الفقرة التاسعة من المادة الأولى ، ويشترط الا تحرم اية ولاية حقها فى المساواة فى الاقتراع فى مجلس الشيوخ بدون موافقتها .

المادة السادسة

جميع القروض المعقودة أو الارتباطات المبرمة قبل اقرار هذا الدستور تكون سارية على الولايات المتحدة طبقا لهذا الدستور ، وطبقا للاتحاد (كونفدريشن) .

وهذا الدستور ، وقوانين الولايات المتحدة التي ستصدر فيما بعد طبقا له ، وجميع المعاهدات المبرمة او التي ستبرم تحت سلطة الولايات المتحدة ، ستكون القانون الأعلى في البلاد ، وسيكون القضاة في كل ولاية ملزمين بها ، ولا تقوم قائمة لما يرد في دستور اية ولاية من الولايات او في قانون من قوانينها مناقضا لذلك . والشيوخ والنواب الذين سلفت الاشارة اليهم ، واعضاء المجالس التشريعية لمختلف الولايات ، وجميع الموظفين التنفيذيين والقضائيين سواء في الولايات المتحدة او في مختلف الولايات ، سيكونون ملزمين بمقتضى القسم بان يؤيدوا الدستور . ولكن لا يطلب اجراء امتحان ديني ما ، كضرورة لشغل منصب عام او ذي مسئولية في الولايات المتحدة .

المادة السابعة

تكفي موافقة تسع ولايات لاقرار هذا الدستور بين الولايات التي تصدق عليه . وقد تم وضع هذا الدستور بالموافقة الاجماعية للولايات المشتركة في الاجتماع ، في السابع عشر من شهر سبتمبر ، من عام الف وسبعمائة وسبعة وثمانين للميلاد ، وفي السنة الثانية عشرة لاعلان استقلال الولايات المتحدة . وقد مهرنا اسماءنا هنا شاهدين على ذلك .

جورج وشنطن
رئيس الجمهورية
ونائب عن ولاية فرجينيا

تعديلات للدستور الأمريكى

المادة الاولى

لا يصدر الكونجرس قانونا يتعلق بنشأة دين من الاديان ، او يمنع حرية ممارسته ، او يحد من حرية الخطابة او الصحافة او يحد من حرية الناس فى عقد اجتماعات سلمية وفى مطالبة الحكومة بالنصفة من الاجحاف .

المادة الثانية

بما ان من الضرورى لصون امن كل ولاية حرة اعداد مليشيا منظمة تنظيما جيدا ، فان حق الشعب فى حفظ السلاح وحمله يجب الا ينتقص .

المادة الثالثة

لا يحل لجندى فى ايام السلم ان يستقر فى دار بدون موافقة صاحبها ، ولا يحق له ذلك فى زمن الحرب الا بالكيفية التى يعينها القانون .

المادة الرابعة

حق الشعب فى تامين اشخاصه ودياره واوراقه وممتلكاته من كل تفتيش او استيلاء غير معقول ، حق لا ينتهك . ولا يصدر امر باعتقال احد الا اذا كان هناك سبب معقول مؤيدا بالقسم ،

مع اشتراط تعيين المكان الذى يفتش بالضبط والاشخاص او الاشياء التى تضبط .

المادة الخامسة

لا يستجوب احد فى جريمة قتل او غيرها من الجرائم الشائنة الا بشهادة او اتهام من المحلفين الكبار ، باستثناء الاحوال التى ترتكب فيها هذه الجرائم فى القوات البرية او البحرية او المليشيا فى اثناء الخدمة العملية فى حالة الحرب او حالة وجود خطر عام ، ولا يكون احد هدفا لاتهام معين مرتين فى قضية واحدة فتتعرض حياته او جسمه لخطر ، ولا يكره احد فى قضية جنائية على ان يكون شاهدا على نفسه ، او ان يحرم الحياة او الممتلكات بدون تطبيق القانون ، ولا يتم الاستيلاء على ملك خاص لاستعماله فى اغراض عامة بدون تعويض عادل .

المادة السادسة

فى جميع المحاكمات الجنائية ، يتمتع المتهم بحق محاكمته محاكمة سريعة علنية بواسطة محلفين غير متحيزين ينتمون الى الولاية والمنطقة التى اقترفت فيها الجريمة ، ويكون القانون قد سبق تعيين هذه المنطقة ، كما ان له ان يبلغ طبيعة الاتهام وسببه ، وان يواجه الشهود ضده وجها لوجه ، وان يحصل على التسهيلات القانونية الارغامية لاستدعاء الشهود الذين يؤيدونه ، والاستعانة بمحامين للدفاع عنه .

المادة السابعة

فى الدعاوى العامة ، حيث تزيد قيمة المبلغ المتنازع عليه على

عشرين دولارا يحتفظ المحلفين بحق المحاكمة ، ولا يجوز اعادة بحث اية واقعــة بحثها المحلفون فى اى محكمة من محاكم الولايات المتحدة الا طبقا لقواعد القانون العام .

المــادة الثامنة

لا داعى لفرض كفالات مالية مبالغ فيها ، او غرامات مسرفة ، ولا تفرض عقوبات قاسيــة او غير مألوفة .

المــادة التاسعة

ان ذكر بعض حقوق فى الدســـتور لا يعنى انكار حقوق اخرى يتمتع بها الشعب ، او الانتقاص منها .

المــادة العاشرة

ان السلطات التى لم تفوض للولايات المتحدة بمقتضى الدستور ولم تحظر على الولايات فى الدســـتور يحتفظ بها لكل ولاية على حدة او للشعب .

المادة الحادية عشرة

لا تفسر السلطة القضائية للولايات المتحدة بحيث تتســـع لكل قضيــة فى القانون او العدل بدئت او رفعت على واحدة من الولايات المتحدة بواســطة مواطنى ولاية اخرى ، او بواسطة مواطنين او رعايا لاية دولة اجنبيــة .

المــادة الثانية عشرة

يجتمع النــاخبون ، كل فى ولايته ، ويقترعون بنظام الاقتراع

السرى لانتخاب الرئيس ونائب الرئيس ، ويكون واحد منهما على الأقل من غير سكان الولاية نفسها ، ويذكرون فى بطاقات اقتراعهم اسم الشخص المختار للرئاسة ، ويذكرون فى بطاقات مستقلة اسم الشخص المختار لمنصب نائب الرئيس . ثم يعدون قوائم مستقلة بأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لانتخابهم فى منصب الرئيس ولجميع الأشخاص الذين اقترع لانتخابهم فى منصب نائب الرئيس مع ذكر عدد أصوات كل منهم ، وتمضى هذهالقوائم من جانبهم بعد التثبت من صدق محتوياتها ثم ترسل مختومة الى مقر حكومة الولايات المتحدة بعنوان رئيس مجلس الشيوخ . وعلى رئيس مجلس الشيوخ ، بمشهد من الشيوخ والنواب ، أن يفض هذه القوائم ، ثم يحصى عدد الأصوات ، والشخص الذى يظفر باكبر عدد من الأصوات المعطاة لمنصب الرئاسة يصبح رئيسا ، هذا اذا كان هذا العدد اغلبية لعدد جميع الناخبين المعينين ، واذا لم يظفر احد بهذه الأغلبية ، فحينئذ يختار عدد لا يتجاوز ثلاثة من الأشخاص الذين فازوا بأكبر قدر من الأصوات فى قائمة المنتخبين للرئاسة ويبادر مجلس النواب الى اختيار الرئيس من بينهم طبقا لنظام الاقتراع السرى. ولكن عند اختيار الرئيس يراعى أخذ الأصوات بحسب عدد الولايات ، بحيث يكون لممثلى كل ولاية صوت واحد ، والنصاب القانونى اللازم لهذا الغرض يتألف من عضو او اعضاء عن ثلثى الولايات ، واغلبية جميع الولايات تكون ضرورية لتحقيق الاختيار ، واذا لم يختر مجلس النواب رئيسا ، عند ما تقع عليه تبعة الاختيار ، قبل اليوم الرابع من شهر مارس التالى ، فحينئذ يقوم نائب الرئيس بعمل الرئيس اسوة بما قد يحدث فى حالة وفاة الرئيس او عجزه عجزا دستوريا .

والشخص الذى يظفر بأكبر عدد من الأصوات المعطاة لمنصب

نائب الرئيس ، ينتخب نائبا للرئيس ، هذا اذا كان العدد اغلبية لعدد جميع الناخبين المعينين ، واذا لم يظفر أحد بالأغلبية ، فحينئذ يختار مجلس الشيوخ نائب الرئيس من بين الاثنين اللذين ظفرا باكبر عدد من الأصوات فى القائمة ، والنصاب القانونى اللازم لهذا الغرض يتألف من ثلثى العدد الاجمالى للشيوخ ، واغلبية العدد الاجمالى ضرورية لتحقيق هذا الاختيار ، ولكن ، لا يحق لأحد لا تتوافر فيه الشروط الدستورية لتولى منصب الرئيس أن يكون أهلا لمنصب نائب رئيس الولايات المتحدة .

المادة الثالثة عشرة

الفقرة الأولى : لايباح الرق ولا السخرة فى الولايات المتحدة أو فى منطقة خاضعة لسلطانها ، الا كعقاب على جرم وقع على مقترفه بعد ادانته .

الفقرة الثانية : للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة باصدار التشريع اللازم .

المادة الرابعة عشر

الفقرة الأولى : جميع الأشخاص الذين يولدون فى الولايات المتحدة أو يصبحون من مواطنيها ويخضعون لسلطانها ، هم مواطنون للولايات المتحدة وللولاية التى يعيشون فيها . ولا يحل لولاية ان تضع قانونا من شأنه أن ينتقص من المزايا والحصانات التى يتمتع بها مواطنو الولايات المتحدة ، ولا يحل لأية ولاية أن تحرم شخصا الحياة او الحرية او الممتلكات بدون تطبيق القانون تطبيقا كاملا ، ولا يحق لها أن تحرم أحدا خاضعا لسلطانها من المساواة فى الحماية أمام القوانين .

الفقرة الثانية : يقسم النواب بين الولايات المختلفة ، بنسبة عدد سكان كل ولاية ، بعد احصاء عدد جميع السكان في كل ولاية ، باستثناء الهنود من غير دافعي الضرائب . ولكن ، اذا انكر حق الاقتراع في اي انتخاب سواء لاختيار ناخبي رئيس الولايات المتحدة ، او نائب الرئيس ، او لاختيار النواب في الكونجرس ، او الموظفين التنفيذيين او القضائيين في ولاية ما ، او اعضاء المجالس التشريعية لها ، اذا انكر حق الاقتراع على اي من الذكور من سكان مثل هذه الولاية الذين يكونون قد بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم وهم مواطنون للولايات المتحدة ، او اذا انتقص من هذا الحق بكيفية ما الا في حالات الاشتراك في عصيان او في جريمة اخرى ، فان اساس التمثيل في الولاية يجب خفضه بنسبة ما يكون هناك من تأثير لعدد مثل هؤلاء المواطنين الذكور في مجموع عدد المواطنين الذكور الذين بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم في مثل هذه الولاية .

الفقرة الثالثة : لا يصبح احد شيخا او نائبا في الكونجرس ، او ناخبا للرئيس او لنائب الرئيس ، او ان يشغل منصبا مدنيا او عسكريا خاضعا للولايات المتحدة او لولاية من الولايات ، اذا كان قد سبق له ان اقسم اليمين كعضو في الكونجرس ، او كموظف في الولايات المتحدة ، او كعضو في مجلس تشريعي لولاية ما ، او كموظف تنفيذي او قضائي في ولاية ما ، بأن يؤيد دستور الولايات المتحدة ولكنه مع ذلك اشترك في تمرد او عصيان عليها ، او قدم مساعدة او تسهيلات لأعدائها . ولكن للكونجرس باغلبية الثلثين في كل من مجلسيه ان يمحو هذا العيب .

الفقرة الرابعة : سريان الديون العامة التي تعتقدها الولايات المتحدة في حدود القانون ، بما في ذلك الديون المتعلقة بدفع معاشات او هبات من خدمات قدمت في قمع تمرد او عصيان ، لايكون موضع

مناقشة . ولكن لا يحق للولايات المتحدة ولا لولاية من الولايات ان تتحمل تبعة دين او التزام ، او تؤدى قيمته ، لمساعدة حركة تمرد او عصيان على الولايات المتحدة ، او تواجه دعوى بشأن فقد عبد او تحريره . فجميع هذه الديون والالتزامات تعد غير شرعية ولا سند لها .

الفقرة الخامسة : تكون للكونجرس سلطة تنفيذ نصوص هذه المادة بالتشريع اللازم .

المادة الخامسة عشرة

الفقرة الأولى : لا تنكر الولايات المتحدة ولا ولاية من الولايات على مواطن الولايات المتحدة حق الاقتراع ، ولا تنتقص منه بسبب الجنس او اللون او لأن المواطن كان عبدا .

الفقرة الثانية : للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة بالتشريع اللازم .

المادة السادسة عشرة

للكونجرس سلطة فرض الضرائب على الدخل وجبايتها أيا كان مصدر الدخل ، بغير أن توزع توزيعا نسبيا على الولايات المختلفة، وبدون مراعاة لأى احصاء او تعداد .

المادة السابعة عشرة

يتألف مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة من شيخين عن كل ولاية ينتخبهما سكان كل ولاية لمدة ست سنين ، لكل شيخ صوت واحد . والناخبون فى كل ولاية يجب ان تتوافر فيهم المؤهلات اللازمة لناخبى أكبر الفروع التشريعية فى الولاية عضوية .

عند ما يخلو مقعد في مجلس الشيوخ يشغله ممثل لولاية من الولايات على السلطة التنفيذية لمثل هذه الولاية أن تصدر أمرا بإجراء انتخاب لشغل هذا المقعد ، بشرط أن يخول المجلس التشريعي الولاية السلطة التنفيذية حق تعيين مؤقت ريثما يملأ الأهالي المقعد الخالي بالانتخاب طبقا لما يشير به مجلسها التشريعي .

لا يفسر هذا التعديل بكيفية من شأنها التأثير في انتخاب أو في مدة عضوية شيخ من الشيوخ اختير قبل أن يصبح هذا التعديل جزءا قانونيا من الدستور .

المادة الثامنة عشرة

الفقرة الأولى : بعد عام من الموافقة على هذه المادة ، يحظر انتاج المشروبات المسكرة في الداخل ، أو بيعها أو نقلها أو استيرادها الى الولايات المتحدة ، أو جميع الأراضي الخاضعة لسلطانها ، أو اصدارها منها ، وذلك لاستخدامها في أغراض الشرب .

الفقرة الثانية : الكونجرس وللولايات المتحدة السلطة المتكافئة لتنفيذ هذه المادة بتشريع ملائم .

الفقرة الثالثة : تصبح هذه المادة باطلة إلا اذا تمت الموافقة عليها كتعديل في الدستور من قبل المجالس التشريعية للولايات المختلفة كما نص على ذلك الدستور في غضون سبعة أعوام من موعد تقديمها الى الولايات من الكونجرس .

المادة التاسعة عشرة

الفقرة الأولى : لا ينكر على مواطني الولايات المتحدة حق الاقتراع أو ينتقص منه سواء من جانب الولايات المتحدة أو من جانب أية ولاية بسبب الذكورة أو الأنوثة .

الفقرة الثانية : للكونجرس سلطة تنفيذ هذه المادة بالتشريع اللازم .

المادة العشرون

الفقرة الأولى : تنتهي مدة الرئيس ونائب الرئيس في ظهر اليوم العشرين من شهر يناير . وتنتهي مدة الشيوخ والنواب ظهر اليوم الثالث من شهر يناير من السنوات التي كانت تنتهي فيها مدتها اذا لم تبرم هذه المادة ، وتبدأ عقب ذلك مدة من يخلفونهم .

الفقرة الثانية : يجتمع الكونجرس مرة واحدة على الأقل في كل سنة ، ويبدأ مثل هذا الاجتماع في ظهر اليوم الثالث من شهر يناير الا اذا عين يوما آخر بقانون .

الفقرة الثالثة : اذا حدث في وقت انتهاء مدة رئاسة الرئيس ان مات الرئيس ، فان نائب الرئيس المنتخب يصبح رئيسا . واذا لم يكن الرئيس قد تم انتخابه قبل الوعد المعين لبدء مدته ، أو اذا حال حائل دون أن يتولى الرئيس المنتخب أعباء الرئاسة ، فحينئذ يتصرف نائب الرئيس المنتخب كرئيس ريثما تزول الحوائل .

والكونجرس أن يصدر قانونا ينص على الحالات التي قد يتعذر فيها على الرئيس المنتخب وعلى نائب الرئيس المنتخب أن يتوليا منصبهما فيعين من يتصرف كرئيس . أو يعين الكيفية التي بها يختار القائم بأعمال الرئيس ، وعلى مثل هذا الرجل أن يتصرف كرئيس ريثما تزول عن الرئيس أو نائب الرئيس الحوائل .

الفقرة الرابعة : للكونجرس أن يصدر قانونا ينص على حالة وفاة احد من الاشخاص الذين منهم يختار مجلس النواب رئيسا عند ما يقع على عاتقه حق الاختيار ، وينص على حالة وفاة احد من

الأشخاص الذين قد يختار مجلس الشيوخ منهم نائبا للرئيس حينما تقع عليه تبعة اختياره .

الفقرة الخامسة : يسرى تنفيذ الفقرتين الأولى والثانية في اليوم الخامس عشر من شهر اكتوبر التالي للموافقة على هذه المادة .

الفقرة السادسة : هذه المادة غير نافذة الا اذا تمت الموافقة عليها كتعديل في الدستور من قبل المجالس التشريعية لثلاثة ارباع مختلف الولايات في غضون سبع سنين من تاريخ تقديمها .

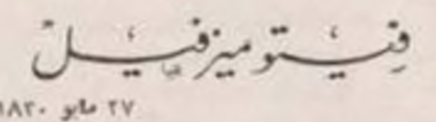
المادة الحادية والعشرون

الفقرة الأولى : بهذه المادة الغيت المادة الثامنة عشرة في تعديل القانون الأساسي .

الفقرة الثانية : يحظر نقل مشروبات مسكرة او استيرادها الى اية ولاية او ارض أو ممتلكات الولايات المتحدة سواء لتوزيعها او لاستعمالها خلافا لما يحدده القانون .

الفقرة الثالثة : هذه المادة غير نافذة المفعول الا اذا تمت الموافقة عليها باعتبارها تعديلا للدستور ، بمؤتمرات تعقد في الولايات المتحدة كما نص الدستور على ذلك ، في غضون سبع سنين من موعد تقديمها من قبل الكونجرس الى الولايات .

اندرو جاكسون ينقض مشروع قانون



٢٧ مايو ١٨٣٠

الى مجلس النواب :

ايها السادة : لقد قمت بدراسة واعية لمشروع القانون الخاص الذي يقترح « الاشتراك بصورة اسهم في شركة طريق ميزفيل ــ واشنطن ــ باريس» ، واعيد الآن هذا المشروع بقانون الى مجلس النواب الذي صدر عنه ، ملحقا به اعتراضات على اصداره ..

ان ما للحكومة الفيدرالية من سلطة دستورية لانشاء او تنمية الاعمال الخاصة بالتحسينات الداخلية ، يمكن التعبير عنها من وجهتي نظر : الاولى تتعلق بسيادة الولايات التي ينظر في تنفيذ هذه الأعمال داخل حدودها ، اذا زعمت أن سلطتها على الاراضي التي قد تجري فيها هذه الأعمال ضرورية لاستخدامها وافرادها ، ووجهة النظر الثانية تؤكد الحق البسيط المتعلق بتخصيص اموال من الخزانة الاهلية لمساعدة مثل هذه الانشاءات ، حين تقوم على تنفيذها حكومة الولاية متنازلة عن حق السلطان .

ومن وجهة النظر الاولى يكون موضوع السلطة مفتوحا ، يمكن اتخاذ قرار بشأنه ، دون اسباب الحرج التي تكتنف وجهة النظر الثانية والناجمة عن تصرف الحكومة . ولم يحدث ابدا أن مارست

الحكومة سلطة واسعة الى هذا الحد بالنسبة لأى موضوع واحد ، بالرغم من تعدد المحاولات الجاهدة فى ذلك السبيل . فالحكومة فى رأيى لا تملك هذه السلطة . ولذا لا يمكن أن يحظى بموافقتى الرسمية أى مشروع قانون يعترف بهذه السلطة .

على ان الامر يختلف بالنسبة لوجهة النظر الأخرى المتعلقة بالسلطة . فالموقف الذى اتخذ فى فترة مبكرة من عهد الحكومة هو انه « حينما تقوم السلطة العامة بتدبير الأموال وتخصيصها لاجراء معين ، يبرز سؤال مؤداه ما اذا كان ذلك الاجراء المعين يدخل فى نطاق السلطات المحددة الممنوحة للكونجرس ، فاذا كان الأمر كذلك يكن التقدم بطلب الأموال اللازمة ، والا فلا يكن التقدم بمثل هذا الطلب » .

والوثيقة التى تضمنت هذا المبدأ للمرة الأولى ، وثيقة ذات سلطة عليا جديرة بها . ويجب ان تعتبر تذكارا حافلا بالاعتراف بالجميل ، لما استطاعت ان تحققه فى الحال من انقاذ البلد من كثير من سوء الاستخدام الذى كان سائدا وقتذاك ، ولما لها من اثر فى المحافظة على بعض من اثمن مبادىء الدستور .

ولاشك فى انه كان بالامكان الاحتفاظ على وجه أفضل بنزاهة الحكومة وتناسقها ، لو امكن الاحتفاظ بهذا القيد المفروض على سلطة اعتماد الاموال ، دون انتقاص قدرته على تحقيق الأهداف العامة المقصودة من فرضه ، وهو أمر شديد الاحتمال فى ان يترتب على الموافقة عليه ، بغض النظر عن ملاءمته الظاهرة ، حتى ان كل الادارات التى تولت السلطة الحكومية ، فى مدى ثلاثين عاما من مجموع السنوات الاثنتين والأربعين التى مضت منذ قيام الحكومة ، قد عملت على توسيع نطاق السلطة .

وليس صدق ان أعطيكم بتقرير دقيق عن القوانين التى تثبت

هذا التأكيد . على ان من المناسب ان اذكر بعضا من اهمها ، لزيادة تفهم الانعكاسات التى تبرزها امامى .

ان مشروع القانون الذى امامى ، لا يغدو الى رأى اكثر تحديدا بخصوص الظروف المعينة التى تتطلب ان يعتمد الكونجرس اموالا لمساعدة اعمال التحسينات الداخلية ، وبالرغم من ان توسيع السلطة لتشمل استخدام المال فى ابعد من تحقيق الغرض الذى اعتمد من اجله ، كان — كما رأينا — قد مارسته الحكومة الفدرالية طويلا ، الا ان مثل هذه المنح كانت دائما تخضع للمبدأ العام القائل ان الاعمال التى يمكن مساعدتها هكذا يجب ان تكون ذات صبغة عامة غير محلية ، وقومية ليست مقصورة على الولاية . واهمال هذا التمييز من شأنه ان يؤدى بالضرورة الى افساد النظام الفدرالى . ومن الواضح الذى لايحتاج الى التأكيد بالخبرة انه حتى هذا امر غير مأمون ، وانه بطبيعته تعسفى ، وانه يمكن تبعا لذلك اساءة استخدامه الى حد كبير .

على ان رأيى قد استقر تماما على عدم اقرارى اى مشروع يماثل فى طبيعته هذا المشروع المعروض على . ولقد درست مواده الدراسة التى يستلزمها الاعتبار العادل لمصالح اولئك من مواطنينا الذين يرغبون فى اصداره ، والاحترام الواجب لاحد فروع الحكومة ، على انى غير مستطيع ان انظر الى المشروع على اى ضوء سوى انه اجراء طبيعته محلية بحتة ، او ، لو كان بالامكان اعتباره قوميا ، انه ليست هناك حاجة الى محاولة زيادة التمييز بين واجبات الحكومة العامة وحكومات الولايات ، الا لا يمكن ان تكون هناك منفعة محلية ليس فى الامكان ان تكون ايضا قومية . وليست لهذا الموضوع علاقة باى نظام مقرر للتحسينات ، بل يقع باكمله فى حدود ولاية واحدة ، بادئا عند نقطة على نهر اوهايو ، ثم ممتدا

حوالى ٦٠ ميلا الى مدينة داخلية ، وحتى بالنسبة للولاية نفسها ، فهو يجبى مزايا جزئية وليست عامة .

وبالنظر الى اهمية السلطة وضخامتها ، والى الحرج الذى لابد ان يصحب ممارستها ، نتيجة لطبيعة ذلك نفسها ، يجب على انصار التحسينات الداخلية الحقيقيين الا يكونوا راغبين فى تركها للفرص والظروف ..

ووجهة النظر الاخرى الخاصة بالموضوع ، وهى الوحيدة التى تبقى والتى انوى اتباعها فى الوقت الحالى ، تتضمن اتباع نظام التحسينات الداخلية ، دون ان يسبق ذلك تعديل للدستور الذى يشرح ويحدد ما للحكومة الفدرالية من سلطات معينة بهذا الشان . واذا افترضنا أن حق اعتماد الأموال للمساعدة فى انشاء الأعمال القومية ، امر يخوله النقد المعاصر المستمر للدستور ، فان عدم كفاية هذا لتنفيذ هذه المشروعات بنجاح ، امر يجب أن تعترف به كافة العقول النيرة . واذا لجانا الى الممارسة كى نحدد مدى هذا الحق ، لوجدناها متباينة متنوعة بكثرة من شانها ان تلقى بالموضوع باكمله فى خضم من عدم التاكد ، وأن تجعل القيام بواجباتنا ازاءه محوطة بالصعوبات والحرج . ولقد اتخذ ذلك النظام اولى خطواته بالنسبة لمثل هذه الأعمال والاستيلاء على اراضى اضافية .

اما فيما يتعلق بأغلب — ان لم يكن كل — موضوعات الخلاف الاخرى الخاصة بالاعتمادات ، فان بنيان الدستور يمكن اعتباره غير مستقر اذا كان حق تخصيص الأموال فى الحالات المبينة يقوم على اساس الاستخدام .

واذا كانت رغبة الشعب هى ان تقوم الحكومة الفدرالية بانشاء الطرق والقنوات ، فليس من المناسب فحسب ، بل من الضرورى

الذي لا غنى عنه ان يجرى قبل ذلك تعديل للدستور ، من شأنه أن يمنح السلطة اللازمة ، وأن يحدد ممارستها وتعبيرها بالنسبة لسياسة الولايات . ولايمكن بدون هذا ، القيام بعمل نافع شامل ، اذ لا يمكن الاستغناء عن حق ممارسة السلطان ، بالقدر اللازم للمحافظة على الانشاءات وجمع الأموال اللازمة لصيانتها عن طريق جباية رسوم الانتفاع .

خطبة لنكولن فى جتيسبرج

١٩ نوفمبر ١٨٦٣

« منذ سبعة وثمانين عاما خلت ، انشأ آباؤنا فى هذه القارة ، امة جديدة قامت على الحرية ، وكرست نفسها للمبدأ القائل بان الله خلق الناس جميعا متساوين .

« وها نحن الآن منهمكون فى حرب اهلية عظمى ، تبلو هذه الامة او اية امة اخرى مثلها قامت على اساس هذا المبدأ ذاته وكرست نفسها له ، لتظهر طول احتمالها .

« ولقد اجتمعنا اليوم فى ميدان عظيم من ميادين هذه الحرب ، وجئنا لنخصص جزءا منه ليكون المثوى الاخير لاولئك الذين ضحوا بارواحهم فى سبيل ان تحيا هذه الامة . وانه لجدير بنا ، وحق علينا ، ان نفعل ذلك .

« ولكننا بمعنى اوسع ، لا نستطيع ان نكرس هذه الارض ، ولا ان نضفى عليها قدسية ما . فالرجال الابطال ، الاحياء منهم والاموات ، الذين قاتلوا هنا ، قد قدسوها تقديسا اعظم واسمى من ان نستطيع قوتنا المتواضعة ان تزيد عليه أن تنتقص منه . وقد لا ينتبه العالم كثيرا لما نقوله هنا ، وقد لا يتذكره طويلا ، ولكنه لن ينسى ابدا ما فعله هؤلاء الابطال .

« فعلينا نحن الاحياء ان نكرس انفسنا هنا للعمل النبيل الذى لم يتم بعد ، والذى عمل على تقدمه الى هذا الحد اولئك الذين قاتلوا فى سبيله هنا . نعم انه لاولى بنا ان نكرس انفسنا هنا

للقيام بذلك الواجب العظيم الذى ما زال امامنا ، فلنستمد من هؤلاء الموتى الكرام اخلاصا متزايداً للقضية التى بذلوا فى سبيلها أوفر قسط من الاخلاص ، ولنعقد العزم هنا على الا يكون هؤلاء الشهداء قد ماتوا عبثا ، وان الحرية ستبعث فى الأمة ، باذن الله ، بعثا جديدا .

... وان حكومة الشعب بواسطة الشعب وفى سبيل الشعب لن تزول من على وجه الأرض ؟ ...

النقط الأربع عشرة

لودرو ولســون

٨ ينــاير ١٩١٨

١ ــ اتفاقات علنية للسلام ، يتم الوصول اليها علانية ، لاتكون بعدها اية ارتباطات دولية سرية من اى نوع ، بل تمضى الدبلوماسية دائما متسمة بالصراحة والعلانية .

٢ ــ حرية مطلقة للملاحة فى البحار ، خارج المياه الاقليميــة سواء فى وقت السلم او الحرب ، الا فى البحار المغلقة كليا اوجزئيا وفقا لاجراء دولى يهدف الى تنفيذ اتفاقات دولية .

٣ ــ رفع كل العوائق الاقتصادية بقدر ما يكون ذلك ممكنا ، واقامة مساواة فى الظروف التجارية بين كل الدول التى تهدف الى السلام وتتضامن فى سبيل حفظه .

٤ ــ اعطاء واخذ الضمانات الكافية بأن التسلح القومى سيخفض الى الحد الأدنى الذى يتمشى مع السلامة المحلية .

٥ ــ تكييف لكل المطالب الاستعمارية يتسم بالحرية واتســاع الأفق وعدم التحيز ، على أساس الالتزام بدقة بمبدا انه يجب حين النظر فى كل هذه المسائل المتعلقة بالســيادة ، ان تعطى مصالح

السكان ذوى الشأن اهمية مساوية لتلك التى تعطى للمطالب العادلة التى تتقدم بها الحكومة التى ينظر فى امر سيادتها .

٦ ـ الجلاء عن كافة الاراضى الروسية وتسوية كل المسائل المتعلقة بروسيا ، بطريقة تهيىء افضل تعاون بين دول العالم الأخرى وتتسم باكبر قدر من الحرية ، لتتيح لروسيا ـ بعيدا عن العراقيل والحرج ـ فرصة تقرير تطورها السياسى وسياستها القومية ، وضمان ترحيب تخلص بها فى اسرة الدول الحرة فى ظل نظم من اختيارها هى ، واكثر من الترحيب ، تقديم المساعدات وكافة الأنواع التى قد تحتاجها هى او ترغب فيها . وما ستلقاه روسيا من معاملة من شقيقاتها الدول فى الشهور القادمة ، سيكون محك الاختيار لحسن نوايا هذه الدول، ولتفهمها حاجات روسيا منفصلة عن مصالحها الخاصة ، ولعطفها الواعى المقرون بعدم الأثرة .

٧ ـ لابد ان العالم كله يرى وجوب الجلاء عن بلجيكا ، واعادتها الى حالتها الأولى دون اية محاولة للحد من السيادة التى تتمتع بها ، مثلها فى ذلك مثل الدول الحرة الأخرى ، وليس هناك اجراء واحد يؤدى الى ما يؤدى اليه هذا من اعادة الثقة بين الدول فى القوانين التى قامت هى نفسها بوضعها وتشكيلها لتحديد علاقاتها بعضها مع بعض ، وعدم اتخاذ هذا الاجراء الشافى من شانه ان يصيب نفوذ القانون الدولى وبنيانه بتصدع ابدى .

٨ ـ يجب ان تتحرر كافة الأراضى الفرنسية ، وان تعاد اليها الأجزاء المحتلة ، كما يجب تصحيح الخطأ الذى الحقته بروسيا بفرنسا فى ١٨٧١ فيما يتعلق بالألزاس واللورين ـ هذا الخطأ الذى أصاب استقرار السلام العالمى مدة خمسين عاما تقريبا ، يجب تصحيحه حتى يسود السلام مرة اخرى لما فيه صالح الجميع .

٩ ـ يجب اعادة تعديل حدود ايطاليا طبقا لخطوط قومية واضحة المعالم .

١٠ ـ يجب أن تتاح لشعوب النمسا والمجر ، تلك الشعوب التى ترغب فى أن ترى مكانها بين الدول محفورا مضمونا ، أكثر الفرص حرية نحو الحكم الذاتى .

١١ ـ يجب الجلاء عن رومانيا وصربيا ومونتينجرو ، واعادة المناطق المحتلة ، ومنح الصرب منفذا آمنا حرا الى البحر ، وتحديد العلاقات بين دول البلقان المتعددة بطريق المشاورات الودية طبقا لخطوط الولاء والقومية التاريخية ، كما يجب التوصل الى ضمانات دولية لاستقلال دول البلقان المذكورة السياسى والاقتصادى ، ووحدتها الاقليمية .

١٢ ـ يجب ضمان سيادة أكيدة للأجزاء التركية من الامبراطورية العثمانية الحالية ، على أنه يجب أيضا أن تضمن للجنسيات الأخرى الخاضعة حاليا للحكم التركى ، أمن فى الحياة لا شك فيه ، وفرصة مطلقة غير مقيدة للحكم الذاتى ، كما يجب فتح الدردنيل دائما بوصفه ممرا حرا لتجارة كل الدول وسفنها ، فى ظل ضمانات دولية .

١٣ ـ يجب اقامة دولة بولندية مستقلة تتضمن المناطق المأهولة بسكان بولنديين لا نزاع فى جنسيتهم ، كما يجب أن يضمن لها منفذ آمن حر الى البحر ، كما يجب ضمان استقلالها السياسى والاقتصادى ووحدتها الاقليمية باتفاق دولى .

١٤ ـ يجب تكوين جمعية عامة للدول ، طبقا لاتفاقات محددة ، بغية تقديم الضمانات المشتركة للاستقلال السياسى والوحدة الاقليمية للدول الكبرى والصغرى على السواء .

الحريات الأربع

لفرانكلين روزفلت

٦ يناير ١٩٤١

كثير من الموضوعات المتعلقة باقتصادنا الاجتماعى فى حاجة الى تحسينات عاجلة . فمثلا يجب أن نعمل على ان ينطبق نظام المعاشات والتأمين ضد البطالة على عدد اكبر من المواطنين . يجب ان نزيد الفرص المتاحة للعناية الطبية الكافية . يجب ان نحتفظ نظاما افضل يمكن الذين يستحقون او يحتاجون الى وظائف اكثر ربحا من الحصول عليها .

ولقد دعوت الى التضحيات الشخصية ، والى لواثق من استعداد كل الامريكيين تقريبا لتلبية هذه الدعوة .

ونحن نتطلع فى الأيام المستقبلة ، التى نسعى كى نكون اكثر امنا ، الى عالم يقوم على اساس من الحريات الأربع الاساسية .

واولى هذه الحريات هى حرية الحديث والتعبير — فى كل مكان من العالم .

ثانيتها هى حرية كل شخص فى ان يعبد الله بطريقته الخاصة فى كل مكان من العالم .

ثالثة هذه الحريات هى التحرر من العوز — وهذا معناه فى اللغة

الدولية لتفاهم اقتصادى يضمن لكل امة حياة سلمية كريمة لسكانها — في كل مكان من العالم .

والرابعة هي التحرر من الخوف — وهذا معناه في اللغة الدولية ، تخفيض التسلح يشمل العالم اجمع والى الدرجة وبالطريقة الدقيقة التي لا يتأتى معها لأية امة ان تكون في موقف يمكنها من القيام بعدوان مادى ضد اى من جاراتها — في كل مكان من العالم .

ليس كل هذا رؤيا عما سيتحقق في عصر ذهبى خيالى في المستقبل البعيد ، بل هو اساس محدد لذلك النوع من العالم الذى يمكن اقامته في عصرنا وفي جيلنا ، وهذا النوع من العالم هو العكس على خط مستقيم لما يطلق عليه اسم النظام الدكتاتورى الجديد الذى يسعى الدكتاتوريون الى اقامته بواسطة تفجير القنابل .

ونحن نعارض ذلك النظام الدكتاتورى بفكرة اسمى ، هى النظام الاخلاقى ، والمجتمع الطيب قادر على ان يواجه مؤامرات السيطرة الدولية والثورات الاجنبية دون ما خوف .

ولقد كنا ، منذ بدء تاريخنا الامريكى ، منهمكين في سلسلة من التغيرات — في ثورة سلمية دائمة — ثورة تمضى باطراد ، مكيفة نفسها بهدوء طبقا للظروف المتغيرة ، دون اللجوء الى معسكرات الاعتقال أو نصب المشانق .

ان النظام العالمى الذى نسعى في سبيله هو تعاون الامم الحرة وتفاهمها سويا في مجتمع متمدين ودى .

ولقد اودعت هذه الامة مصيرها في ايدى وعقول وقلوب الملايين من رجالها ونسائها الاحرار ، وفي ايمانها بالحرية في رعاية الله ، والحرية معناها سيادة حقوق الانسان في كل مكان . ونحن نؤيد اولئك الذين يكافحون في سبيل الحصول على هذه الحقوق أو الاحتفاظ بها ، وقوتنا هي في وحدة هدفنا .

وليس من ختام لهذه الفكرة السامية سوى النصر .

الذرة في سبيل السلام

دوايت ايزنهاور

---

٨ ديسمبر ١٩٥٣

« أرانى مضطرا إلى أن أتحدث اليوم بلغة جديدة نوعا ما ، لغة كنت أفضل – أنا الذى أنفقت الكثير من سنوات عمرى فى الخدمة العسكرية – ألا ألجأ إليها .

« هذه اللغة الجديدة هى لغة الحرب الذرية .

« لقد سار العصر الذرى قدما بخطى واسعة بحيث لابد أن يكون الخوف قد راود كل مواطن فى هذا العالم ، بصورة نسبية على الأقل ، من مدى هذا التطور البالغ الأهمية فى أنظارنا جميعا .

« ولا شك أنه إذا أرادت شعوب العالم أن تسلك السبل البارعة فى البحث عن السلام فلا بد لها من أن تتسلح بالحقائق الهامة الماثلة فى الوجود اليوم .

« لا بد لى فى الحديث عن الطاقة الذرية وخطرها أن أتحدث عنها من وجهة نظر الولايات المتحدة ، فالحقائق الأمريكية هى الحقائق الوحيدة التى أعلم أنها لاتحتمل الجدل ، ولست فى حاجة إلى أن أقول للجمعية العامة أن هذا الموضوع موضوع عالمى فى طبيعته وليس موضوعا قوميا .

« ففى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ اجرت الولايات المتحدة اول انفجار ذرى .

« ومنذ ذلك التاريخ اجرت الولايات المتحدة الامريكية اثنتين واربعين تجربة ذرية .

« والقنابل الذرية اليوم اقوى خمسا وعشرين مرة من مثيلاتها التى شهدها فجر العصر الذرى . والقنابل الهيدروجينية الآن تعادل فى قوتها ملايين الأطنان من المواد المتفجرة .

« ورصيد الولايات المتحدة من الاسلحة الذرية اليوم - وهو مطرد الزيادة كل يوم طبعا - يزيد كثيرا عن اضعاف كميات الديناميت فى مجموع القنابل التى اسقطتها الطائرات او اطلقتها المدافع جميعها فى كل ميدان من ميادين الحرب وفى سائر سنوات الحرب العالمية الثانية .

« ويستطيع الآن اى سرب واحد من الطائرات يقوم من قاعدته البرية او من حاملات الطائرات ، أن يلقى على اهدافه من القوة المدمرة ما يزيد فى قوته على سائر القنابل التى القيت على بريطانيا طوال الحرب العالمية الثانية .

« وليست الاسلحة الذرية اقل من هذا شأنا من حيث مابلغته فى حجمها أو فى تنوعها ، فقد بلغت الحد الذى اصبحت تعتبر فيه من الاسلحة العادية فى قواتنا المسلحة ، فالجيش ، والاسطول ، والسلاح الجوى ، وسلاح الغواصات فى الولايات المتحدة ، تستطيع جميعا أن تستخدم هذه الاسلحة فى اغراضها العسكرية .

« ولكن سر الطاقة الذرية الخطر ، والاتها المخيفة ليست ملكنا وحدنا .

« فهذا السر اولا معروف لدى صديقتنا وحليفتنا بريطانيا العظمى وكندا ، اللتين مكنهما نبوغهما العلمى من اسداء الكثير الى اكتشافاتنا الاصلية والى تصميم القنابل الذرية .

« والاتحاد السوفيتى أيضا يعرف هذا السر .

« وقد اطلعنا الاتحاد السوفيتى على انه قد كدس فى السنوات الأخيرة موارد هائلة للاسلحة الذرية . وقد قام الاتحاد السوفيتى خلال هذه الفترة بسلسلة من التفجيرات الذرية تضمن احدها على الأقل تفاعلات حرارية نووية » .

« واذا كانت الولايات المتحدة قد امسكت بيدها زمام مايسمى احتكار الطاقة الذرية ، فان هـذا الاحتكار قد انقضى عهده منذ سنوات ، ولذا ، فبالرغم من ان سبقنا فى هذا المضمار قد مكننا من ان نجمع اليوم ميزة كبرى من ناحية الكم ، فان الحقائق الذرية اليوم لتتضمن نقطتين لهما أهمية أعظم :

اولا : ان المعلومات التى تملكها الآن عدة دول ، ستشترك فى ملكيتها دول اخرى وربما كل الدول الأخرى .

ثانيا : وحتى التفوق الهائل فى عدد الأسلحة ، وبالتالى القدرة على الانتقام المروع ، ليس فى ذاته حائلا دون الخراب المادى المخيف والخسارة فى الأرواح البشرية التى تترتب على العدوان الفاجىء » .

وسـائل الدفاع لا تكفى

« وقد عمـل العـالم الحر بطبيعة الحال ، اذ هو يعلم بهذه الحقائق ، على تنفيـذ برنامج طويل للتحذير واعداد وسائل الدفاع .. وسيمضى هذا البرنامج وتوسع مداه .

« ولكن يجب الا يعتقد احد ان انفاق مبالغ طائلة على الأسلحة ووسائل الدفاع يضمن السـلامة التامة للمدن والسكان فى اية دولة .

« والحساب المروع للقنبلة الذرية لا يسمح بمثل هذا الحل البسيط ، فمهما بلغت وسـائل الدفاع من الاحكام يستطيع اى معتد عالك الحد الأدنى الفعال من القنابل الذرية الكافى للقيام بهجوم

مفاجيء ، أن يسقط عددا كافيا من قنابله على أهداف مختارة ، فيسبب خرابا فظيعا .

« ولو حدث مثل هذا الهجوم الذرى على الولايات المتحدة ، فسنكون أقوياء سريعين فى الرد .. ان امكانيات الدفاع عن الولايات المتحدة قوية لدرجة تكفى لتحميل المعتدى خسائر فادحة ، وان امكانيات التدمير المتاحة للولايات المتحدة هائلة لدرجة تجعل مثل هذا الهجوم غير ذي فائدة للمعتدى ، ولكن هذا ليس هو التعبير الحقيقى عن اهداف وآمال الولايات المتحدة .

« ان السكوت هنا معناه توكيد الاعتقاد اليائس بانه قد حكم على قوتين ذريتين هائلتين ان تنظر كل منهما للأخرى لأجل غير مسمى ، عبر عالم مرتعد .

« ان السكوت هنا معناه ان نتقبل بيأس احتمال تدمير المدنية ، ومحو ذلك التراث الانسانى الذى لا يعوض والذى يتسلمه جيل عن جيل ، والحكم على البشرية بان تبدأ من جديد ذلك الكفاح الذى بدأ مع الأجيال ـ كفاح التطور من البدائية الى الرقى والحقوق والعدالة .

« ومن المؤكد انه ما من عاقل بين بنى الانسان يجد نصرا فى مثل هذا الخراب . وهل هناك من يريد ان يقرن التاريخ اسمه بمثل هذا الانحطاط والخراب الانسانى ؟

« ان بعض صفحات التاريخ تسجل وجوه « كبار المخربين » ، ولكن التاريخ بأكمله يسجل للبشرية كفاحها الدائم من اجل السلام والبناء .

« وتود الولايات المتحدة ان يقترن اسمها بكتاب التاريخ كله ، لا بصفحات منه فحسب .

« ان الولايات المتحدة ترمى الى الانشاء لا الهدم ، والى الاتفاق لا الحرب بين الأمم . كما انها ترغب فى العيش فى ظل الحرية على

ثقة من ان كافة الشعوب الاخرى تتمتع على قدم المساواة بحقها في اختيار اسلوب الحياة الذى يحلو لها .

« فبلادى تهدف الى الخروج بالعالم من ظلمات الرعب الى النور ، الى الاهتداء الى سبيل يدفع عقول الناس وآمالهم وارواحهم - انى كانوا - قدما نحو السلام والرخاء والسعادة .

« على انه من الواجب علينا ان نتحجم بالصبر اذا ما توخينا هذه الاهداف .

« فالخلاص فى عالم منشق على نفسه كعالمنا الحاضر لا يتحقق بانجاز عمل مثير واحد .

« كما انه لا غنى لنا عن خطوات تستغرق شهورا عدة قبل ان ينظر العالم الى نفسه يوما من الايام فيراها فى ثوب جديد من الثقة المتبادلة القائمة على النوايا السلمية .

« على انى ارى قبل كل شىء انه يجمل بنا ان نشرع منذ اللحظة فى اتخاذ مثل هذه الخطوات .

« ولقد عملت الولايات المتحدة وحليفتاها بريطانيا العظمى وفرنسا من جانبها جميعا على القيام ببعض هذه الخطوات خلال الشهور الماضية ، فلا يقل احد بعد هذا اننا نتفر من المائدة المستديرة .

« ومن الثابت ان الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى طالما طلبت اجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى بشان مشكلة المانيا .

« وثابت ايضا تلك الرغبة التى طالما ابدتها الدول الثلاث ذاتها ، للتفاوض بشان معاهدة الصلح النمسوية .

« ومن الثابت كذلك ان الامم المتحدة لا تزال تطلب التفاوض بشان المشكلة الكورية .

« ولقد تسلمنا من الاتحاد السوفيتي منذ عهد جد قريب ما ينبىء عن رغبته في عقد مؤتمر بين الاربعة الكبار .

« ولقد اغتبطنا نحن وحليفتينا حين وجدنا المذكرة السوفيتية خلوا من اية اشتراطات تقيدنا مقدما بامور لا نستطيع قبولها كما اسلفت .

« ولقد وافقت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على الفور — كما علمتم من بياننا المشترك بشأن مؤتمر برمودا — على الاجتماع بمندوبي الاتحاد السوفيتي .

« والولايات المتحدة من جانبها تنظر الى هذا المؤتمر بقلب مفعم بالاخلاص والامل ، ولن تدخر وسعا في سبيل الخروج من المؤتمر بنتائج ملموسة تعزز اركان السلام في العالم ، اذ ان هذا هو السبيل الوحيد الى تخفيف حدة التوتر الدولي .

« ونحن لم نقترح — ولن نقترح — ابدا ان يفرط الاتحاد السوفيتي في حق مقرر له .

« كما اننا لن نقول ابدا ان الشعب الروسي عدو لنا ، وانه ليس لنا رغبة في التعامل معهم او الاختلاط بهم بغية تأسيس علاقة ودية مثمرة .

« تأملنا — على النقيض من ذلك — ان يوفق المؤتمر القادم الى اقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي من شأنها ان تؤدي بمضي الوقت الى اختلاط حر بين شعوب الشرق والغرب — وهو السبيل الاساسي الاكيد الوحيد الخليق بتعزيز التفاهم الذي تستلزمه العلاقات السلمية القائمة على الثقة .

« ونحن نسعى — بدلا من موجة السخط التي تعم في الاونة الراهنة شرق المانيا والنمسا المحتلة وبلدان شرق اوربا — الى خلق اسرة من الدول الاوربية الحرة يسودها الانسجام دون ان

يكون في وجود احداهما تهديد بالنسبة للأخرى او للشعب الروسي .

ونحن نبغي لشعوب آسيا ـ التي تعاني من الاضطراب والشقاق والشقاء ـ فرصة سلمية تمكنها من استغلال مصادر ثرواتها الطبيعية ورفع مستوى المعيشة بين ابنائها .

• ليست هذه الكلمات جوفاء ولا تصورات تافهة ، بل ان وراءها قصة امم نالت استقلالها في الآونة الأخيرة لا نتيجة الحرب ، بل بطريق المنحة عن طواعية واختيار ، او نتيجة المفاوضات السلمية . ان هناك سجلا مدونا الآن بالفعل سطرت فيه المساعدات التي قدمتها الدول الغربية في سرور الى الشعوب المعوزة ، والى اولئك الذين يعانون مؤقتا آثار المجاعة او القحط او اية كارثة اخرى طبيعية .

• هذه هي الاعمال السلمية ، وكلمتها اعلى من كلمة الوعود او المظاهرات الخاصة بالنوايا السلمية .

• على اني لا اود ان اقتصر على سرد المقترحات الماضية ولا الاعمال التي تمت من قبل ، فان الظرف من الخطورة بحيث لا بد من ان نطرق كل سبيل الى السلام مهما يكن السبيل مغلقا .

طريق واحد للسلام

• وامامنا طريق واحد الآن الى السلام على الاقل لم نطرقه كما يجب ، طريق رسمته الجمعية العامة للامم المتحدة اولا .

• فقد اقترحت الجمعية العامة للامم المتحدة في قرارها الذي اتخذته يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٣ ـ واسمحوا لي ان اقتبس عبارتها ـ « ان تدرس لجنة نزع السلاح مدى الحاجة الى انشاء لجنة فرعية تضم ممثلي الدول المعنية قبل غيرها بهذه المسألة ، تحاول الوصول ، بالطرق الخاصة الى حل مقبول ، وتضع تقريرا

عن هذا الحل لتقدمه الى الجمعية العامة ، والى مجلس الأمن ، في موعد لا يتجاوز أول سبتمبر سنة ١٩٥٤ .

« ونزولا على اقتراح الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فان الولايات المتحدة مستعدة أن تجتمع على الفور اجتماعا خاصا بالدول التي قد تكون ، معنية قبل غيرها بهذه المسألة ، لتحاول الوصول ، الى حل مقبول ، لمسألة التسابق في التسلح الذرى الذى يهدد حياة العالم لا سلامته فحسب .

« وستدخل هذه المحادثات الخاصة او الدبلوماسية جوا جديدا .

« فان الولايات المتحدة ستحاول الوصول الى اكثر من مجرد تخفيض المواد الذرية المتاحة للاغراض العسكرية او تجريدها .

« فلا يكفى ان يؤخذ هذا السلاح من ايدى الجنود ، بل يجب ان يوضع في ايدى أولئك الذين يعرفون كيف ينزعون منه صفته العسكرية ويكيفونه بحيث يصلح لاغراض السلام .

« وتعلم الولايات المتحدة انه اذا امكن وقف بناء التسلح الذرى المخيف ، فان هذا السلاح الاكبر من اسلحة الدمار يمكن ان يستحيل الى نعمة كبرى تفيد منها البشرية جمعاء .

« وتعلم الولايات المتحدة ان القوى السلمية المستمدة من الطاقة الذرية ليست حلما من الاحلام ، وان هذا الاحتمال قد ثبت الآن بالفعل ، ولو اتيحت لسائر علماء العالم ومهندسيه الكميات الكافية من المواد الذرية كى يجربوا نظرياتهم ويحققوها ، فمن ذا يشك عندئذ في مكان الاتجاه بهذه الطاقة الى استخدامها على اساس اقتصادى عالمى نافع ؟

« فاذا اردنا ان نعجل باليوم الذى تختفى فيه المخاوف الماثلة في اذهان شعوب الشرق والغرب وحكوماتها من الذرة ، فان هناك خطوات معينة يمكن ان تتخذها الآن .

نص الاقتراح

« ولهذا فإنى أتقدم بالاقتراح التالى :

« أن تبدأ الحكومات التى تعنيها هذه المسألة قبل غيرها منذ الآن ــ بقدر ما تسمح به أوليات الحصافة ــ وأن تظل تتبرع جميعا بجانب مما لديها من اليورانيوم وغيره من المواد الذرية لهيئة دولية للطاقة الذرية . ونأمل أن تنشأ مثل هذه الهيئة تحت إشراف الأمم المتحدة .

« ولا بد أن تكون حصص هذا التبرع ، وإجراءاته وغير ذلك من التفاصيل فى نطاق « المحادثات الخاصة » التى أشرت إليها من قبل .

« والولايات المتحدة مستعدة للدخول فى هذه المحادثات بنية خالصة ، وأى شريك لها فى هذه المحادثات يحدوه من حسن النية ما يحدوها سيجدها شريكا مجردا من التطرف متمسكا بفضيلة الكرم .

« ولا شك أن المشروع فى بدايته والتبرعات الأولى التى سيتلقاها ستكون صغيرة من حيث الكم ، على أن للاقتراح ميزة كبرى ، هى أن تنفيذه ممكن دون إحراج ولا شكوك متبادلة مما يلازم أية محاولة لوضع أى نظام مقبول تماما للتفتيش والرقابة الدوليين .

« ويمكن أن يعهد بالمواد الذرية وغيرها مما يتبرع به وبتخزينها وحمايتها إلى هيئة الطاقة الذرية ، وبراعة علمائنا كفيلة بأن تدبر ظروف الأمن التى تتاح فيها لهذا الرصيد من المواد الذرية « المنعة الضرورية على الاستيلاء الفجائى » .

خدمة البشرية

« اما التبعة المهمة التى ستلقى على عاتق هيئة الطاقة الذرية هذه ، فهى وضع الوسائل التى تخصص بها هذه المواد الذرية لخدمة تقدم البشرية تقدما سلميا ، فيجند الخبراء لتوجيه الطاقة الذرية الى خدمة الزراعة والطب وغير ذلك من اوجه النشاط السلمى ، ويكون من اهم الاغراض تدبير الكميات الكبيرة من القوى الكهربائية لمناطق العالم التى هى فى مسيس الحاجة الى هذه القوى ، ومن هنا تكون الدول المتبرعة قد خصصت بعض قواها لخدمة مصالح البشرية لا لاذكاء مخاوفها .

« والولايات المتحدة اكثر من ان تكون راغبة فى الاشتراك مع الدول « التى تعنيها قبل غيرها هذه المسألة » فى وضع الخطط التى تعجل باستخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية ، بل انها ليشرفها هذا .

« ولا بد ان يكون الاتحاد السوفيتى واحدا من هذه الدول التى « تعنيها قبل غيرها هذه المسألة » .

« وانى لمستعد لان اتقدم الى الكونجرس الامريكى — وكلى ثقة من موافقته — باى مشروع من شانه :

« اولا — ان يشجع على البحث — على نطاق عالمى — عن خير وسائل استخدام المواد الذرية للاغراض السلمية ، مع التأكد من ان لدى هذه الدول سائر المواد اللازمة لاجراء مختلف التجارب الضرورية .

ثانيا — ان يبدا بالاقلال من الخطر التدميرى لما لدى العالم من مخزون ذرى .

ثالثا — ان يجعل سائر الشعوب فى سائر الامم تدرك ان الدول

الكبرى على وجه الارض فى هذا العصر المستنير تضع فى المحل الاول من عنايتها آمال البشرية لا تكديس اسلحة الحرب .

رابعا – أن يفتح بابا جديدا للتفاهم السلمى ، ويضع ملاحا جديدا على الاقل لسائر المشاكل المستعصية التى لا بد من أن تحل بالطرق الخاصة والعامة على السواء اذا اريد العالم ان يتخلص من الرعب الذى فرضه عليه الخوف ، وان يسير بخطى ايجابية فى سبيل السلام .

امل امريكا فى السلام

« واذ يظلنا ظل القنبلة الذرية المعتم ، فان الولايات المتحدة لا تريد مجرد اظهار قوتها فحسب ، بل تريد أن تظهر كذلك رغبتها وأملها فى السلام .

« ان الاشهر القبلة ستشهد قرارات حاسمة ، لتكن هذه القرارات فى عواصم دول العالم وقياداتها العسكرية ، وفى قلوب الناس فى شتى انحاء الارض بوصفهم مصدر سلطة الحكومات ، قرارات تخرج بنا من عالم الخوف الى عالم السلام .

عهد امام العالم

« وان الولايات المتحدة تقطع على نفسها – امامكم وامام العالم اجمع بالتالى – عهدا بان تكون رائدها اذ تتخذ هذه القرارات الحاسمة ، هو المساعدة على حل المأساة الذرية المخيفة ، وان تكرس قلبها وفكرها للوصول الى الوسيلة التى تحول دون استخدام الانسان لهذا الاختراع المعجز فى فنائه ، بل يستخدمه فى سبيل حياته . »